ثقافةُ الهنُد

المجلد ٦٦، العدد ٣، يوليو- سبتمبر ٢٠١٥

Volume 66 No. 3, July–September 2015

ISSN 0970-3713

ثقافة الهند

مجلة علمية ثقافية جامعة فصلية

المجلد 66، العدد 3 ، يوليو- سبتمبر 2015

رئيس التحرير
سيد إحسان الرحمن

مساعد التحرير
د. محمد قطب الدين

المجلس الهندي للعلاقات الثقافية

المجلس الهندي للعلاقات الثقافية منظمة حرة لوزارة الشؤون الخارجية في حكومة الهند أنشئت عام 1950م لإيجاد وتنمية العلاقات الثقافية والتفاهم المتبادل بين الهند والبلدان الأخرى، وضمن برنامج مطبوعاته ينشر المجلس، بين ما ينشر، عدة مجلات، ففي العربية "ثقافة الهند" وفي الإنكليزية "Indian Horizons" و "Africa Quarterly" وفي الفرنسية "Rencontre Avec L'Inde" وفي الأسبانية "Papeles de la India" وفي الهندية "Gagananchal" وكلها يصدر أربع مرات في السنة.

والمراسلات المتعلقة بالاشتراك في الطباعة والنشر توجه إلى:

EDITOR, Thaqfatul Hind
The Programme Director (Pub.)
Indian Council for Cultural Relations
Azad Bhavan , Indraprastha Estate
New Delhi-110002 (India)
E-mail: editor.thaqafatulhind@gmail.com

ويدفع الثمن لـ:

The Programme Director (Pub.)
Indian Council for Cultural Relations
Azad Bhavan , Indraprastha Estate
New Delhi-110002 (India)

يمكن الوصول إلى المقالات المنشورة في مجلة "ثقافة الهند" على الموقع الالكتروني التالي:

www.iccr.gov.in/library&publications/journals

حقوق جميع المقالات المنشورة في ثقافة الهند محفوظة فلا يجوز نشرها بدون الإذن الخطي، والآراء التي تحويها المقالات هي آراء شخصية للمساهمين والكتاب ولا تعكس سياسة المجلس بالضرورة.

بدل الاشتراك للمجلات الصادرة عن المجلس:

ثمن النسخة	الاشتراك السنوي	اشتراك ثلاثة أعوام
25 روبية	100 روبية	250 روبية
10 دولارات	40 دولارا	100 دولار
4 جنيهات	16 جنيها	40 جنيها

نشرها وطبعها السيد ستيش چند ميهتا، المدير العام للمجلس الهندي للعلاقات الثقافية – آزاد بهوان، نيودلهي، الهند.

ثقافة الهند

المجلد 66، العدد 3 ، يوليو - سبتمبر 2015

- كلمة إدارة التحرير
- **شنكر آجاريا وجهوده في نشر الفلسفة "اللاثنائية" (أودويتا)** 1

عبد الجليل فانتهان فيتل

- **جهود المسلمين في نشر التراث الإسلامي في شبه القارة الهندية: مجلة "الندوة" الأردية نموذجًا** 24

صاحب عالم الأعظمي الندوي

- **تطور الأدب العربي الصوفي في الهند** 66

أ. د. مه جبين أختر

- **يوغا شادانغا من فلسفة شيفا الكاشميرية** 92

د. راجنيش مشرا

ترجمة: أ.د. مجيب الرحمن

- **دلهي في عصر السلطان محمد تغلق شاه كما يراها ابن بطوطة** 113

د. قمر شعبان الندوي

- **العلاقات الثقافية المصرية الهندية عبر التاريخ** 129

أ.د. أحمد محمد أحمد عبد الرحمن

- **شاعر الشعب الهندي "تاغارجون"** 139

د. محمد أيوب الصديقي

- **ترجمة كتب السيرة النبوية من اللغة الأردية إلى اللغة العربية وعلى العكس** 149

  د. محمد أنظر
- **البروفيسور محمد سليمان أشرف معلما و كاتبا** 177

  د. نعيم الحسن الأثري
- **الزهرة الساقطة . إبداع الحِكَم والإلهام** 198

  د. جمال الدين الفاروقي
- **الأنشطة الثقافية العربية في العاصمة الهندية** 208

  أ.د. حبيب الله خان

<u>قصة قصيرة مترجمة</u>

- **رقصة الجنون** 219

  سيد رسول بونبور

  ترجمة: د. منظور أحمد خان

كلمة إدارة التحرير

إن الهند تعرف في جميع البلدان العربية لاهتمامها باللغة العربية وإنجازاتها فيها وعنها وعن الشعوب العربية وهي دائما توجد على أهبة الاستعداد للتعاون مع الدول العربية. هناك روايات مؤكدة أن العلاقات الهندية–العربية يرجع تاريخها إلى الزمن السحيق السابق لميلاد المسيح وحتى في ذلك الوقت وجد أناس هنود يتفاهمون مع التجار العرب الزائرين عن طريق استخدام اللغة العربية نخمّن أن يكون عكس ذلك أيضا صحيحا. حتى ولو أهملنا روابطنا قبل التاريخية، فإن روابطنا مع الدول العربية منذ ظهور الإسلام لغاية الآن ودية وتعاونية والفضل في ذلك يرجع بالإضافة إلى الروابط التجارية إلى الروابط الدينية. فمنذ ورود الإسلام إلى الهند وقبوله من الهنود وانتشاره في كل أنحاء البلاد تقوّت صداقتنا مع الدول العربية وتقريبا تبنينا اللغة العربية وأخذنا على كواهلنا مسؤولية تدريسها وترويجها في الهند وبالنتيجة تدرس اللغة العربية في عدد كبير من الجامعات العصرية الهندية التابعة لحكومة الهند ولحكومات الولايات الهندية حتى الدكتوراه وذلك إلى جانب عدد كبير جدا من المعاهد المتخصصة في تعليم اللغات وألوف من المدارس الإسلامية الصغيرة والكبيرة في كل الهند – في المدن والقرى – حيث يتم تدريس اللغة العربية جنبا لجنب المعارف الدينية مثل الحديث الشريف والفقه الإسلامي وتحفيظ القرآن وما إلى ذلك. وهكذا، فإن اللغة العربية لا تساعدنا في الإطلاع على فهم الدين

فحسب بل أيضا يعيننا على التعامل مع العرب في مختلف المجالات الحياتية. ومن الجدير بالذكر أن الحكومة الهندية بجانب ضم الدراسات العربية في الجامعات العصرية خصصت أيضا منحا دراسية لطلبة اللغة العربية كما للغات والكورسات الأخرى وجوائز مالية مع شهادات الاعتراف بالخدمات المقدمة من الأساتذة الجامعيين وأولئك من المدارس الإسلامية لترويج اللغة العربية في الهند. يمنح رئيس جمهورية الهند ثلاث جوائز مالية وشهادات كل سنة للأساتذة البالغين ستين سنة من العمر المتفوقين في مجال تدريس اللغة العربية في الجامعات والمدارس الإسلامية وذلك إلى جانب جائزة مالية لأساتذة اللغة العربية الشباب في الجامعات دون الخمس وأربعين سنة من العمر.

حتى وقت قريب كانت دراسة اللغة العربية مقتصرة على المسلمين ولكن منذ فترة غير قصيرة مع ظهور فرص العمل في مختلف المجالات في الدول العربية، بدأ اهتمام الهنود بدراسة اللغة العربية على اختلاف الديانات والمعتقدات وكما نرى يتعلم الهندي هذه اللغة من غير مشاكل تذكر وذلك لأن كل لغة هندية توجد فيها كلمات عربية وحتى الأصوات العربية الخالصة لاتكوّن تحديا واقعيا للهنود.

هذا ونخرج في الوقت الحاضر عددا لا بأس به من الصحف الدورية من بعض الجامعات والمدارس الإسلامية والصحف اليومية والمجلات الشهرية ونصف الشهرية والأسبوعية التي تشمل محاولات هندية في اللغة العربية ومنها هذه الدورية "ثقافة الهند" التي يصدرها المجلس الهندي للعلاقات الثقافية كل ثلاثة أشهر منذ حوالى نصف قرن ونستمر في محاولاتنا في استخدام وترويج اللغة العربية في الهند والمساعدة المعنوية من الناطقين بالعربية سوف يؤدي دورا مهما جدا لزيادة تقوية معنويتنا وإفادية اللغة في الهند وانتشارها المستمر – والله المستعان.

إدارة التحرير

شنكر آجاريا وجهوده في نشر الفلسفة "اللاثنائية" (أودويتا)

عبد الجليل فانتهان فيتل*

{شنكر كما فهمنا هو أكبر وأشهر شراح البراهما سوترا كما أنه أشهر وأكبر شراح أبانيشاد، وبكوت كيتا، ولقد بث شنكر مؤسس المذهب اللاثنائية أو أودايتا آراءه المختلفة في هذه الشروح وفي كتبه المستقلة الأخرى، ومن غضون هذه الكتب، والتعليقات أسس شنكر مذهبا خاصا يوافق مع من سبقه حينا ويخالف معهم حينا آخر، وهذا المذهب المعروف بأودايتا يقوم على القول بأنّ الآتمان هو البراهما، وهو الحقيقة الواقعية الوحيدة، وأما ما عداه فهو زيغ وزائل وهذا نتاج "أويديا" أي الجهل و"مايا" (ظواهر الأشياء)، شنكر كرس حياته لنشر هذه الفلسفة في جميع أنحاء الهند حتى لا يكون مكان في الهند إلا ولهذه الفلسفة أتباع وعشاق، وأسس شنكر لهذا الغرض أربعة أديرة في أربع مناطق مختلفة في الهند، ثمّ اختار أربعة سنياسين ليتولوا أمور هذه الأديرة الأربعة وأن يدعوا الناس إلى فلسفة اللاثنائية، وهكذا انتشرت فلسفة اللاثنائية في الهند كما أراد شنكر وغلب على الأخرى من الفلسفة المختلفة}.

الفيلسوف شنكر من أعظم من أنجبته الهند من الفلاسفة ولا يشك فيه من اطلع على كتبه وتفسيره للكتب المقدسة ذلك القدر العظيم لأنه قد حظي من نفاذ البصيرة وما يتمتع به من روحانية وشفافية، ويتفق شنكر مع بعض مفكري العالم

* باحث في مرحلة الدكتوراه في قسم الفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر.

العظيم مثل أفلاطون وأفلوطين وسبينوزا وهيجل في تعريف الفلسفة بأنها الرؤية المكينة للحقيقة السرمدية، وأنها تترفع عن التشبث بأمور الحياة البشرية الزائلة.

وهو فيلسوف وشاعر، وباحث في العلوم، كما أنه قديس، وهو صوفي، كذلك مصلح ديني، ومثل هذه المواهب تستبين للباحث من خلال دراسة أعماله: فيعتبره البعض عبقرية سياسية داهية تسعى لأن تفرض على الناس معنى الوحدة في زمن تفككت فيه عرى المجتمع الهندي وتصدعت قواعده، ويصفه البعض الآخر بأنه فيلسوف هادئ الطباع دمث الأخلاق يصبوا لإيضاح نقائض الفكر والحياة على حين يقرر البعض الثالث بأنه صوفي يصرح بأننا أعظم مما نعلم، ويستوقف البعض الرابع عناده ولجاجه في محاوراته[1].

ويحسن معرفة هذا الرجل العبقري، الفيلسوف القدير بالاطلاع على أعماله وجهوده دون الخوض في تفاصيله لأنه لعب دورا مهما في الحفاظ على أصالة الفكر الهندي من الضياء ولأنه مرجع كثير من المفكرين والساسة المتأخرين عنه زمنا، ويحسن البداية بالحديث عن تاريخ مولده إذ يختلف الباحثون في تحديده، ثمّ بتأثره بفلسفة الويدانتا، ويختتم البحث بجهوده العظيمة التي تنعكس في أعماله ومدرسته، ويقسم هذا البحث إلى مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

المبحث الأول: شنكر وتأثره بالمدرسة الويدانتية (Vedanta)

المطلب الأول : حياة شنكر :

مولده ونشأته :

ولد الفيلسوف شنكر جاريا (Sankaracharaya) على أصح الروايات وأشهرها في مايو عام 788م، وكان مولده في بلدة كالدي (Kaladi) وهي قرية قريبة من آلُوا (Aluva) مقاطعة أيرناكولم (Eranakulam) في ولاية كيرالا (Kerala)، أقصى جنوب الهند، وبدأ حياته هادئا مطمئنا تحت حنان أمه وتعليم أبيه[2].

ولقد اضطرب رجال التاريخ في تحديد مولده، وذكر آر جي بندراركار (RG Bhandarkar) تاريخا لمولده قبل هذا التاريخ بقرنين، وقد ذكر تالانج (Telang) تاريخا آخر، وأما ماكس مولر (Max Muller) وماك دونل (Mac Donnel) وكيت (Keith) أيدوا التاريخ الذي ذكرناه[3]، ونحن نرجح هذه الرواية لأنه هو الراجح عند "باتماباتاجاريار" (Padmapadacharyar) تلميذه المفضل، وعنده كتاب قديم مكتوب في أوراق الأشجار محفوظ حتى الآن في معبد مدينة تريشور (Thrissur) في ولاية كيرالا، وعلاوة على ذلك هذه الروايات تتفق مع رواية عدد غير قليل من المؤرخين والشعراء العباقرة[4].

واضطرب رجال التاريخ أيضا في الحديث عن مكان مولده وطفولته، فذهب الأكثر إلى أنه ولد في قرية كالَدي (Kalady) قرب آلُوا(Aluva)، ولكن القليل يرى أنه ولد في جيتامبارام (Chidambaram) في ولاية تامل نادو (Tamil Nadu)، وهذا الرأي مرجوح لما فيه اختلاف على اسم أبيه شيوا غورو (Shivaguru) وأمه آريمبا (Aarymba) ومكان وفاته[5] وينسبه الجميع إلى فرع "نامبودري" (Nambudiri) من فروع طائفة البراهما المعروف بالورع.

وحياة شنكر كانت زاخرة بالعبادة حافلة بالتعليم منذ نعومة أظفاره، فلم يكن من الميسور أن يجد وقتا يشغل فيه باله في أمور غير علمية كأنه قد عرف دوره في المستقبل، وحياته كان أسطوريا لم يضيع لحظة واحدة في غير العلم والعبادة والفكر، وقد تعلم كتب فيدا الأربعة في سنّه الثامنة واطّلع على كافة الأسفار الهندية المقدسة واستوعبها وهو لم يتعدّ العاشرة، وعلاوة على ذلك أنه لم يأخذ القلم بعد أن بلغ عمره السادسة عشر لأنه كتب كلّ ما يحتاج من تفسير وشروح وتعليق من قبل.

ويقال إنه استطاع أن يتقن اللغة بالفصاحة عندما بلغ ستة أشهر وأن يحفظ كل ما يسمع، وكان يسمع ويتعلم من أبيه عندما يلقي درسه على الأطفال الذين يأتون إليه، ويحلل شكوكه عندما يكون الأب فارغا غير مشغول، وكان يسمع من أمه تعاليم بورانا(Purana) ويصغي إليها حتى عطش إلى طلب العلم، وقد تعلم من

أبيه في سنه الصغيرة كتب السنسكريتية الابتدائية مع إجادة قرائة كتب بَكَوَت كِيتا(Bhagavat Gita) ووِيشنُو سَهَسرَناما(Vishnu Sahasra Nama) وبعد أن بلغ الخامسة من عمره تعوّد على الاستيقاظ في الصباح ثمّ الذهاب إلى المعابد بعد الاستحمام، وبعد عودته منها يجلس أمام الأب مع الأطفال ليتعلّم "ويدا" ثمّ "بورانا" وغيرها من الكتب المهمة، وهكذا كانت حياته حتى وافت أباه المنية.

وكانت وفاة أبيه صدمة لأمه أكثر منه له إذ تحيرت حينما تتفكر عن مستقبل ابنها وعن تعليمه، وهذا الطفل اليتيم الوحيد إذا أهمل أمره وترك دراسته ليكون العقاب عليّ إذ أظهر في صباه ذكاء عديم المثيل وأخلاقا قليل النظير، وتفكرت في الأمر جلية حتى ظهر أمامها اسم "أننتا ناراينا شاستري"(Anantha Narayana Shastry). وقد تتلمذ شنكر عليه وأخذ عنه النحو والمنطق والمناظرة والشعر والمسرحية حتى أصبح موضع رضا أستاذه وقوله:"لا تتصور أحدا من معاصريه أحاط بما أحاط به شنكر علما وحفظا وإدراكا وخلقا"[6].

ولم يمكث شنكر عنده أكثر من سنتين إذ درس كلّ ما أوتي من علمه، فاستأذن منه للرجوع فأذن له بعد أن أعطى له الإجازة في كلّ ما أحاط به من علوم، وبعد أن نصحه بأن لايترك طلب العلم مهما بلغ لأن العلم بحر لا آخر له.

ولماّ وصل قريته كالدي ومكث مع أمه ليالي يُرى مهموم النفس مكسور البال فسألته أمه عن ما يهمه فقال ما قاله معلمه عند فراقه وأبلغ عن رغبته لتنفيذ ما قاله وعن صعوبة منال معلم متبحر في تعاليم "ويدا" وما يتعلق به، ولمّا عرفت أرق جفونه وسبب اضطرابه، وعرفت أنه ليس هناك أي عائق حائل دون السفر إلا إذنها، أذنت له وطلبت منه أن يعد عدة السفر والزاد له.

رحلاته الروحية :

غادر شنكر مكان مولده كالدي متوجها إلى الشمال، وفي أثناء الطريق وجد معبدا فأراد أن يقضي ليلته حتى يرتاح جسده وتهدأ أعضاؤه فرأى في الباب شيخا هرما يجلس، فلما رأى هذا الشيخ الرجل القادم إليه أخذ يسأل عن قدومه وأحواله،

فتطرق الحديث بينهما إلى غووِيندا باكوات بادر(Govinda Bagavad Padar) وعلوّ مكانته وقوّة علمه وجلالة شأنه وصفاء باطنه، وهاج الحنين في قلبه إلى رؤية غورو[7] (Guru) "غووِيندا" وقال شنكر في نفسه إنّ هذه الصحبة أعطت له مزيدا من الزاد ويقينا أنّ التعلم عند حضرة غووِيندا نعمة قلّما ينال الرجال مثلي فلا بدّ أن يعيها وأن لا يُضيِّعها[8].

واتجه شنكر إلى جبل على قرب نهر نارمدا وعرف من قرية قريبة عنه أنّ غورو"غووِيندا" يقضي حياته منعزلا عن الناس وأنّ الكثير مثلي ينتظرون رؤيته ويرغبون في لقائه، ولمّا وصل إلى الجبل، وقف على باب غار فيه وقفة طالب مؤدب حتى يأذن له.

دخل شنكر على "غووِيندا" فكأنه كان على ميعاد، أكرمه وبالغ في الحفاوة به والعطف عليه، وكان القدر أن يكمّل شنكر في صحبة هذا المعلّم مسيرة التكميل الباطني والتبحّر في العلوم، فأثمر هذا القران السعيد واللقاء العجيب أثمارا ثمينة وأشياء معجبة، ونال شنكر ما نال من التربية الروحية التي كانت الحاجة تشتد إليها في الوسط الروحي السائد في الهند، وأن يستعدّ عن طريق هذه التربية والتعليم للقيام بالأعمال التجديدية والإصلاحية من نوع جديد، فيعيد الهندوسية إلى نصابها تابعة لل"ويدا" و"الأبانيشاد" ويربي الناس ويسمو بهم إلى المقامات الرفيعة ومراتب الزهد العالية بترك الشهوات وينقلهم من الوسائل والأسباب إلى المقاصد والغايات أي اللاثنائية أو الوحدة، ومكث شنكر عند غورو ضيفا طيلة أربع سنوات.

ولمّا أراد شنكر السفر، استأذنه فأذن له فعبر معلمه قائلا: "إنك أنت قد بلغت من المجد والكرم قمته وبلغت من العلم والتربية ذروته فعليك الآن أن تلبي حاجات الناس وأن تضيء الهند والعالم بالفلسفة والعلم التي أخذنا نحن كابرا عن كابر وأن تتجه إلى كاشي[9] (Kashi) حيث يحشد الناس ليسمع منك"، ولم يضيع شنكر بعد هذه النصيحة وقتا حتى يخرج إلى كاشي، فلمّا وصل كاشي، ألبسه ساكنوها خرفة المعلم والمربي لتعليم الطالبين وإرشاد السالكين، وهناك طفق يخطب

ويناقش ويحاور حتى أن يخرج منه، ثمّ انتقل من مكان إلى مكان معلما ومدرسا ومحاورا ومناقشا، وكان أصحاب المدارس المختلفة والمفكرين العظام يخافونه لأنهم يعرفون ألا قدرة لهم للدفاع عن فلسفهم ومدارسهم، وهكذا كان يجول البلاد ويزور العباد، ولم يزل على هذا النمط من السفر حتى وصل إلى كاشمير، ولم يستطع أن يقضي حياة طويلة في ذروة الجبل، لأنّ للجميع قدر مقدور، وتوفي شنكر سنة 820م بعد أن قدّم للعالم فلسفة تكاد لا تجد نظيرا لها، ودفن شنكر في جبال كاشمير[10].

المطلب الثاني: تأثره بمدرسة ويدانتية:

تعريف بالمدرسة:

إنّ فلسفة "ويدانتا" (Vedanta) تلفت أنظارنا أكثر من غيرها حينما ننظر إلى ديانات وفلسفات الهند الكبرى لا بمجرّد أنها تحتوي على مسائل ميتافيزيقية مهمة بل بتعلقها بديانة الهند وببقائها أكثر على غيرها في الجزيرة من مدارس الفكر.

وكلمة "ويدانتا" تعني "خاتمة ويدا" أو "آخر ما ألحق بويدا" أي "أبنيشاد" وكانوا ينظرون بالفعل إلى "الأبنيشادات" على أنها نتيجة للويدا وتتويج لها، أمّا كتاب "ويدانتا سوترا" (Vedanta Sutra) المعروف بـ"براهما سوترا"(Brahma Sutra) أو "شاريريكا سوترا"[11] (Sariraka Sutra) عرض كامل لمذهب براهما المندثر في أبانيشاد، وقد دوّن "الويدانتا" بشكل نهائي في "سوترات" (Sutras) "بادراينا" (Badarayana) الذي كان زعيم هذه المدرسة ربما عاش في القرن الرابع للميلاد[12].

"وكلمة "سوترا" تعني الخيط، ومعناها المجازي هو"الحدّ" وقد استعيرت الصورة من عملية النسيج، فـ"البراهماسوترات" تشبه إذن بخيوط السداة المخصصة لأن تربط بلحمة شروح المعلم الشفهية لتشكل نسيج المذهب الكامل، وإذ أخذنا هذه

الجمل التي تهدف إلى تقوية الذاكرة وتثبيتها كلا على حدة وجدناها تكاد تكون غير مفهومة أحيانا لشدة الإيجاز".

"في سوترات "بادراينا" الخمسمائة وخمسة وخمسين عرض مذهب الأبنيشادات بطريقة يستخدم فيها في الوقت نفسه لدحض آراء السمكيا(ولهذا لم تتبن البراهمانية هذه الآراء) والجاينية والبوذية"[13].

وجدير بالذكر هنا أنّ "أبنيشادات" يتناول القضايا الكثيرة التي قد يكون آخرها متناقضا أو متعارضا للأول لأنها لم يكتبها رجل واحد وفي عصر واحد، وأمّا "برهما سوترا" وهي محاولة في جمع آراء "أبنيشاد" المتعلق بالروح والإله واالعالم على نحو منسجم، وترك مالا يتعلق بها من القضايا، وقد يرى البعض مثل ما رأى آلبرثو يتزر أنّ برهما سوترا: "لم تتمكن أن تضفي على مذهب الأبنيشادات إلا وحدة ظاهرية ولم تنجح في التوفيق بين صوفية اتحاد النفس الفردية مع النفس الكلية وبين مذهب التناسخ لأن هذا التوفيق مستحيل في ذاته، ومن جهة أخرى لم تصل "البرهما سوترا" قطّ إلى أعماق المشاكل التي تتضمنها الأبنيشادات وإنما اجتهدت بمهارة في أغلب الأحيان لكي تجد تسويات مفيدة[14]".

ولا يحسن في إطار البحث عن تأثر شنكر بـ"المذهب الويدانتي" أكثر من هذا، فلنرجع إلى بيان الحديث عن التأثّر، وكما فهمنا من قبل إنّ أوّل معلم شنكر كان أبوه، وهو لم ينس أن يعلّم أو يحرّض ابنه على التفكير في "برهما" الإله، وسؤال شنكر حينما يمشي مع أبيه ذات يوم خير دليل على هذا، وهو يقول:يا أبي! هل في هذا الأرض شيء لا يفنى؟ فأجاب أبوه قائلا: "لم لا، "البرهما" هو لا يفنى هو الوحيد يبقى بعد فناء الجميع، يا بنيّ أما تعلّمت في "بهاكوتكيتا" أنّ العالم غير موجود بالفعل وإن كان موجودا في الوهم وأنّ الحق الوحيد الذي يبقى موجودا هو براهما"[15].

تأثره بفلاسفة هذه المدرسة :

الفيلسوف كَودَبّادا (*Gaudapada*)

الفيلسوف "كودبّادا" هو أوّل من شرح فلسفة "اللا ثنائية" أي أدوايتا (Advaita) أو "وحدة الوجود" بمنهجية في كتابه المعروف بـ"ماندوكيا كاركا"(Mandukya Karika)، ولقنها للمفكر "غووبندا" (Govinda) الأستاذ المباشر لشنكر، ويقال إنه عاش خلال فترة بداية القرن الثامن الميلادي أو أواخر القرن السابع، ويقال أيضا أنه كتب شرحا لكتاب "أتّركيلا"(Uttaragila) وقد بيّن في كتابه المعروف بـ"كاركا" كلّ ما يتعلق بمبادئ فلسفة "اللاثنائية" من مراتب الحقيقة، مثل حقيقة"برهما" وآتمان (Atman) ومايا (Maya) أي الظواهر ونجانا (Njana) أي العلم أو المعرفة وعجز العقل في إدراك اللاشيء المطلق[16].

ولا يبعد عن أذهاننا تأثير أستاذه "غووبندا" في تكوين فلسفة "اللاثنائية" إذ بدأ درسه لشنكر بتدريس أربعة أصول أساسية تعرف بـ"الأعمدة الأربعة لأبنيشاد" ألا وهو "بْرَنْجانَمْ بْرَهْما"(Pranjanam Brahma) أي الشعور هو برهما، و"أَهَم برَهماسمي"(Aham Bramasmi) أي أنا برهما و"تاتوامَسي"(Tatvamasi) أي أنت هو ذاك، وأَيَمْ آتْما بْرَهما"(Ayam Atma Brahma) روح الإنسان هو برهما، وهذه الأصول الأربعة تدور عليها فلسفة اللاثنائية أو وحدة الوجود[17].

وقد كثر القائل عن تأثير "ويدانتا" في حياة شنكر وفي تصوير فلسفته، ويكفي لنا ما قاله هو نفسه في شرحه لكادكا(Kataka) لأنّ شهادة الرجل على نفسه أقوى وأدل من شهادة غيره، وهو يقول: "وينصحكم "ويدا" أكثر مما ينصحكم آلاف الأمهات، عليكم أن تتبعوا تعاليم "ويدا" وتحترمه[18] ثمّ يقول في مكان آخر: "إنّ تعاليم أبانيشاد تقوم مقام الفواكه التي تقدمها الأمهات لأطفالهن وقت بكائهم، وهكذا يقدم أبانيشاد راحة وطمأنينة للقلوب المتفجرة والمؤلمة والمتسخة بثقافات فاسدة طوال سنين"[19].

ولا غرو أنّ شنكر يؤمن إيمانا يقينا أنّ اللاثنائية هي لب تعاليم "الويدا" و"الأبانيشاد"، وأنّ الويدا يقوم مقام الأمّ، وكم يتأثر الطفل بنصيحة أمه، وأمّا الأبانيشاد يقوم مقام الفواكه عند البكاء والأنين، ويرغب الطفل في بلوغها وأكلها.

وهكذا كانت تأثره بمدرسة الويدانتا وفلاسفتها حتى لا يمكن أن يفهم اللاثنائية إلا بها، ولا يمكن أن يفهم "الويدانتا" إلا بتعليقاته وشروحه، وشنكر لم يتبع منهج المتقدمين شبرا بشبر بل حوّله إلى اللاثنائية التي يقول بعض المؤرخين إنّ الويدانتا تشمل اللاثنائية وغيرها من الأفكار، وأيا كان الأمر، يجدر بنا أن ننظر كيف استطاع شنكر بحياته القصيرة أن يؤسس مذهبه "اللاثنائية" وأن يغلب على الآخرين، وهذا ولا شكّ بأعماله الكثيرة وبإنشائه الأديرة، ولذا يحسن بنا أن ننظر إلى جهوده التي تبلورت في إنشاء الدير وتأليف الأعمال.

المبحث الثاني: شنكر وجهوده في نشر الفلسفة اللاثنائية:

المطلب الأول: دور الدير في الفلسفة اللاثنائية:

المذهب الفلسفي المعروف باللاثنائية أو"أدوايتا" هو فكرة تقول إنّ الله (براهما) والروح (آتمان) شيء واحد، والفيلسوف "شنكر" اشتهر بهذه الفلسفة حتى يبادر اسمه إلى الذهن عندما تسمع كلمة "اللاثنائية" وغني عن الذكر أنّ الوصول إلى هذا العلم لا يكون إلا بشروط وقواعد[20]، ومن بين الشروط التي اشترط شنكر للوصول إلى تحقيق هذه الغاية اكتساب الفيلسوف الضبط لنفسه والصبر والهدوء، ولا بدّ له أن يروض نفسه على الحياة المترفعة عن الإغراء الجسدي والمشاغل المادية، ويجب عليه أن يشعل في أعماق نفسه رغبة في "الموكشا" (Moksha) ومعناها التحرر من الجهل، والقضاء على كلّ الشعور بنفسه الفردية المنفصلة عن سواها، والاندماج السعيد في "براهما" الذي هو المعرفة الكاملة والاتحاد اللانهائي[21].

ويبدو من هذا أنّ من أراد "الموكشا" أو المعرفة أو الاتحاد وهو ليس بحاجة إلى منطق العقل بقدر ما هو بحاجة إلى تطهير الروح ورياضتها رياضة تزيد أغوارها عمقا، وتطهير الروح يطلب أن يزهد في ترف الدنيا، والزهد يطلب أن ينخرط

في سلك "السنياسين" (Sannyasini) كما انخرط "شنكر" في سلكه منذ أن كان يافعا.

وفي الديانة الهندوسية ترى اهتماما بالغا لـ"سَنْياسَة"(Sannyasa) إذ تمّ فيها نظرية مراحل الحياة أو "الآشْرَماتْ"[22] (Ashramas) ويتمثل تراث "الآشرما" الإجتماعي في سلسلة من المراحل في الحياة، تصنف بحسب الأنشطة الملائمة لكل مرحلة، والمرحلة الأولى هي مرحلة الدراسة أو "البْرَاهمَاجارْيا" (Brahmacharya) والمرحلة الثانية مرحلة المشاركة في المجتمع أو "كْرِيهَاسْتا" (Grihastha) والمرحلة الثالثة مرحلة التقاعد والتباعد من العالم الإجتماعي أو "وانابْراسْتا" (Vanaprastha) والمرحلة الأخيرة مرحلة الرهبنة والسلوك والرياضة أو "سنياسة" (Sannyasa)، يجدر بنا النظر إلى أهمية "سنياسا" لما لها علاقة باللاثنائية و"بالموكشا" وبالأديرة الأربعة[23].

شنكر وإنشاء الدير:

عند نهاية القرن الثامن وبداية القرن التاسع الميلادي أخذ موقف الهندوس يتغير تجاه "السنياسة" من ريبة واتهام إلى قبول وأخذ، وذلك بفضل جهود "شنكر" بإنشاء الدير في أربع جهات الهند المختلفة، إنّ "شنكر" – هو صاحب الطرق الصوفية المنظمة المستمرة حتى اليوم– فهم ضرورة تحويل فكرة "السنياسة" أو التزهد إلى تنظيم شامل بحيث يستطيع من خلالها نشر تعاليم "ويدانتا" إلى الناس على أنها هي التراث الهندي الوحيد، وفهم "شنكر" أيضا أنّ دعم مثل هذه المؤسسات يساعد لا على مجرد تقوية التجربة الروحية الشخصية، بل، على وحدة "السنياسين" الذين انضموا إلى هذه المنظمات، وفهم ضرورة مشاركة هذا"السنياسين" في حياة الناس اليومية، وهكذا أخذت "السنياسة" نوعا من الحياة الإجتماعية بعد أن كانت منعزلة عن الناس، ومن ثمّ بدأت تزول غيرة الناس وكراهيتهم تجاه "السنياسة".

قسم "شنكر" الهند إلى أربعة مناطق لكي تنتشر فكرته "اللاثنائية" في الهند كلها، وأسّس فيها أربعة أديرة، وهذه هي الأديرة "جْيُوتي" (Jyoty) في "بَدَرِي"

(Badri) في شمال الهند، و"شَارَدَابِيدَا"(Saradapitha) في "دْوَارَكَا"(Dwaraka) في مغرب الهند، و"كُووَارْدَهْنَا" (Govardhana) في "بُورِي" (Puri) في مشرق الهند، و"سْرِينْكيرِي" (Sringeri) في مَيْسورْ (Mysore) في جنوب الهند، وكانت هذه المؤسسات على مراد انتشار فكرة "اللاثنائية" التي تجمع سكان الهند من الهندوس بغض النظر عن طبقتهم، وبهذه الأديرة الأربعة انتشرت فكرة "اللاثنائية" ومعها الحياة الروحية في أنحاء الريف، وأطراف الهند المختلفة[24].

إنّ شنكر لم يكتف بمجرد إنشاء أديرة في مناطق مختلفة، بل بدأ معها بتنظيم "السنياسين "وتقسيمهم إلى "دَهْشَنَمِيسْ" (Dasanamis) أي عشرة أسماء، المقصود هنا الطرق، (1) "غِيرِي" (Giri) أي الهضبة،(2) "بُورِي" (Puri) أي المدينة، (3) "بَهارَتِي" (Bharati) أي التعلم، (4) "وَنَة" (Vana) أي الخشب، (5) "آرَنْيا" (Aranya) أي الغابة، (6) "بَرْوَاتا" (Parvata) أي الجبل، (7)"سَاكَهرا" (Sagara) أي البحر، (8) "تيرْتَا" (Tirtha) أي المعبد، (9) "آسْرَما" (Asrama) أي الصومعة، (10) سارَسْواتي (Saraswathi) أي العلم الحقيقي، ويُنسَب كلّ "السنياسين" إلى إحدى هذه الطرق العشرة مثلما ينسب المتصوفة المسلمون إلى طرقهم مثل القادرية أو الرفاعية أو غير ذلك، فمثلا يدعى من نسب إلى "بُوري" (Puri) "بُورِي مَتَاتِيبَدِي"(Puri Matathipathi) أي شيخ أديرة "بوري" أي المدينة، وكلّ هذه الأسماء ترمز إلى معاني عميقة للوصول إلى "اللاثنائية" فمثلا "تعلّم سريعا ولا تقلق، كن كالجبال مستقرا، لأنّ الحقيقة عميقة مثل عمق البحر[25] .

أهداف الدير:

ويقال إنّ سرّ تأسيس هذه الأديرة الأربعة إلزام "السنياسين" على رياضة شاقة، وسلوك دائمة، المعروفة عند الهندوس "مَهَانُوشَاسَنْ" (Mahanusasan) أي الانضباط الكبير، وحكي عن "شنكر" عن هدف هذه الأديرة أنه قال : "أن يكون على الإخلاص، ومولعا بحبّ "ويدا" وعالما بكلّ علوم الهندوسية، ومالكا لجميع حواسه، ولو اتصف أحد بهذه الصفات المحمودة فله الجلوس في مقعد رئاسة هذه

الأديرة وإن جلس أحد بغير هذه الصفات فعلى الجميع أن يبدلوه"[26]، "ومسؤلية هذا الرئيس أن يتجول فيما حوله ليدعو الناس إلى هذه الفكرة، وأن يكون معهم ناصحا وخطيبا، وجميع أموال هذه الأديرة تنفق في سبيل هذه الدعوة، ولا علاقة للرئيس بهذه الأموال لأن قلبه متوجه إلى "براهما" فقط ولا ينبغي أن يكون مشغولا بشيء سواه"[27].

ويبدو من هذا أنّ هذه الأديرة ساهمت في تغيير حياة "السنياسين" إذ هم كانوا يختارون الغابات والجبال مقرا لهم لكي يتم عزلتهم، ولكي تفرغ قلوبهم من هموم وغموم ما يجري حولهم، وهذا التغيير الذي ألزم "شنكر" عليهم أفاد اندماجهم في المجتمع بحيث يستطيعون من خلالها أن يطهروا الناس من شهواتهم ورغباتهم، وأن يحيوا فيهم روح الدين ومحبة الآخرين.

وجدير بالملاحظة هنا أنّ هذه الأديرة ساعدت في تغيير ثقافة الطبقات المتخلفة إلى ثقافة الطبقات العليا رتبة، وذلك أن يترك الطبقات المتخلفة عاداتهم، وطقوسهم، وعباداتهم، وطريقة حياتهم ثمّ يقبل عادات، وثقافات، وطقوس الطبقة العليا، وهذه الأديرة تسنح لهم الفرصة لمثل هذه الأشياء، لأنّ هذه الأديرة لا تقبل تقسيم الناس إلى طبقات مختلفة، أو بأي نوع من الحدود، وعلى منظور هذه الأديرة، إنّ "السنياسين" فوق كلّ هذه الطبقات، والإختلافات، وفوق جميع العادات والعبادات[28].

يقول "شنكر" من علم وحدة "الآتمان" والنفس، يزول عنه الشعور بالثنائية"[29] وفي هذه الأديرة "ٱلْنْجَانَةْ"[30] العلم هو الغاية العظمى، ولا مجال فيه للاختلاف، والتشتت، ولا فرق بين طبقة وأخرى، ومن حقق هذا العلم، هو بمثابة الإله سواء كان هو من طبقة المنبوذين أو من طبقة "البراهمنا"[(31)].

وقد استطاع "شنكر" من خلال هذه الأديرة أن يزيل الاختلافات القائمة بين الطبقات وبين أتباع مختلف العبادات، وقد فسّر شنكر الطبقة "البراهمنا" على أنه نهاية مرتبة "السنياسين" التي بها يدرك أنّ"البراهما" هو"الآتمان".

المطلب الثاني: دور أعمال شنكر في الفلسفة اللاثنائية:

لقد خلف الفيلسوف شنكر فيما خلف من مصنفات تألف منها تراثه الروحي الضخم الرائع، فأغنى الفكر الويدي والأبانيشادي بمؤلفاته التي لا تحد ولا تعدّ سواء كانت شرحا أو تفسيرا أو تعليقا، ولا تقف هذه الأعمال عند حد الظاهر والباطن، لكثرتها ومبلغ اجتهاده في تصنيفها حيث التزم العزلة والإنفراد لكونه في حالة تتكشف عليه الإلهامات، والتجليات حسب تعبير من تعلّم عنه من علماء الهندوس.

تدلّ هذه المؤلفات على سعة باعه وعلو كعبه في العلوم الهندوسية الغامضة على كثير من المفكرين الهندوس، وأنه بلغ بها مبلغا في الاختراع والاستنباط وتأسيس القواعد والمقاصد بحيث لا يمكن أن يقترب إليها أحد، ولا يمكن أن يدريها ولا يحيط بها إلا لمن تعمق في اللغة السنسكريتية والعلوم الويدية والأبانيشادية، غير أنه وقع له في بعض تصانيفه كلمات كثيرة أشكلت ظواهرها، وكلمات كثيرة تكررت في مواطن متعددة أشكل على الكثير جمعها وفهمها على معناها الصحيح، وكانت هذه الكلمات المتكررة سببا لدعاوي باطلة مثل دعوة أنه يقرّ بالآلهة الستة المعروفة لدى الهندوس بـ"شَنْمَتَمْ"[32] ولم يقل أحد ممن ادعى بالبطلان كما قال غيرهم من المحققين والعلماء في كتبهم لأنّ ما أوهمته تلك الظواهر ليس هو المراد، وإنما المراد أمور تبينت من كتب أخرى له، فإنه لا يقر بشيء يبطل قوله الأول في الثنائية، وكيف يتصور أنه يسلم فكرة تعدد الآلهة ويعمل لأجلها وهو القائل إن البراهما هو العالم أو العالم هو البراهما، وقد فهم الكثير بمجرد ورود هذه الأسماء خلاف مراده، غير مبالين بذلك، لأنه لا يتصور منه التعبير مثل ما فهموا.

شبه الكثير مؤلفاته بالبحر لغزارتها وعدم التمكن من الإحاطة بها لعمقها ولتنوع أسلوبها وتفردها عن غيرها مع ما لها من خواص مفيدة ونافعة لقارئها لأنها قليلة الألفاظ كثيرة المعاني يحتاج العامة بل والخاصة إليها لفهم معاني الأبانيشاد الحقيقية، ولا يشكّ أحد في أنها لا مثيل لها في الهند بين الكتب الهندوسية المفسرة أو الشارحة للأبانيشادات، وله ملكة عديمة المثيل لحلّ المشكلات وفكّ المعضلات،

وهذا لا يكون إلا لأشخاص قليلة نادرة، وقد كانت مصنفاته مع هذه الميزة النادرة في تصوف الفلسفة وأهل الوحدة، أو بعبارة آخر في اللاثنائية أو في "أدوايتا". وقد عدها البعض خروجا على ما عهدوا به من تعاليم "ويدا" وخروجا على ما فهموا من عبادات وعادات، وعدها البعض الآخر كنوزا من بحار "ويدا" وأبانيشاد".

وما يلاحظ في كتب شنكر وشروحه أنه شديد الثقة بما يدونه وما يخطه من علم ومعرفة، لأنّ ذلك مبني على "ويدا" وأبانيشاد اللتين يعتبرهما الهندوس إلهاما إلهية على لسان إنسان قوية، كما أنه أفرد مصنفاته بالكلمات الحكمية، والمصطلحات الجارية على ألسنة متصوفة أبانيشاد مع ترتيب منطقي، وأنه لا يعتمد فيها كليا على الفكر والنظر، بل هي نتيجة تجربته الصوفي والسلوكي.

ورغم ما بذله العاكفون من بعده على كتبه من جهد في إحصاء كتبه وشروحه وإدراجها على حسبها إلا أنّ هناك كتب وشروح أضيفت إلي قائمة كتبه، والهند قد فشلت في تسجيل التاريخ سواء كان التاريخ متعلقا بالرجال أو المصنفات لأنها لم يعبأ بها أحد إلا بعد قدوم ملوك العرب والمسلمين، وإن قيل إنّ شنكر ألف ما يقارب 116 مؤلفا، لا يمكن لنا أن نصل إلى نقطة التحقيق في مصنفاته بل نشير هنا إلى أهمّ ما ألفه "شنكر". وجدير بالذكر هنا أنّ كتب شنكر تقَسَّم إلى قسمين: الأوّل يعرف بـ"بَهاشْيَا" (Bhasya) (الشروح، أو التفسير، أو التعليق) والثاني يعرف بـ"بْرَكَهْرَنَا"(Prakarana) (الكتاب الذي يُفسَّر فيه الشيءُ إمّا كليا أو شبه جزئي، ولهذه الكلمة معاني أخرى ولكن المقصود هنا ما قلناه) [33] فمن ذلك.

كتب "البهاشيا" (الشروح)

1. على إيشاواسيا أبنيشاد — On Isavasya Upanishad
2. على كينا أبنيشاد — On Kena Upanishad
3. على كاتا أبنيشاد — On Katha Upanishad
4. على برشنا أبنيشاد — On Prasna Upanishad
5. على مونداكا أبنيشاد — On Mundaka Upanishad

6. على ماندوكيا أبنيشاد	On Manukya Upanishad
7. على تيبريا أبنيشاد	On Taittiriya Upanishad
8. على أيتريا أبنيشاد	On Aitareya Upanishad
9. على جاندوكيا أبنيشاد	On Chandokya Upanishad
10. على برهادارنيكا أبنيشاد	On Brihadaranyaka Upanishad
11. على بهكوت كيتا	On Bhagavat Gita
12. على برهما سوترا	On Brahmasutra
13. على شيواتيشواترا أبنيشاد	On Svetesvatara Upanishad
14. على ويشنوا سهسرا ناما	On Vishnusahasra nama
15. على سنل سجاتيا	On Sanatsuatiya

كتب براكهرنا (كتب مستقل)

1. أبروكشانوبوتي	Aparokshanubhuti
2. ويويكا جودامني	Vivekachudamani
3. أبديشا ساهسري	Upadesa sahasri
4. واكيا ورتي	Vakyavritti
5. سوندريا لهري	Soundaryalahari
6. منيشا بنجكم	Maneeshapanakam
7. شنكر سمريتي	Samkarasmriti
8. ويدانتا كيسري	Vedantakesari
9. بهجاكوويندم	Bhajagovindam

"ومهما يكن من أمر الأعمال الفكرية التي تنسب إلى "شنكر"، يتجلى أثره الخالد في الفكر الهندي في تلك الشروح والتفسيرات التي أخصب بها المتون الهندية القديمة، فلقد آلى على نفسه أن يوفق بين التطورات الفكرية لعصره ونصوص المتون

والمأثورات العتيقة، ويعتبر منافحا صادقا عن العقيدة الهندوسية في ناحية، ومصلحا روحانيّا من الناحية الأخرى، ففي مدينة "بنارس" حرر شروحه المشهورة لرسائل الأبانيشاد وتفسيراته لمتن "بهكوت كيتا"[34].

ومؤلفات "شنكر" وأفكاره هي التي طوعت العقيدة الهندية للمنطق، مثلما دعم "توماس الأكويني"[35] العقيدة المسيحية للتحليل المنطقي، وجدير بالملاحظة أنّ بينهما ثمة مشابهة قوية بين دور "توماس الأكويني" و"شنكر" الفكري: فإنّ "توماس الأكويني" قد تولى في إبان القرن الثالث عشر الميلادي شرح آراء انبعثت في غضون القرن الثاني أو الثالث المسيحي، كذلك تعهد "شنكر" في إبان القرن التاسع الميلادي شرح آراء انتشرت قبل عهده بأحقاب مديدة، ولم يبدأ "شنكر" و"الأكويني" من فراغ: إذ كانت أعمال آباء الكنيسة المسيحية هاديا لـ"توماس الأكويني"، مثلما كانت شروح فلاسفة "الأبانيشاد" ركيزة فكرية لشنكر، وفي مقدمتهم "بادراينا"[36] (Badarayana) ثمّ "غودابادا"[37] (Goudapada) وأخيرا "غووبندا"[38] (Govinda) الذي نقل بنفسه مذهب "اللاثنائية " إلى "شنكر"[39].

ولم يتول "شنكر" التعليق إلا على عشر رسائل من رسائل الأبانيشاد مع أنّ هناك أكثر من مائة وثماني رسائل مهمة على الأقل، ولذلك فقد تعتبر هذه الرسائل العشرة التي لمست يد "شنكر" أهمّ من غيرها ، ويعول عليها الباحثون في دراسة آراء الأبانيشاد جملة، وجدير بأن يذكر هنا أنّه مهما بلغ عدد مصنفاته وهو لا يعرف إلا بشروحه لـ"برستاناتريا"[40] (Prasthanatraya) التي نسج منه شنكر فلسفته اللاثنائية، وأما ما عداها فهو تأييد أو إضافة لما في ذلك .

ولا شبهة في أنّ فكرة الأبانيشاد المتناقضة بعضها عن بعض، والغامضة تثبت البلبلة في ذهن القارئ لما أنها أعمال حكماء كثيرين ولما أنها ثمرة عهود مختلفة، والفيلسوف "شنكر"من ضمن مؤلفاته تشبث باضفاء التماسك على هذه الرسائل، فعمد إلى تنسيق تلك القضايا التي تحفل بالتناقض، وجدير بأن تذكر هنا،

أنّ "بادراينا" أستاذه الأوّل لم ينجح في هذه المهمة، بل أخذ من أبانيشاد ما يتماشي مع فكرة اللاثنائية وترك الباقي.

ولم تخل مصنفات "شنكر" من الدسّ والتزييف، إذ كانت محاربة مع الفكرة التي يميل إليها عباد قوى الكائنات، وأصحاب القرابين، وقد دسوا في كتبه حينا وآخر حتى صنفوا كتبا باسم "شنكر" لأنهم يدركون قبولية شنكر لدى الناس، وجدير بأن تذكر في هذا الصدد شخص يدعى "بانولي"[41] (V. Panoli)، كرّس حياته الطويلة أي 50 سنة لدراسة فكرة "شنكر" ولتمييز مصنفاته مما نسب إليه، وقد ألف كتبا كثيرة في هذا الصدد في اللغتي الإنجليزية، والمليالمية[42]، وإن كان هو غير مؤهل أكاديمي فكتبه مفيدة جدّا.

الخاتمة :

ويمكن أن يقال ختاما، إنّ التراث الويداوي – الأبانيشادي تطور بشكل تفسيرات وتبويب ومناقشات قد تشبه إلى حدّ ما، بقطاع الفقه في الحضارة العربية الإسلامية، أو بالسكولاسئية (School) في الحضارة المسيحية الوسيطية، والويدانتا (ويدا + انتا = غاية الويدا، أو خلاصتها، والنقطة النهائية فيها) هي تلك المؤلفات والشروح والمفاهيم في السكولاسئية الهندية الأرثوذوكسية، تمثلت الويدانتا في "سوترات باداراينا"، وعندما كانت السوترات صعبة الفهم نبتت محاولات جمة لفهمها وشرحها، ومن أشهر المعلقين لسوترات هو شنكر.

شنكر كما فهمنا هو أكبر وأشهر شراح البراهما سوترا كما أنه أشهر وأكبر شراح أبانيشاد، وبكوت كيتا، ولقد بث شنكر مؤسس المذهب اللاثنائية أو أوداينا آراءه المختلفة في هذه الشروح وفي كتبه المستقلة الأخرى، ومن غضون هذه الكتب، والتعليقات أسس شنكر مذهبا خاصا يوافق مع من سبقه حينا ويخالف معهم حينا آخر، وهذا المذهب المعروف بأوداينا يقوم على القول بأنّ الآتمان هو البراهما، وهو الحقيقة الواقعية الوحيدة، وأما ما عداه فهو زيغ وزائل وهذا نتاج "أويديا" أي الجهل و"مايا" (ظواهر الأشياء)، شنكر كرس حياته لنشر هذه الفلسفة في جميع أنحاء الهند

حتى لا يكون مكان في الهند إلا ولهذه الفلسفة أتباع وعشاق، وأسس شنكر لهذا الغرض أربعة أديرة في أربع مناطق مختلفة في الهند، ثمّ اختار أربعة سنياسين ليتولوا أمور هذه الأديرة الأربعة وأن يدعوا الناس إلى فلسفة اللاثنائية، وهكذا انتشرت فلسفة اللاثنائية في الهند كما أراد شنكر وغلب على الأخرى من الفلسفة المختلفة، يقول "تكامورا"(Nakamura): "إنّ بقاء فلسفة اللاثنائية يدين قبل كلّ شيء إلى الأديرة الأربعة الموجودة حتى اليوم، لأنها ساهمت في ترويج فلسفته وحفظها في حين أنّ فلسفة الآخرين وأعمالهم نسيت وخمدت بمرور الزمن".

ولا جرم أنّ آراء فلاسفة الويدانتا العظام – وفي طليعتهم شنكر – هي التي استلهمها جمهور مفكري الهند، كما قال "بول دويسون" (Paul Deussen) عندما تكلم عن تأثير شنكر: "ولم تتأثر الهند بفلسفة الآخرين، وإذا أخذنا على سبيل المثال مائة علماء ويدانتا يكون الخمسة عشر منهم مائلين إلى "رامانوجا" (Ramanuja) والخمسة منهم إلى "مادهوا" (madhava) والخمسة منهم إلى وَلَّبَها" (Vallabha)، وأما الخمسة والسبعون الباقون فهم ينتمون إلى مدرسة "شنكر" اللاثنائية"[43].

الهوامش:

(1) *Indian Philosophy* by S. Radakrishnan, p. 415.

(2) *Baratheeya mathangal* by Muhammadali asimy p. 75, and *Indian Philosophy* by S. Radakrishnan p. 415.

(3) *Indian Philosophy* by S. Radakrishnan p. 415.

(4) الشعراء العباقرة الذين لهم باع طويل في تاريخ كيرالا وفلاسفته مثل "أولور أيس باراميشوران ناير (Ulloor .S. Parameswaran Nair)، وغيره.

(5) Jagat guru Sri: Shankaracharya: Dr VS Varier (42)

(6) Jagat guru Sri: Shankaracharya: Dr VS Varier (67)

(7) معناه اللفظي في اللغة السنسكريتية المعلم أو الأستاذ

(8) ويقال أنّ العجوز كان شيوا الإله جاء إلى شنكر في صورة العجوز دليلا له Jegat guru Sri: Shankaracharya: Dr VS Varier (85)

(9) اسم بلدة على حدود ولايتي اوترا برديش (Uttar Pradesh) وبيهار(Bihar) وهي معروف باسم وارانسي (Varanasi) أيضا

(10)انظر للمزيد : *Jagat Guru Sri Sankara* by Dr V S Varior, pp. 93– 100 and *Indian Philosophy* by S Radhakrishnan 2/ 425 – 18

(11)شاريرا: النفس أو الجسد أنظر: *Indian Philosophy* by S Radhakrishnan 2/398

(12)انظر للمزيد: *Indian Philosophy* by S Radhakrishnan 2/ 400

(13)ألبيرثو يتزر، فكر الهند ، ترجمة: يوسف شلب الشام دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ص 135

(14)ألبيرثو يتزر، فكر الهند ، ترجمة: يوسف شلب الشام دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ص 136

(15) *Jagat Guru Sri Sankara* by Dr V S Varior, p.62

(16)انظر للمزيد: *Indian Philosophy* by S Radhakrishnan 2/ 420

(17) أنظر: *Jagad Guru Sri Sankara* by Dr. V S Varior, p.92

(18) Sankara Basya on Katakopanishad, 11, 1–15

(19) Vedanta Kesari,21

(20) ولو سلكنا مع مراعاة جميع الشروط لا نصل إلى ما أراد "شنكر" لأنه أراد شيئا مسنحيل إدراكه.

(21) أنظر : ويل ديورانت : قصة الحضارة ص 3/ 268

(22) كلمة "آشرما" مشتقة من أصل كلمة "شراما" السنسكريتية. معناها الجهود والكدّ . أنظر: *Renunciation in Advaita Vedanta* by Kapil Nath Tivari, p. 171

(23)أنظر: *Renunciation in Advaita Vedanta* by Kapil Nath Tivari, p. 171

(23) أنظر : *Indian Philosophy* by S . Radakrishnan, p. 416

(23)أنظر : *Renunciation in Advaita Vedanta* by Kapil Nath Tivari, pp. 180, 181

(26)أنظر : *Asceticism in Ancient India* by Chakraborty, pp. 179 – 180

(27) أنظر : *Asceticism in Ancient India* by Chakraborty, p. 185

(28) أنظر : *Renunciation in Advaita Vedanta* by Kapil Nath Tivari, p. 185

(29) أنظر : The Upadesasahasri of Sri Sankara Charya, pp. 80 – 89

(30) المعنى المقصود من "النجانة" عند "شنكر" العلم الحقيقي الذي به يعرف أنّ الآتمان والبرهما شيء واحد،وأمّا معناه اللفظي في اللغة السنسكريتية العلم

(31)أنظر : Religion and Society by S. Radakrishanan, p. 131

(32) إنّ كلمة شنمتم مشتقة من كلمتين شت = ستة + متم = الراي أو الديانة يعني ستة أديان أو مذاهب ،المقصود بها الآلهة الست التي يعبدها الهندوس : هم "وِيشْنُوا"(Vishnu) و"شِيوا"(Shiva) و"وِنايَكا"(Vinayaka) و"دَيوِي"(Devi) و"آدِتيْانْ"(Adityan) و"كارْتِيكَييَنْ"(Karthikeyan). أنظر *Sree Sankara Darshanam* by V Panoli, Book in Malayalam p 84

(33) ينظر : *Adi Sankaras Vision Of Reality* by V. Panoli , p. 27– 30

(34) فؤاد محمد شبل : شانكرا أبو الفلسفة الهندية .المطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب 1975 ص 8 – 9

(35) القديس توماس الأكويني أكبر فلاسفة العصور الوسطي المسيحية، ولا يزال تأثيره في الكنيسة الكاثوليكية وفي الفكر المسيحي بشكل عام،ولد في نابولى عام 1225 م ودرس الدراسة الدينية إلى جانب كتب الفلسفة، وقد اهتم بفلسفة أرسطو وشرحها وتعرف على كتب ابن رشد حيث كانت هذه المعرفة وراء بعض آرائه في الدين والفلسفة، وقد توفي توماس عام 1274 م . ينظر : موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي 1/ 426

(36) صاحب كتاب "سفر براهما" أي "براهما سوترا" (Brahmasutra) ظهر في إبان القرن الثاني قبل الميلادي على الأقل ، وهو أول من فسر فلسفة اللاثنائية كشرح لأبانيشاد، وسفر براهما يعرف أيضا ب"أوترا ميمامسا" ويقال أنه هو وياسا (Vyasa) نفسه، صاحب تأليفات عديدة . ينظر للمزيد : Indian Philosophy, by S. Radakrishna, pp. 2/ 399- 405

(37) تلميذ "بادراينا" صاحب كتاب "ماندوكيا كريكا" يعتبر هذا الكتاب دليلا لمن يبحث عن فلسفة اللاثنائية، وهو شرح أو تفسير لما جاء في أبنيشاد "ماندوكيا" ظهر في القرن السابع الميلادي. ينظر للمزيد : *Indian Philosophy* by S. Radakrishna, pp. 2/ 420 - 21

(38) "غووبندا" : معلم "شنكر" ومرشده في الطريقة صحبه شنكر حتى قويت فكرته اللاثنائية، وهو تلميذ "غودابادا" عاش في زمن "شنكر" ولم نجد شسئا ليثبت تاريخ وفاته. ينظر للمزيد : : *Indian Philosophy* by S. Radakrishna, p 2/ 421

(39) ينظر : *Indian Philosophy* by S. Radakrishna, pp. 2/ 419 - 420

(40) المقصود بها : ثلاثة كتب : "الأبانيشاد"، و"البهكوت كيتا"، و"براهما سوترا" معناها اللفظي : ثلاثة منظمات.

(41) "بانولي" (Panoli) ولد في كاليكوت، جنوب الهند، كيرلا سنة 1923 وقد أخذ عن "كوبالن ناير الويدانتا،واللغة السنسكرتية إذ هو في 23 من عمره ثمّ تلمذ على الكثير تكملة لدراسة ويدانتا، ثمّ عكف على كتب "شنكر" طيلة 50 سنة،وقد تجول الهند لجمع مصنفاته، وقد ألف أكثر من 19 كتبا،وأكثرها عن الفيلسوف" شنكر" وعن كتبه، توفي سنة 2001 في كاليكوت. أنظر :*Adi Sankaras Vision Of Reality* by V. Panoli . p 1

(42) "مليالم" من إحدى اللغات الهندية، يتكلم بها أكثر من 35 مليون نسمة من سكّان جنوب الهند، وهي قريبة إلى السنسكريتية، ولكن أصلها من لغة "براكريتي" القديمة ، وهي معروفة لدى العرب باسم "ملييارية" نسبة إلى مليبار. ينظر : ويل ديورانت. قصة الحضارة ص 283/3

(43) Aspects of Vedanta by Deussen, p. 113

المصادر والمراجع :

الحسيني، سيد أبو النصر أحمد : الفلسفة الهندية دراسة بعض نواحيها مع المقارنة بالفلسفة الغربية، مطبعة مصر، القاهرة، 1960.

بدوي عبد الرحمن : موسوعة الفلسفة المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،الطبعة الأولى، 1974.

ثويتزر، ألبير : فكر الهند كبار مفكري الهند ومذاهبهم على مرّ العصور، ترجمة يوسف شلب، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1994.

ديورانت، ول وايريل : قصة الحضارات، ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود، دار الجيل، بيروت، 1988.

فؤاد محمد شبل: شانكرا أبو الفلسفة الهندية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975.

Chakraborty : *Asceticism in Ancient India*, Punthi Pustak, Calcutta , 1973.

Duessen. Paul : *Aspects of Vedanta*, Motilal Banarasi Dass, Delhi , 1972

Panoli. V. : *Adi Sankaras Vision of Reality*, Mathrubhumi Books . Second Edition. 2009.

Panoli. V. : *Sree Sankara Darshanam*, Mathrubhumi Books.Fifth Edition 2011.

Qasimy.A. T. Muhammadali: *Baratheeya Mathangal*, Islamic Mission of Alumni of Markaz (IMAM), Markazu Tharbyathil Islamiyya, Valanchery, Kerala, 2007.

Radakrishnan.S: *Indian Philosophy*, Oxford University Press. Second Edition. 2008.

Radakrishnan.S: *Religion and Society*, George Allen and Unwin Ltd. London. 1969.

Sankaracharya. Sree: *The Upadesa Sahasri*, Sri Ramakrishna Matha. Transilated by Jayanand Swamy. 1961.

Sankaracharya. Sree: *Vedanta Kesari*, Sri Ramakrishna Matha.Chennai.1947.

Sankarabashya on Katakopanishad: Translated by Gambhirananda, Swamy:Advaita Ashrama. Culcutta.1957.

Tivary, Kapil Nath: *Personal and Social Dimensions of Renunciation in Advaita Vedanta*, Thesis for the Degree, Doctor of Philosophy, MC Master University, Hamilton, Ontario. 1975.

Varior. V.S: *Jagat Guru Sree Sankaracharyar*, Sahithi Books.Thrissur. Kerala.

جهود المسلمين في نشر التراث الإسلامي في شبه القارة الهندية: مجلة "الندوة" الأردية نموذجًا

صاحب عالم الأعظمي الندوي*

{إن للهند دائمًا دورًا كبيرًا في توضيح مفاهيم الإسلام ونشر الثقافة الإسلامية عبر القنوات العديدة بما فيها إصدار المجلات والدوريات باللغة العربية وبلغات هندية محلية. وتظهر قيمة مجلة الندوة بأنها قامت بدور عظيم في نشر تاريخ تراث العرب والإسلام، وهذا ما سنراه في السطور التالية بإذن الله تعالى، ولكن قبل أن أعرّف هذه المجلة علي أن ألقي نظرة سريعة على خلفية هذه المجلة العلمية والتراثية}.

سقطت الدولة المغولية الإسلامية في شبه القارة الهندية برمتها إثر اندلاع ثورة عام 1273هـ/1857م الفاشلة التي جعلت الهند مستعمرة بريطانية خالصة، وكان الاستعمار الإنجليزي سيقلع جذور الإسلام وثقافته من بين الشعب الإسلامي الهندي؛ وذلك من خلال استخدام القنوات السياسية والاقتصادية والثقافية تارة ومن خلال الدعم الكامل للمبشرين النصارى لنشر المسيحية في ربوع شبه القارة الهندية تارة أخرى والقيام بدعم مادي وسياسي للمستشرقين لهدم الثقافة الإسلامية ولنشر الشكوك والريبة في قلوب المسلمين حول الإسلام والشريعة الإسلامية والنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومشاهير الإسلام تارة ثالثة.

* الباحث بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر.

انتبه مسلمو الهند وعلماؤهم إلى هذا الخطر المحدق، وعرفوا دسائس الاستعمار نحوهم، ولكن ما كان باستطاعتهم أن يقاوموا هذا الخطر الجسيم عبر القنوات السياسية والاقتصادية لأنهم قد نهبت ثرواتهم السياسية والاقتصادية بسقوط الدولة المغولية، ثم خيم الظلام على الهند كلها، حيث صادر الإنجليز جميع الأوقاف والعقارات والإقطاعيات التي كانت تُمِدُّ المدارس الإسلامية بالحياة، وعملوا على تجفيف منابع الإشعاع والإصلاح والفكر والدعوة والتعليم والتربية، حتى يتحول المسلمون مع الأيام جُهَّالاً يسهل صهرهم في البوتقة المسيحية المحرفة؛ فكان على المسلمين في تلك الفترة أن يحافظوا على التراث الإسلامي من براثن الاستعمار الإنجليزي ومن العناصر التي وصلت من أوربا خصيصًا لهدم الصرح الإسلامي الذي بنته الدول الإسلامية القائمة في شبه القارة الهندية خلال ثمانية قرون متتالية.

ومن هنا فكر العلماء الغيورون في الدين والعقيدة من جميع الطرق التي كان من شأنها أن تساعدهم على عملية الإبقاء على الكيان الإسلامي في هذه البلاد والحفاظ على التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية وعقيدة الدين الإسلامي الأصيلة؛ فألقى الله في روعهم أن يقوموا بإنشاء شبكة من المدارس الإسلامية الأهلية السائرة بتبرعات الشعب المسلم، وأراهم الله تعالى أن ذلك هو الطريق الأمثل إلى بقاء وصيانة الإسلام والمسلمين في هذه الديار وفي هذه الظروف الراهنة؛ حيث ستنتشر بذلك علوم الكتاب والسنة والتعاليم الإسلامية والثقافة الإسلامية.

وكان على رأس هؤلاء العلماء محمد قاسم النانوتوي (ت1297هـ/1879م)، الذي أسس بالتعاون من زملائه مدرسة إسلامية صغيرة في مدينة ديوبند في شمال الهند ذلك في يوم 15 محرم الحرام 1283هـ/الموافق 1 مايو عام 1866م، والتي أصبحت فيما بعد الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند، وإنها أول جامعة إسلامية أهلية في تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية.

وقد شاءت الظروف التعليمية والثقافية آنذاك أن يقوم علماء الهند بتأسيس جمعية إسلامية أهلية عامة، سميت بـ"ندوة العلماء"؛ ذلك تحت رعاية كل من مولانا

محمد علي المونگيري (ت1262-1346هـ/1846-1927م)، ومولانا شبلي النعماني (1274-1333هـ/1857-1914م) وزملائهما من العلماء والأدباء؛ ذلك في السنة الحادية عشرة من القرن الرابع عشر الهجري، وكانت غاية تأسيس هذه الجمعية هي إصلاح المناهج التعليمية الإسلامية في شبه القارة الهندية، ووضعها وضعًا لائقًا على حسب ظروف الأمة الإسلامية، وكذلك السعي لجمع كلمة المسلمين وإخراجهم من الخلافات الدينية الجزئية بينهم وتربية الأجيال لخدمة الإسلام والقيام بالدعوة إلى الإسلام بطرق مجدية، وتصحيح المفاهيم الدينية والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع أو الجمع بين الأصالة والمعاصرة.

ووصلت هذه الجماعة إلى قرار إنشاء مدرسة جامعة تكون نموذجًا لتطبيق فكرتهم لنظام التعليم والتربية؛ فقاموا بإنشاء دار العلوم التابعة لندوة العلماء؛ وذلك في مدينة لكهنؤ عاصمة ولاية اتراپراديش في عام 1316هـ/1898م، واستطاعت هذه المدرسة بالعمل الدءوب في مجالاتها العديدة وقدمت آثارًا حسنة بتخريجها رجالًا عظامًا في الفكر والدعوة والدين، وأعلامًا في جوانب مختلفة من الحياة الإسلامية المعاصرة.

ونجحت هذه المدرسة في مجابهة الجبهات العديدة، من خلال تكوين جماعة من العلماء الجادين؛ وذلك لنشر التوعية الدينية الكافية بين الشعب المسلم لكي لا تكون لقمة سائغة للمبشرين الأوربيين، وللرد على أباطيل المستشرقين حول الشخصيات الإسلامية والثقافة الإسلامية؛ بواسطة نشر سلسلة مشاهير الإسلام باللغة المحلية والإنجليزية، وتوضيح صورة الدول الإسلامية الهندية وسلاطينها ومشاهيرها للشعب المسلم الهندي والعربي، من خلال تدوين الكتب العربية في مجال التراجم والسير وفي مجال الثقافة الإسلامية والنظم والإدارة.

وتطلبت هذه المسئوليات المذكورة أعلاه من أبناء ندوة العلماء رسم الخطة الشاملة والدقيقة لتحقيق هذه الأهداف عاجلًا وبصورة ملموسة، وقد تحمل كل من العلامة شبلي النعماني، والعلامة عبد الحي الحسني، ومولانا حبيب الرحمن خان

شيرواني، والسيد سليمان الندوي، ومولانا عبد الباري الندوي، وعبد السلام الندوي، وحاجي معين الدين الندوي وغيرهم هذا العبء الثقيل بأنفسهم.

وترك لنا شبلي النعماني ثروة فكرية وأدبية ضخمة تنوعت موضوعاتها واللغات التي كتبت بها مثل السيرة والفلسفة والكلام والأدب والرحلات والتاريخ والتعليم والرسائل والشعر والنقد والفقه، إلى جانب مقالاته المنشورة في المجلات والصحف وتضم موضوعات سياسية واجتماعية وأدبية شتى، وكتب شبلي هذه المؤلفات بثلاث لغات هي: الأردية والفارسية والعربية، ومن أشهر أعماله التي كتبها باللغة الأردية: المأمون(1305هـ/1887م)، والنعمان أي سيرة الإمام أبي حنيفة(1309هـ/1891م)، والفاروق أي سيرة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه (1316هـ/1898م)، والغزالي(1319هـ/1901)، وسوانح مولانا روم (1320هـ/1902م)، وسيرة النبي (1329هـ/1911م)، بجانب قيامه بتحقيق ودراسة بعض الكتب التاريخية الهندية، وله أعمال أيضًا باللغة العربية ومنها "الجزية في الإسلام"، و"حقوق الذميين"، و"مكتبة الإسكندرية"، و"الانتقاد على تاريخ التمدن الإسلامي" لجورجي زيدان، فكان من فضل العلامة شبلي النعماني أنه قدم سير مشاهير الإسلام بلون علمي أدبي جديد لم يكن مألوفًا قبله، علاوة على هذا النشاط العلمي، كان للعلامة اتصال عميق بالحركة الاجتماعية والسياسية آنذاك مثل الجامعة الإسلامية.

أما العلامة الشيخ عبد الحي الحسني (ت1341هـ/1923م) وهو معاصر للعلامة شبلي النعماني، فأسهم في إخراج الأسفار القيمة معظمها باللغة العربية؛ ذلك لإبراز مآثر المسلمين في شبه القارة الهندية، وتاريخ جلائل أعمالهم باللغة العربية، فألف في تراجم العلماء والحكماء والأمراء، وأعيان الهند ونوابغه في كتابه "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر" غير عنوانه سماحة العلامة نجله أبي الحسن الندوي بـ"الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام"، وتشتمل هذه الموسوعة على نحو خمسة آلاف ترجمة، وله كتاب آخر في تاريخ العلوم الإسلامية ونشأتها

وتطورها في الهند، وما أضاف إليها علماء الهند وزادوه في ثروتها، مع استيعاب شامل دقيق، لجميع ما دبجته الأقلام الهندية الإسلامية في العلوم الإسلامية، وذلك تحت عنوان "الثقافة الإسلامية في الهند"، وله كتاب ثالث اسمه "الهند في العهد الإسلامي" وهو حلقة ذهبية من سلسلة كتب الخطط والآثار التي ألفها المؤلفون الإسلاميون في مختلف البلاد، يبحث عن الهند في العهد الإسلامي جغرافيا وتاريخًا وخططًا وآثارًا، وحكومة وإدارة، يلقي ضوءً قويًا على دور المسلمين في إنهاض البلاد وترقيتها وقيمة الآثار التي خلفوها. فهذه المؤلفات كانت في الأصل محاولة جادة للتعارف والاتصال بين الهند الإسلامية الغنية في رجالها وآثارها ومآثرها العلمية الإسلامية وبين العالم الإسلامي والعربي الذي لا يمكن الاتصال بهما إلا عن طريق اللغة العربية.

وكان لتلاميذ شبلي النعماني ومنهم على سبيل المثال العلامة سيد سليمان الندوي (ت 1373هـ/1954م) الذي قام بدور كبير ليس في تخليد التراث العلمي لأستاذه فسحب؛ بل إنه اكتشف آفاقًا جديدةً، وأبعادًا طريفةً لنشر العلوم الإسلامية، وسد متطلبات العصر، وله عدة مؤلفات قيمة نالت استحسان العلماء والباحثين، منها مجموع محاضرات في السيرة النبوية الشريفة ألقاها في مدينة "مدراس" الهندية، وقد نقلت إلى الإنجليزية وإلى العربية، وهي من أجمل ما كتب في العصر الحديث في السيرة النبوية، وكتاب في تحقيق الأمكنة والبلدان التي ورد ذكرها في القرآن، وكان لها اتصال بالأنبياء الذين ظهروا في عصور مختلفة، والبحث عنها جغرافيًا وتاريخًا، سماه "أرض القرآن"، وكتاب في "العلاقات الهندية العربية"، و"الملاحة عند العرب" و"سيرة أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها"، و"سيرة الإمام مالك رضي الله عنه"، وكلها نماذج رفيعة للبحث والتحقيق والأسلوب الأدبي الرفيع.

ومن أبناء الندوة النبلاء الذين يمثلون حركة ندوة العلماء وفكرتها خير تمثيل من حيث الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع الأستاذ عبد الباري الندوي (1306-1396هـ/1889-1976م) أستاذ الفلسفة الحديثة، فقد درس الفلسفة القديمة

والحديثة دراسة عميقة، وسخرها لإثبات العقيدة، وإبطال الإلحاد الذي يعتبره معظم العلماء المنحرفين نتيجة حتمية للعلم والفلسفة، وأهم كتبه "الدين والعلوم العقلية، و"الدين والعلوم الطبيعية" وكتب في الفلسفة الحديثة.

ومنهم عبد السلام الندوي (1300–1375هـ/1883–1956م) الذي قلد أستاذه شبلي النعماني في أسلوب الكتابة وتمكن من إخراج الأسفار القيمة حول الشخصيات الإسلامية ومن أشهرها: "أسوة صحابيات"، و"أسوة صحابة"، و"سيرت عمر بن عبد العزيز"، و"حكماء إسلام"، و"ابن خلدون"، و"انقلاب الأمم"، و"إقبال كامل".

أما الحاج معين الدين الندوي (1308–1359هـ/1891–1941م) فبذل مجهودًا كبيرًا في تقويم فهارس الكتب العربية والفارسية في المجامع والمكتبات الإسلامية في الهند، مثل مكتبة الندوة، ومكتبة خدا بخش، ومجمع دائرة المعارف بحيدر آباد، ومجمع أكاديمية شبلي النعماني وغيرها، ومن أشهر مؤلفاته: "الخلفاء الراشدون"، "فهرست مخطوطات بانكي پور"، "مهاجرون" في مجلدين، "معجم الأمكنة"، و"مضامين معارف" وغيرها.

فقد كان لكتابات علماء الهند فضلٌ كبيرٌ في إعادة الثقة إلى الطبقة المثقفة بالثقافة الغربية العصرية من أبناء الإسلام بالعقائد والمقررات الدينية وبالحضارة والثقافة الإسلامية، وبتاريخهم الزاهر، وبلغتهم وآدابهم، وفي إحياء الاعتداد بالنفس والثقة بالذات، وإزالة "مركب النقص" الذي أحدثته الهزيمة في الصراع مع الاستعمار الإنجليزي في عام 1273هـ/1857م، وأصلته الثقافة الغربية والغزو الفكري الاستشراقي.

وقد رأى علماء الهند أن النتائج المرجوة لن تتأتى من خلال أعمال الأفراد، إنما لابد من تأسيس المجامع العلمية والأكاديميات البحثية لتكثيف المجهودات في التأليف والتصنيف في مجال الدراسات الإسلامية والتاريخ الإسلامي، خصوصًا أنهم اطلعوا على المراكز البحثية التي تشرف عليها الإدارة الإنجليزية، وأتاحت

للمستشرقين الفرصة للتفرغ للبحث والكتابة ووفرت لهم من خلال هذه المراكز العلمية المصادر والمراجع كافة، ومن هنا فكر علماء الهند في إنشاء المكتبات والمجامع العلمية. وأنشأ العلامة شبلي النعماني "مجمع دار المصنفين أو أكاديمية شبلي النعماني" في عام 1332هـ/1914م في مدينة أعظم گره، وهو يعتبر أول مجمع علمي تحقيقي شعبي أنشئ في العالم الإسلامي آنذاك، لمواجهة خطر الغزو الفكري وكتابات المستشرقين المغرضة، ولإقناع الشباب المثقف بفضل تعاليم الإسلام، والتعرف بالشخصية النبوية الجليلة وبسيرتها التي تربى في أحضانها، وبقيمة الثروة الإسلامية العلمية[1]، ومن المؤسسات العلمية الكبيرة التي كان لها فضل كبير في إحياء الكتب الدينية والعلمية، وإخراجها من مدافنها في المكتبات العتيقة، ونشرها بتصحيح وتحقيق في العالم الإسلامي، دائرة المعارف العثمانية في حيدر آباد التي تأسست عام 1306هـ/1888م، بتوجيه لفيف من علماء الهند.

وبعد قيام مجمع دار المصنفين قام بعض العلماء بإنشاء مجمع علمي آخر باسم "ندوة المصنفين" في دلهي، وقد نشأت عام 1356هـ/1938م، وتصدر عنها مجلة علمية شهرية هي مجلة "برهان"، ولها مطبوعات قيمة حازت القبول والتقدير في الأوساط الإسلامية العلمية، وقد تجاوزت منشوراتها مائة كتاب في علوم القرآن والحديث والسنة، والأخلاق والتربية، ونظام الإسلام السياسي والاقتصادي، وتاريخ البلاد، وتاريخ الفقه، وتاريخ التصوف الإسلامي وأئمته ورجالاته في الهند.

بجانب إنشاء المؤسسات والمراكز البحثية قام علماء الهند بإصدار مجلات ودوريات باللغات العديدة، ذلك من خلال هذه المؤسسات التعليمية والبحثية؛ حيث أصدرت ندوة العلماء مجلة "الندوة" في البداية من القرن الماضي، ونحن بصدد هذه المجلة، ثم ازداد نشاطها بإصدار مجلة هندية "سچا راهي" أي القائد المخلص، ومجلة إنجليزية "*The Fragrance of East*"، ومن المجلات العربية التي قامت الندوة بإصدارها فهي "مجلة الضياء" العربية الشهرية التي بدأت تصدر تحت رئاسة الأستاذ المرحوم محمد مسعود عالم الندوي (1328–1373هـ/1910–1954م)،

وهي أول مجلة عربية راقية صدرت من شبه القارة الهندية، ذلك في عام 1350هـ/ 1932م، ثم حلت محلها مجلة "البعث الإسلامي" في عام 1376هـ/1957م، ولا تزال المجلة الأخيرة تصدر بأسلوبها الرائق برئاسة الأستاذ سعيد الرحمن الأعظمي الندوي، والأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي. وبجانب هذه المجلة هناك مجلة عربية أخرى "الرائد" بدأت تصدر منذ عام 1379هـ/1959م، ولم تزل تؤدي الواجب الإسلامي في نقد الآراء المنحرفة والتعليق على الأنباء والأحداث والبحث في قضايا الإسلام من وجهة النظر الإسلامية، ويديرها أساتذة دار العلوم ندوة العلماء من أصحاب الاختصاص بالموضوع.

أما مجلة "معارف" فأصدرتها أكاديمية شبلي تحت رئاسة السيد سليمان الندوي في عام 1334هـ/1916م، ثم واصلت هذه المجلة القيمة مشوارها الطويل، ولا تزال تصدر حتى الآن وهي تعد الآن مجلة محكمة من أفضل المجلات العلمية الإسلامية في شبه القارة الهندية باللغة الأردية، لمكانتها العلمية ورزانتها في البحث والعرض الفكري.

وعلى كل فقد كانت ندوة العلماء قد نظمت حركة متنوعة في مجالات الدعوة والتربية والتعليم والفكر الإسلامي بمقتضى حاجة العصر الحديث، وأدت في ذلك دورًا محوريًا لتحسين أوضاع المسلمين تعليميًا وسياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا.[2]

أما وقد فرغت من عرض الأسباب التي دفعت الندوة إلى إصدار مجلة "الندوة"، علي أن أنتقل إلى سرد تاريخ هذه المجلة العلمية مع استعراض أهداف نشرها في شبه القارة الهندية باللغة الأردية.

تاريخ إصدار مجلة الندوة وأهدافها: تعتبر مجلة الندوة منارة كبيرة في إضاءة تاريخ ندوة العلماء التعليمية والثقافية، وقد أدت هذه المجلة العلمية دورًا مهمًا في نشر التراث الإسلامي والعربي والثقافة الإسلامية في شبه القارة الهندية، وتعتبر الأبحاث المنشورة المتعلقة بتاريخ العرب والثقافة الإسلامية صورة صادقة لنشر الثقافة الإسلامية في شبه القارة والدفاع عن العرب وتاريخهم السياسي والحضاري،

وقد قامت ندوة العلماء بنشرها بعد عشر سنين من تأسيسها، وقد رسم العلامة شبلي خطة هذه المجلة، ذلك في عام 1319هـ/1902م ولكن نظرًا لبعض الظروف لم تصدر آنذاك، إنما صدرت لأول مرة في شهر جمادى الأولى عام 1322هـ/1904م واستمرت لفترة في مطبعة مفيد عام التابعة لمحمد قادر علي خان صوفي في مدينة أگره، وكان يكتب اسم كل من شبلي النعماني ومولانا حبيب الرحمن خان شرواني(1283–1367هـ/1866–1950م) على غلاف المجلة، وقد أسهم الأخير في إدارة هذه المجلة من خلال إشرافه الإداري والفني ومن خلال نشر أبحاثه العلمية عن تاريخ تراث العرب، وتحت اسم المجلة كتبت هذه العبارة بحروف جلية على غلافها:"**مجلة علمية تاريخية لإحياء العلوم الإسلامية، وتطبيق المعقول والمنقول والمقارنة بين القديم والجديد**"[3]، هذا وقد استمرت مجلة الندوة في إصدارها نحو 12 عامًا ثم توقفت إلى أن قام كل من سماحة العلامة أبي الحسن الندوي (ت1420هـ/1999) ومولانا عبد السلام قدوائي (1324–1398هـ/1907–1979م)[4] في عام 1358هـ/1940م بإخراجها من جديد تحت إشرافهما ولكن سرعان ما اختفت من ساحة العلم والأدب تمامًا؛ وذلك لأسباب عديدة لا أحب أن أدخل في تفاصيلها خوفًا من الإطالة.

وإذا قمنا بشرح وتفصيل هذه العبارة مع استعراض شامل للأبحاث والمقالات المنشورة فيها لوجدنا أن العلامة شبلي قد أراد من خلال إصدار هذه المجلة إحياء تاريخ الثقافة العربية التي أصبحت في ذلك الوقت كماء راكد بسبب إهمالها، وكذلك كان يرغب في تضييق الفجوة التي توسعت بين المباحث الفلسفية والروايات النقلية وذلك بسبب الاختلاط مع الأعاجم وبسبب النقاش والجدل معهم حول العلوم العقلية والنقلية، وكان من أمنياته أن يقوم بتوفيق العلوم القديمة والجديدة؛ من خلال مقارنة أمينة بين النافع والمفيد، وبات هذا الأمر ملحًا ومهمًا على حسب الزمان والاحتياجات، وفي الحقيقة كل هذا كان يتعلق بتراث العرب والإسلام، ومن هنا نستطيع أن نقول إنه كان الهدف الرئيسي وراء إصدار هذه المجلة هو ترويج التقاليد

العربية الإيجابية والصالحة وإشاعتها لمثقفي شبه القارة الهندية، وقد عبر السيد سليمان الندوي عن مشاعره نحو ذلك من خلال العبارة التالية:" لقد نشرت في مجلة الندوة الأبحاث العلمية والمقالات القيمة حول تجديد العلوم الإسلامية، وحول تطبيق العلوم النقلية والعقلية، وحول المقارنة بين المعقول والمنقول وبين القديم والجديد، وحول إصلاح المناهج التعليمية والمقررات الدراسية العربية، وقد كتب شبلي النعماني معظم هذه المقالات القيمة، ولعل هذه المجلة قد حركت قلوب العلماء الجامدة بعد عقود؛ حيث كان علماء الحضارة العربية والإسلامية قد كتبوا كثيرا في العلوم النقلية والعقلية وأضافوا الكثير في مختلف مجالات النشاط الإنساني، ولكن كان ذلك في أوج مجد الحضارة الإسلامية إلى أن اضمحلت الدول الإسلامية سياسيًا وحضاريًا وثقافيًا في الشرق وفي الغرب، وأصبحت بعض القضايا الفقهية والعقائدية والفلسفية وجه التحقيق والدراسة فقط بين العلماء والأدباء، وبدأ كل واحد يمارس هذه الموضوعات من خلال استخدام المنهج المألوف دون إضافة شيء جديد، ومن ثم كان يضيع وقته وجهده سدى، فكان جُل هَم هؤلاء العلماء تأليف وشرح الكتب المدرسية وشرح وتحقيق كتب المنطق والفلسفة، وتأليف رسائل المناظرة غير المفيدة، فكان هذا هو الشغل الشاغل للعلماء آنذاك، مع أن متطلبات الزمان وظروفه قد تغيرت، وقد كانت هناك ضرورة قصوى لبحث وتحقيق الطرق الجديدة لخدمة الإسلام والعلوم الإسلامية، ولمجلة الندوة فضلٌ كبيرٌ في إثارة الفكر عند علماء شبه القارة الهندية لتطوير الخطاب العلمي العربي والإسلامي؛ للتصدي أمام التحديات الجديدة نحو الإسلام والشريعة الإسلامية ولتفنيد مزاعم المشككين في الإسلام عقيدة وتاريخًا وحضارة، ومن هنا قد قدمت هذه المجلة العلمية موضوعات جديدة للبحث والمناقشة مع رسم المنهج القويم؛ حيث وجدوا ضالتهم عبر هذه الطرق لخدمة الإسلام والعلوم الإسلامية."[5]

وقد استطاعت هذه المجلة كسر الجمود العلمي السائد بين أوساط علماء الهند، ونفثت روحًا علمية جديدة في نفوس علماء الهند ليصبح التفكير العلمي

الجديد ومنهاج عمل قويم لاستفادة العلوم الإسلامية وتاريخ التراث العربي والإسلامي، مما غير طبيعة علماء شبه القارة العلمية، مع التأكيد على أهمية البعد الأخلاقي في التطبيقات العلمية لمواد العلوم الإسلامية، كما حرضت هذه المجلة علماء شبه القارة–من خلال أبحاثها العلمية– على البحث عن المناهج الجديدة والسليمة لمعرفة أعمال علماء الإسلام العلمية والثقافية وللاطلاع على العلوم الإسلامية وفنونها المتنوعة، ومن ثم وفرت هذه المجلة مواد قيمة عن تراث العرب والإسلام، ونجحت في تحقيق أهدافها إلى حد كبير.

منهج مجلة الندوة: لكي نتعرف حق المعرفة على إرادة المؤسسات أو المجلات ومشروعاتها ونظامها، علينا أن نلقي نظرة دقيقة في منهجها؛ وذلك لفهم مسيرتها العلمية، ومن هذا المنطلق إذا اطلعنا على هذه المجلة لوجدنا أن الهدف الرئيسي في منهاج هذه المجلة هو نشر علوم العربية وفنونها، وتعريف الشخصيات العربية وأعمالها العلمية والأدبية والتاريخية، وتقديم ملخص الكتب الإسلامية القيمة والتعليق عليها، يرجى النظر في العبارة التالية المكتوبة على آخر صفحة المجلة، والتي تفيد: "تصدر هذه المجلة في أول أسبوع من كل شهر على حسب التاريخ الهجري، والغاية التي ترجوها هذه المجلة هي إحياء العلوم الإسلامية والمقارنة بين العلوم القديمة والجديدة مع إضافة الموضوعات التالية: 1. القيام بكتابة التقريظ والانتقاد على كتب العربية النادرة، 2. القيام بسطر كلمة التقريظ في الكتب المنشورة في الدول العربية والإسلامية في العصر الحاضر، 3. القيام بنشر المقالات حول سير مشاهير علماء الإسلام مع التركيز على البحث والدراسة عن اجتهاداتهم في أعمالهم الإسلامية، 4. القيام بنشر الأخبار العلمية خصوصًا الأخبار التي تتناول مواهب العرب العلمية ونبوغهم في العلوم الإسلامية، 5. القيام بنشر المناقشات والآراء حول المناهج التعليمية في الدول العربية والإسلامية خصوصًا في مصر وسوريا وتركيا مع ذكر أحوالها التعليمية."

لا نجد أي مشكلة في فهم أهداف وغايات هذه المجلة؛ وذلك من خلال هذا المنهج المذكور أعلاه أن الهدف الرئيسي كان إحياء العلوم الإسلامية والعربية والتعليق على الكتب العربية النادرة والبحث والكتابة عن سير الأنبياء والرسل والصحابة والتابعين وعلماء السلف والأدباء والشعراء والفلاسفة والمتكلمين وإبراز اجتهاداتهم وأعمالهم كانت من أهم أهداف هذه المجلة، وتجدر الإشارة إلى أن هذه المجلة قدمت ولأول مرة فكرة تدوين كتاب "سيرة النبي"[6] وتدوين شعر وشعراء العرب عبر مقالاتها العلمية.

تعطي محتويات هذه المجلة فكرة شاملة أنه قد قامت هذه المجلة بدور محوري في نشر تاريخ العرب العلمية والثقافية في شبه القارة، ولا نبالغ إذا قلنا إنه قد قامت هذه المجلة ولأول مرة في شبه القارة الهندية بتعريف تاريخ العرب الثقافي والحضاري لأهل اللغة الأردية، في إطار علمي خاص، فقدمت هذه المجلة الموقرة سير علماء وأدباء وشعراء العرب وأعمالهم بجانب ذكر آراء ونظريات علماء وأدباء العرب المحدثين نحو العلم والثقافة، وهناك أبحاث رصينة نشرت في هذه المجلة حول الدراسات الإسلامية وأصول الدين، ثمة مقالات قيمة في مجال العلوم أي الطب والهندسة والهيئة وطبقات الأرض وعلم الاقتصاد وعلم الجغرافية وغيرها، والتي توحي بعبقرية علماء العرب واهتمامهم بهذه العلوم شرقًا وغربًا، وكذلك تناولت هذه المجلة في أبحاثها القيمة إعجاز القرآن، وعلوم القرآن، ومكررات القرآن، وأسماء القرآن بجانب القضايا المتعلقة بالتعليم والتربية في الإسلام في ضوء القرآن والسنة، ومن بين الشخصيات التي نشرت سيرها في هذه المجلة، هي شخصية الخضر عليه السلام، أبناء يعقوب، وتراجم شعراء العصر الجاهلي ومنهم على سبيل المثال المتنبي(303-354هـ/915-965م)، وأبو تمام (نحو 176-231هـ/ نحو 792-846م)، بجانب استعراض شامل عن حياة المحدثين الكبار مثل الإمام البخاري (194-256هـ/809-869م، والإمام مسلم (206-261هـ/821-875م)، وابن تيمية (661-728هـ/1263-1328م) رضي الله عنهم، مع ذكر ومناقشة آراء ابن

خلدون الاجتماعية والتاريخية، كما تناولت بعض المقالات عن سير ابن خلكان (608-681هـ/1211-1282م)، وابن مقلة (272-328هـ/886-939م)، وأبو الأسود الدؤلي (16 ق.هـ.- 69 هـ) وغيرهم، مع ذكر رغبة واهتمام المذاكرة والمطالعة عند علماء السلف، ومع تقديم بعض الأبحاث وتاريخ النظم والإدارة الإسلامية في عصر الأموي والعباسي بجانب عرض تاريخ العرب الحضاري في أبحاثها الطويلة.

يبدو من الموضوعات المذكورة أعلاه أن هذه المجلة لم تترك صغيرة وكبيرة من الموضوعات العلمية والفكرية والاجتماعية والأدبية والسياسية والحضارية العربية إلا وتطرقت إليها في عدد ما، هذا وسأقوم باستعراض مجمل للمقال والأبحاث التي اطلعت عليها في أرشيف مجلة الندوة الموجود في أكاديمية شبلي النعماني، علمًا أنه قد يكون هناك أرشيف آخر لهذه المجلة في مكتبة ندوة العلماء بلكهنؤ.

مقالة شاملة حول تقديم الفكرة عن تدوين سيرة النبي باللغة الأردية: لقد نالت بقعة الجزيرة العربية شرفًا كبيرًا ومجدًا عاليًا لأنها مسقط رأس النبي صلى الله عليه وسلم فيها، فتتمتع هذه الأرض وساكنوها بهذا الشرف والتقدير دون منازع، وقد طلعت شمس الإسلام في هذه البقعة المباركة ثم انبعث نور الإسلام غربًا وشرقًا في العالم مما جعلها محط أنظار العالم ومرجع العقول ومأوى الأفئدة ومحط الأنظار، وقد دون علماء العرب أسفارًا كثيرةً في السيرة النبوية في القديم والحديث، ولكن اللغة الأردية كانت محرومة من هذه السعادة؛ ولم يكن هناك كتاب واحد موثوق به يقدم سيرة النبي بصورة دقيقة وشاملة، فكتب العلامة شبلي النعماني مقالة شاملة في عدد المحرم 1330هـ/يناير 1912م، عارضًا فكرة تدوين السيرة النبوية، مؤكدًا على أهمية قصوى بسد هذه الحاجة الدينية، قائلًا:

"تتصاعد ضرورة تدوين السيرة النبوية في هذه الأيام؛ بسبب انتشار التعليم الحديث بصورة رهيبة في أوساط الأمة الإسلامية، علمًا أنه ستقوم هذه الطائفة المثقفة بتحديد مصير هذه الأمة، ولكن للأسف الشديد إذا أرادت هذه الطائفة المثقفة

بالاطلاع على حياة النبي صلى الله عليه وسلم فلا تجد كتابًا موثوقًا به يرجع إليه لمعرفة حياة النبي صلى الله عليه وسلم بصورة دقيقة، ومن ثم تضطر إلى الرجوع إلى المراجع الأوربية التي كتبت إما بلون التعصب أو توجد فيها أخطاء فادحة وغير صحيحة حول معظم أحداث السيرة النبوية، وذلك بسبب عدم المعرفة الدقيقة عن الموضوع، وتجدر الإشارة إلى أنه كانت هناك ضرورة للسيرة النبوية قبل ذلك كمصدر لمعرفة التاريخ الإسلامي، ولكن الآن صارت بمنزلة معرفة العقائد الإسلامية، وعلينا أن نعرف أن الغرب ينتقد الإسلام من خلال سرد أحداث السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، وهم يؤكدون على أن سيرة النبي وتاريخه لا يتمثل في أننا نعترف بأنه رسول الله ومعصوم من الأخطاء."[7]

لماذا قدم العلامة شبلي النعماني فكرة تدوين سيرة النبي، وما هي الأهداف وراء تقديم هذه الفكرة؟ نجد الجواب وخطة تدوين هذه الموسوعة في هذه المجلة، وقد وفق العلامة شبلي بتدوين هذه الموسوعة، وسماه "سيرة النبي" وهي موسوعة ضخمة بمثابة كنز هائل من المعلومات في الأدب والتاريخ وعلوم الاجتماع والاقتصاد والنقد والكلام ويتميز بالبحث المتأني والاعتماد على الرواية والدراية وسير الرجال وأعمال الخبرة الواسعة والنظرة العميقة وتقديم الإجابات الدامغة والدلائل الناصعة ودحض أباطيل المستشرقين. ويعد كتاب "سيرة النبي" من الكتب المهمة التي كتبت بعد سيرة ابن هشام، وما يميز هذا الكتاب أنه لا يدور حول سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فحسب–مثل باقي كتب السيرة النبوية–بل يتناول العقائد والمعاملات والعبادات والسياسة في عرض رصين مدعم بالبحوث العلمية والدراسات الدقيقة والتحفظ في الروايات التي يوردها ويعرضها بقوة منطقية ترد ما يكتبه أعداء الإسلام في مناحي السيرة المختلفة.

مقالة بعنوان "الحضارة العربية والإسلامية": ثمة مقالة نشرت في العدد الثاني تحت عنوان "إسلام اور تمدن وترقي" أي الإسلام والحضارة والنهضة، أما المقالة الثانية فكانت بعنوان "فلسفه يونان اور إسلام" أي الفلسفة اليونانية والإسلام،

وكان الهدف من هاتين المقالتين دحض حجج وأباطيل أعداء الإسلام، فمثلا جاء الرد الوافي في المقالة الأولى على الادعاء أن الإسلام لا يستطيع تهذيب الأقوام البرابرة بصورة كاملة، وإنه ليس بإمكان هذه الأقوام أن تصل إلى قمة الحضارة من خلال قبول الإسلام واعتناقه، وللرد على هذا الافتراء ناقش صاحب المقالة أولًا فلسفة الحضارة، ثم قدم المبادئ المهمة التي اكتشفها الإسلام، مؤكدًا على أن الإسلام لم يقم بتبليغ هذه المبادئ فحسب؛ بل سار عليها عمليًا مما جعل العرب الجهلاء معتادين على عيش الحياة المتمدنة والحضارية، قائلًا إنه من بين هذه المبادئ والمفاهيم للنهضة الحضارية هي مبادئ العدالة الاجتماعية التي ما كانت توجد مثل هذه المفاهيم لدى الأقوام والقبائل العربية وغير العربية قبل الإسلام؛ بحيث كانت الأقوام والبلدان المتحضرة تعاقب المجرمين على حسب الجاه والمال والنسب والرتب، وقد كانت مثل هذه الطبقات والدرجات في التعامل موجودة لدى القبائل العربية نفسها، فلو كانت القبيلة أعز وأشرف بين القبائل الأخرى فكان يضاهي شخص واحد من هذه القبيلة أشخاصًا بالنسبة للقبائل الأخرى، فقام الإسلام بطمس مثل هذا الانشقاق والانقسام؛ ذلك تحت نظرية العدالة الاجتماعية، وفي هذا الإطار أمر النبي صلى الله عليه وسلم بوقوف رؤساء قريش في صف العبيد في معركة بدر وأحد، وليس فقط هذا؛ بل جعل النبي صلى الله عليه وسلم ثم خليفة المسلمين الأول أبو بكر رضي الله عنه أسامة بن زيد قائدًا عسكريًا على الجيش الإسلامي، كما عاش أبو سفيان طيلة حياته مماثلًا في الرتب والدرجات لكل من بلال وصهيب رضي الله عنهما، وكان جبلة بن الأيهم ملكًا وقائدًا من الغساسنة، وقد طلب من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ألا يحكم له بالقصاص؛ حيث فيه إهانة له وهو ملك، فرفض عمر رضي الله عنه، فارتد من حيث جاء وتنصر وبقي في بلاد الروم مرتدًا حتى وافته منيته.[8]

وهكذا تاريخ الإسلام الحضاري مليء بمثل هذه الوقائع التي تدل على تطبيق أصول العدالة الاجتماعية عمليًا في الحضارة الإسلامية، ومن هنا يثبت من

ذلك أن الإسلام قد تبنى المبادئ الأولى للحضارة والتمدن وولاه العرب على أعلى كرسي الحضارة والتمدن.[9] وهكذا نجح صاحب المقالة في دحض افتراء أعداء الإسلام بجانب تقديم الأدلة القاطعة، مؤكدًا على أن العرب قد قامت بتطبيق مبادئ الحضارة، وكانت هذه المبادئ دائمًا معهم أينما حلوا، فكانوا يقدمونها للناس في الأقطار التي فتحوها إلى أن أصبحت هذه المبادئ زادًا للروح، وغذاءً للفكر وترسيخًا للعقيدة الدينية الصحيحة، مما جعل الدين الإسلامي الحنيف واللغة العربية، والقيم الروحية السلمية المستمدة من الإسلام ترسخ بين الناس في هذه الأقطار، فدخلوا في دين الله أفواجًا.

أما ما يتعلق بالمقالة الثانية بعنوان"فسلفة يونان اور إسلام"، فدحض صاحب المقالة أباطيل المستشرقين حول عدم قيام علماء المسلمين بإضافة جديدة في العلوم والفلسفة؛ بل إنهم أي العرب قلدوا تقليدًا أعمى لما ترك أرسطو والفلاسفة من اليونان والإغريق في هذا المجال، على حد قولهم، وناقش صاحب المقالة هذا الموضوع بدقة، وأثبت من خلال تقديم الأدلة القاطعة أن الفلسفة قد دخلت في الحضارة الإسلامية عبر الحكم والإدارة الإسلامية، أي أسهم الخلفاء الأمويون والعباسيون في ترجمة كتب الفلسفة والمنطق والعلوم إلى اللغة العربية، مما جعل علماء المسلمين يتذوقون هذه العلوم، حتى قدموا نفائس الأعمال في العلوم والفلسفة، ثم جاء عصر إمام الفلاسفة أي أبو حامد الغزالي رحمه الله (450. 505 هـ/1058. 1111م) الذي أدخل الفلسفة في مناهج التعليم والتربية إلى أن أصبح هذا الفن متداولًا في المدارس الإسلامية بصورة عامة، وبعد التمكن من هذا العلم لم يثبت علماء العرب أخطاء أرسطو ومن معه في كثير من المسائل الفلسفية فحسب؛ بل قاموا بتقويمها وضبطها، وعلى سبيل المثال لا الحصر، سطر أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجُبائي المتكلم (235 . 303هـ/849 . 916م) كتابًا قيمًا في الرد على كتاب أرسطو "كون وفساد"، ثم ناقش صاحب المقالة موقف كل من أبي البركات البغدادي (472–560هـ/ 1080–1165)، وشيخ الإشراق يحيى بن حبش

السهروردي (549–587هـ/1155–1191م)، والإمام فخر الدين الرازي (606–544هـ/1150–1210م) من الفلسفة خصوصًا ومن العلوم العقلية عمومًا، مستعرضًا أعمالهم وخدماتهم في هذا المجال، مؤكدًا على أنهم أفنوا حياتهم في تطوير هذه العلوم وفي تقويم أخطاء فلاسفة اليونان والإغريق والهنود.[10]

مقالة بعنوان "السبب الحقيقي في نفي ابن رشد"[11]: ومع أن الإسلام يفتخر بأعمال كل من شيخ الإشراق وابن رشد في العلوم والفلسفة الإسلامية؛ إلا أن صفحات التاريخ الإسلامي مليئة بأحداث المحن التي وقعت فيها هاتان الشخصيتان في عهدهما، فقد تعرض ابن رشد في آخر حياته لمحنة طويلة؛ حيث اتهمه علماء الأندلس المعارضون له بالكفر والإلحاد ثم نفاه خليفة دولة الموحدين أبو يوسف يعقوب بن يوسف المنصور بالله (ت 595هـ/1199م) إلى مراكش إلا أنه توفي هناك في عام 595هـ/1198م[12]، قام شبلي النعماني بكتابة مقالة شاملة أصدرتها مجلة الندوة في عدد شوال 1322هـ/ الموافق يناير 1905م؛ حيث يقول فيها العلامة: لا تزال أسئلة كثيرة تدور حول الأسباب الحقيقية لنكبة ابن رشد وما إذا كان السبب يقتصر على آرائه الدينية والفلسفية أم تتصل بآرائه في السلطة السياسية وموقفه السلبي من الاستبداد السائد وحملته على المحيطين بالخليفة أم بسبب قيام ابن رشد بإهانات الخليفة في مجلسه أمام حاشيته، مما أدى إلى إطالة اضطهاده من جانب الخليفة المنصور، وأثبت العلامة شبلي في هذه المقالة وذلك من خلال الفحص والتدقيق إنه ليس هو السبب الذي يذكره معظم المؤرخين؛ إنما الحقيقة هي أنه قد تغلبت عليه نظرياته الفلسفية مما كان يدفعه من حين لآخر إلى حديث يختلف مع العقائد الإسلامية العامة، فمثلًا كان يرى ابن رشد أنه ليس هناك ما يثبت وجود قوم عاد، مع أن القرآن ذكر قصة عاد جملة وتفصيلا مع التأكيد على تدمير وانقراض قوم عاد، ثم قدم العلامة شبلي أمثالاً أخرى والتي أصبحت سببًا رئيسيًا لنفيه إلى مراكش، وكلها تتعلق بآرائه الفلسفية والدينية[13]

مقالة بعنوان "تاريخ مختصر للغة العربية"[14]: نشر منشئ مجلة الهلال المؤرخ والأديب جورجي زيدان(1278–1332هـ/1861–1914م) مقالةً تحت العنوان المذكور أعلاه، فقامت مجلة الندوة بترجمتها إلى اللغة الأردية نظرًا لأهمية الموضوع الرائع والشيق، وقد تناول صاحب المقال تاريخ نشأة اللغة العربية، مشيرًا إلى أن أعظم تغيير حدث في اللغة العربية الآن فهو إنما حدث بقدوم الإسلام إلى أن ظهرت في لباسها الخاص في العصر الحديث، والتي لو قمنا بمقارنتها باللغة العربية التي كانت تنطق في مجتمع العصر الجاهلي لنجدها لغة جديدة تمامًا، ثم يدعي جورجي زيدان قائلًا: بما أن عملية القراءة والكتابة لم تكن متداولة في المجتمع العربي قبل الإسلام، ومن ثم من الصعب العثور على تاريخ ولادة اللغة العربية، ولا نعرف على وجه التحديد أصلها وفصلها، ولكن يبدو أنها مشتقة من لغتين سامية أو آرامية والتي لها فروع أخرى أطلقت عليها اللغة الكلدانية والعبرانية والنبطية، مؤكدًا على أن أسماء وأفعال اللغة العربية وحروفها ومشتقاتها قد تم تدوينها وهي كانت في رحم اللغة السامية، أي أن اللغة العربية وليدة اللغات السامية، فاللغة العربية عيال على السريانية والعبرانية لأن هناك ألفاظًا كثيرة لهذه اللغات دخلت بترجمة التوراة والإنجيل والزبور إلى اللغة العربية. وينتهي جورجي زيدان قائلًا:"خلاصة القول أن اللغة العربية ما انفكت من عهد الجاهلية إلى الآن عرضة لتطرق الألفاظ المولدة والدخيلة إليها وإن تلك الألفاظ كانت ضرورية لنموها واتساعها وما برحت قابلة للنمو وبالتوليد والتعريب؛ فيجب ألا ننفر مما يحدث فيها من ذلك ولا نستنكف من استعمال بعضه".[15]

وتجدر الإشارة إلى أن العلامة شبلي قد نشر ذلك قبل نشر ترجمة المقالة المذكورة أعلاه، مقالة شاملة تحت عنوان "اللغة العربية" في الجزء الواحد من السنة الأولى لمجلة الندوة، وقد أثبت فيها أن اللغة العربية أقدم اللغات السامية بين السريانية والعبرانية والآرامية[16]، وذلك من خلال تقديم الأدلة الشاملة والعديدة حول ذلك، مؤكدًا على أن كتاب "سفر أيوب" يعتبر أقدم الكتب العبرانية ومع ذلك توجد

فيه ألفاظ عربية كثيرة، مما يدل على تقديم وتكريم العربية على سائر أخواتها السامية، ومن هنا ينبغي لنا أن نعترف أن اللغة العربية أقدم من اللغة العبرية.[17]

مقالة عن "شغف العرب بالشعر والنظم": ناقش الطالب الجامعي عبد الرحمن النگرامي في هذه المقالة تاريخ الشعر العربي، وهي مقالة مختصرة ولكنها قيمة؛ حيث توفر معلومات قيمة تتعلق بحركة الشعر العربي في القديم والجديد، فقد اعتمد كاتب المقال على المصادر العربية الأصيلة لمناقشة هذا الموضوع المهم، وهو يؤكد على أنه لو بحثنا في تاريخ العرب بصورة دقيقة، لوجدنا أن الأشخاص القليلين محرومون من ذوق الشعر والنظم، لأن العربي شاعر بسليقته، وموهوب بالشعر بالفطرة، وكان العرب جلهم يقرضون الشعر موزونًا ومقفى وفي البديهة وما كانوا يحتاجون إلى فن البلاغة والعروض والقافية، والكتب المتداولة في هذه المجالات الآن هي كلها مشتقة من الأشعار الجاهلية والإسلامية الفصيحة والبليغة.

ولما كان للشعر العربي دورٌ بارزٌ في الحياة الأدبية والفكرية والسياسية، فتطور حسب تطور الدولة الإسلامية شرقًا وغربًا، ومن خلال احتكاك العرب بالشعوب الإسلامية وغيرها بدأ يقلص الحس الشعري الطبيعي عندهم وانقرض ذكاؤهم الفطري، فأحدث علماء اللغة العربية وآدابها علم العروض والقافية وهو أحدث أنواع للشعر العربي ليست من أوزان العرب، وذلك لمعرفة أوزان الشعر العربي، ولموازنة الشعر وفق أشعار العرب، والتي اشتهرت عنهم وصحت بالرواية من الطرق الموثوق بها، وبهذا العلم يعرف المستقيم والمنكسر من أشعار العرب والصحيح من السقيم، والمعتل من السليم.[18]

وقد قسم صاحب المقالة شعراء العصر الجاهلي والإسلامي إلى أربع طبقات، تناول في الطبقة الأولى سيرة شعراء العصر الجاهلي الذين عاشوا وماتوا قبل البعثة النبوية، مشيرًا إلى الذين عاشوا في العصر الإسلامي ولكنهم عارضوا الدعوة الإسلامية مثل إمريء القيس (80-124 ق.هـ/500-544م)[19]، وأمية بن الصلت الثقفي[20]، ثم يستعرض طبقة المخضرمين الذين أدركوا الإسلام وأسلموا، مثل

حسان بن ثابت (توفي بين عامي 35 و 40هـ)؛ وكان شاعرًا معتبرًا يفد على ملوك آل غسان في الشام قبل إسلامه، ثم أسلم وصار شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة[21]، ومنهم كعب بن زهير بن أبي سلمى(ت24هـ/662م)[22]، وغيرهم، مشيرًا إلى الطبقة الثالثة التي ينتمي إليها على سبيل المثال كل من الشاعر الأموي الفرزدق(38–110هـ/658–728م)[23]،وجرير(33–133هـ/653–750م)[24]، وغيرهم، متناولًا الطبقة الرابعة التي يمثلها كل من ابن الرومي(ت221هـ/835م)[25]، وأبي العلاء المعري (363–449هـ/973–1057م)[26] وغيرهم على حسب رأي صاحب المقالة[27].

تحتوي هذه المقالة مواد مختصرة حول الشعر العربي ولكنها شاملة ومفيدة جدا خصوصًا لأهل اللغة الأردية، والغريب في ذلك أنه قد كتب طالب الكلية مثل هذه المقالة الشاملة، مما يدل على إجادة طلبة الندوة وقدرتهم على اللغة العربية وآدابها، كما يعكس دور الندوة في نشر الثقافة الإسلامية في شبه القارة من خلال اللغات المحلية.

مقالة بعنوان "دول العرب القديمة": تحتوي هذه المقالة بمعلومات قيمة عن أوضاع دول العرب القديمة وتاريخها، وتساند هذه المقالة زعم العرب حول انبثاق التمدن والحضارة إلى العالم من خلال الدول العربية التي قامت في منطقة اليمن قبل الإسلام، ويؤكد صاحب المقالة فيها على قيام ملوك اليمن بفتح البلدان العديدة، وقد أثبت صاحب المقال؛ ذلك من خلال تحقيق وتوظيف المواد المشتقة من أمهات المصادر العربية، مشيرًا إلى الدول بما فيها مصر، وإيران، والهند التي عاشت فترة طويلة على كنف الدول العربية، مستعرضًا العلاقات العربية الهندية عبر العصور، قائلًا إن الهند دائمًا مرغوبة ومحبوبة لدى العرب، حتى جعلت العرب اسم "الهند" موضوعا مهمًا للتعبير عن الحب والعشق، فكانوا يطلقون على جزء من سكان إحدى مناطق الهند عربي النسل، ويعتبرون بعض أقوام الهند من سلالتهم، وقد ذكر صاحب المقالة ذلك، ولكن هذا الأمر غير موثوق به في حالة توجد أدلة قاطعة من

الآثار القديمة ما تؤكد على ذلك، ثم يذكر قيام الدول العربية في السند والگجرات في عصر ما قبل التاريخ؛ مستعينًا بالمواد التي ذكرها المؤرخ والمستشرق ايچ ايم ايليوت (*H.M. Elliot*) في كتابه "تاريخ سند"، ثم يتناول العلاقات الثقافية بين الهند والعرب، من خلال تقديم النصوص القديمة التي تؤكد على وجود واستخدام اللغة العربية في اللغات الهندية القديمة.[28]

مقالة بعنوان "العرب القديم": يهتم الغرب عمومًا والمستشرقون خصوصًا بتاريخ العرب القديم، فهم يعنون بتاريخ الجاهلية ويبذلون جهدًا كبيرًا في البحث والتنقيب والكشف، ومن هنا لما قاموا بكشف آثار حضرموت واليمن القديمة، نشروا تقريرًا شاملًا في كتاب "مهد الجنس السامي" لجبر ضومط (1275-1275هـ/1859-1930م)، وقامت مجلة الندوة بتقديم ملخص الكتاب لقرائها، وهي مقالة شاملة وقيمة جدا حول العرب القديم، وعلي أن أنقل هنا بعض النصوص القيمة، حيث كتب صاحب المقالة في مقدمة المقالة، فيقول:"هناك آثار لمدن كثيرة في الشام والعراق والتي خلدت ذكريات الدول العربية القديمة، وعلى سبيل المثال صيدا، وصور، وعكا، وحيفا، ويافا، وغزة، وعسقلان، وبيروت، وجبيل، وارواد، وحمص، ودمشق وغيرها، فكل هذه المناطق قامت فيها الدول العربية القديمة، وتحكي آثار هذه الدول قصصًا عظيمة ومجد هذه الدول، وقد ازدهرت حضارة هذه الدول من الشام إلى دجلة والفرات، والتي كانت ترفرف على سواحلهما علم دولة آشور وبابل القديمة، فكانت الدول العربية القديمة حليفة لهذه الدول، وكانت تتغلغل لغتها السامية وثقافتها من طرف إلى طرف آخر...والأمجاد الذين عرّفوا الغرب والقارة الإفريقية عملية التجارة والصناعة والثقافة والتمدن في ذلك الوقت، كانوا يقطنون في سواحل صيدا وصور، والذين كان يجري في عروقهم الدم السامي الأصيل، مما عرّف الزمان والمكان بالرسل والأنبياء الكبار الذين بعثوا في هذه المناطق عبر العصور..."[29]

مقالة بعنوان"المقارنة بين الشعر العربي والفارسي": لقد نشرت مقالة شاملة في عدد صفر عام 1325هـ/الموافق أبريل 1908م حول الشعر العربي والفارسي، قام صاحب المقالة بالمقارنة بينهما، مؤكدًا على أن الشعر الفارسي يعكس الشعر العربي من حيث التأثير والتأثر، ولكن بسبب الاختلافات الثقافية والاجتماعية حدثت الفجوة الكبيرة بين الشعراء العرب والفرس؛ حيث كانت قبائل العرب تقطن في الجبال والصحراء وكانوا يمارسون أعمالهم كافة بمنتهى الحرية دون الخضوع للملوك والسلاطين، فكانوا يولدون ويموتون مع أفكار الحرية والتمرد، وكانوا يتمتعون بطبائع الحرب والنضال، ومن ثم كانوا يختلفون ويتنازعون مع بعضهم البعض تحت الظروف العديدة وعلى أبسط الأشياء، مما كان يدفع القبائل العربية إلى حقن الدماء البريئة من بعضهم البعض، وبما أنهم كانوا يتمتعون بالفصاحة والبلاغة بالسليقة، فكانوا يعبرون بكل حماسة وشدة وشجاعة عن الأوضاع التي كانوا يعيشون فيها وعن الأفكار والخواطر التي كانت تأتي على بالهم؛ وذلك دون تكلف وتصنع، وكان للشعر أثرٌ خطيرٌ في نفوس العرب حربًا أو سلمًا، فكان العرب يتناشدون الأشعار الحماسية ويتحدثون بشرف أصلهم وكرم محتدهم، فغرست كل هذه المظاهر الاجتماعية والأدبية في نفوس أطفالهم المواهب النادرة والقرائح الوقادة والخصال الكريمة، وكانت تدفع بهم إلى جليل الأعمال وأسمى الغايات، وأشعارهم مليئة بأفكار الشجاعة والحماسة، والمخاطرة، والفتوة، مما لا نجده في الشعر الفارسي ولا عند قوم آخرين في أرجاء العالم.[30]

مقالة بعنوان "نشأة الشعوبية ودورها السياسي والثقافي"[31]: لقد ظهر مصطلح الشعوبية في التاريخ الإسلامي في العهد العباسي الأول، ونظرًا لأهمية هذا الموضوع قامت مجلة الندوة بنشر مقالة شاملة حول ذلك، وعلي أن أتناول ملخص هذه المقالة في السطور التالية:

"إن التطور والازدهار في الحضارة والثقافة لدى الأمم دائمًا ما يؤدي إلى نشأة الأفكار والفرق والمذاهب المتعددة، ومن المعلوم تاريخيًا أن نشاطات العرب

الفكرية قبل البعثة النبوية كانت ضيقة، فكانت تمارس في أطر معينة، ولكن سرعان ما انبثقت فيهم أنوار الثقافة والتمدن بعد طلوع شمس الإسلام مما حركت نشاطاتهم الفكرية بجانب تأسيس الفرق والمذاهب العديدة، وكلما توسعت دائرة السلطة السياسية والحضارية من خلال الفتوحات الإسلامية خارج الجزيرة العربية، كثرت المذاهب والفرق الإسلامية، مما دفع إلى ظهور فرقة شعوبية على ساحة السياسة والثقافة؛ ذلك من خلال الاختلاط بالفرس والعجم، وكانت هذه الشعوبية كلما وجدت الفرصة طعنت في العرب والإسلام، وبما أنها نشأت على مبدإ العنصر، فلم ترفض التسوية بين العرب وغيرهم فحسب؛ بل تقدم الموالي على العرب، وتحط من شأن العرب، وتكيد للدين الذي جاء عن طريقهم، وقد ظهر هذا الاتجاه بقوة على السطح السياسي والثقافي في المجتمع الإسلامي في عهد الخلافة العباسية، على أيد الغلاة من الموالي، وشاركهم من الخاص والعام".

وقد رأى صاحب المقالة أنه قد ساعدت في نشأة هذه الفرقة الفتن والاضطرابات السياسية التي انتشرت عمومًا بعد سقوط الدولة الأموية ومع قيام الدولة العباسية، وبعد وصول الخليفة المأمون الرشيد إلى سدة الحكم خصوصًا، ثم يشير صاحب المقالة إلى وجود القدرة الفائقة لدى الدولة العباسية للقضاء على هذه الشعوبية الباطلة والعدائية للعرب والمسلمين، ولكن الدولة العباسية وفرت الجو السياسي والثقافي الحر للتعبير عن الرأي ولممارسة النشاطات كافة، ومن هنا لم تقم الدولة بالتعرض لهذه الشعوبية مما أتاح لها الفرصة للنضج وتعظيم نشاطها حتى أصبحت أخطر ظاهرة تهدد الدولة والمجتمع وقيمه، كما أدت إلى إخراج العلماء والأدباء ممن كثفوا نشاطاتهم الثقافية لنشر العادات والتقاليد الفارسية من خلال ترجمة أمهات الكتب الفارسية إلى العربية وتصنيف الكتب العربية، لإبراز تفوقهم، وأكدوا ذلك بعرض تاريخهم وثقافتهم كما ألفوا في مناقب العجم كتبًا عرضوا فيها تاريخ الفراعنة والنماردة والعمالقة والأكاسرة والقياصرة، بجانب مدح ملوك هذه الدول الغابرة، وقاموا بنشر أفكار خاطئة من خلال كتابتهم أن الأنبياء من آدم إلى أولاد

إسحاق كلهم من العجم، أما الأنبياء الذين ينتمون إلى السلالة العربية فهم هود، وصالح، وإسماعيل، ومحمد صلى الله عليه وسلم، ونظرًا للكثرة والقدم فالأفضلية للعجم على العرب، وبالجملة كانوا يريدون من كل ذلك هدم الدين الإسلامي وتشويه مبادئه من الداخل بشتى الأساليب والسبل عقيدة وسلوكًا ونظام حياة، ومحاربة الأمة العربية وكل ما تعتز به من لغة وأدب وتاريخ وأخلاق وطهارة وأنساب.

ولتحقيق هذه الأهداف ألفوا كتب المثالب فعمدوا إلى ما صدر عن قبيلة من بيت تعير به أو عمل تؤاخذ عليه أو جريمة حصلت فيها فقيدوها وأذاعوها؛ فوضع الهيثم بن عدي كتبه:"المثالب الكبير"، و"المثالب الصغير"، ووضع علّان الشعوبي، وكان ماهرًا في الشعر والأنساب، رسالة في البخل يقلب فيها قيمة الكرم فيعده رذيلة والبخل فضيلة، كما ألف أبو عبيدة معمر بن مثنى (ت209هـ/824م)، وكان يمت إلى السلالة اليهودية، في مثالب العرب كتبًا منها: "لصوص العرب"، و"أدعياء العرب"، و"فضائل الفرس"، وغيرها.

ثم ينتهي صاحب المقالة قائلًا إن علماء أهل السنة والجماعة قاموا بالرد الشافي على ادعاءات الشعوبية الباطلة من خلال تقديم الأدلة القاطعة، مشيرًا إلى أنه ليس بصحيح أن نطلق على آدم عليه السلام بأنه عربي أو أعجمي، بل إنه وثيق الصلة بالعرب والعجم معًا، لأن مثل هذه الاختلافات ظهرت بعده، ولاشك أن معظم الأنبياء من الأعاجم ولكن كلهم خرجوا من بوتقة واحدة، يمت كل من العرب وبني إسرائيل إلى سلالة إسماعيل وإسحاق عليهما السلام وهما شقيقان من دم واحد، ومن ثم ليس من العدل أن نقوم بتعظيم أحدهما على الآخر على أساس العنصر، إنما العلاقة بناء على وحدة الأصل لابد من أن تكون قائمة بين الناس على الأخوة والتناصر وليس على التفاخر، وعلى التعارف لا التناكر.[32]

مقالة بعنوان"مآثر نساء العرب وبطولاتها": يبدأ صاحب المقالة بكلمة حول إسهام المرأة في الحياة السياسية والعسكرية، قائلًا إنه لما توجه نابليون بونابرت (ت1236هـ1821م) إلى إسبانيا بعد الاستيلاء على البرتغال، قامت إسبانيا بالتغلب

على هذه الحملة من خلال استخدام حماسة الشعب بجانب تفعيل دور القوات العسكرية، وقد شارك كل من النساء والرجال في المعارك العسكرية دون تفريق، حتى واجهت النساء قوات نابليون، ومن بين النساء كانت هناك امرأة يُطلق عليها "اجستيانا" التي أسهمت في المعارك الدامية ضد الجيش الفرنسي، وقد أصبحت فيما بعد بطلة كبيرة في نظر الغرب، حيث يقدرونها هي وأعمالها تقديرًا خاصًا، ولكن مثل هذه الوقائع والبطولات النسائية قليلة جدًا في أوربا، أما في تاريخ العرب فيمكنكم أن تجدوا مئات من أمثلة البطولات النسائية، ثم يستعرض صاحب المقالة، أمثلة عديدة لإسهام نساء العرب في الحرب والسياسة، قائلًا إن النساء كن يشاركن في المعارك الحربية كلها، فتصحب الجيش الإسلامي ويخصص لها مكان في المدن الحصينة والمعسكرات، وكانت تقيم صفوف النساء والأطفال خلف صفوف الرجال، فكانت النساء في المعارك يقمن بإسعاف جروح العساكر، وبتجهيز الخيول للمعارك، وبرعاية أزواجهن، كما كانت تحرض المحاربين على الحرب ضد العدو، وقد أثبت صاحب المقالة كله ذلك مستخدما أمهات الكتب العربية، والشعر العربي، وقد استمرت هذه العادة في العصر الإسلامي؛ ذلك بداية من العصر النبوي ثم عصر الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين، مستعرضًا أمثلة عديدة للصحابيات اللواتي شاركن في الحروب مع القوات الإسلامية، ثم يختم المقالة قائلًا إنه لولا ذكر مآثر نساء العرب العسكرية والسياسية ضمن تاريخ العرب السياسية والحضارية لا يتم تاريخ العرب والمسلمين.[33]

مقالة بعنوان "اخترعت العرب طرق التعليم للمكفوفين": هي مقالة تاريخية تدل على ما للعرب من الفضل على الأمم في العلوم والفنون والصنائع والسياسة المدنية، يبدأ صاحب المقالة قائلا:لقد وعى الأوروبيون الأوائل من غير المسلمين، كما وعى الناس في كل مكان، هذا الدور الكبير الذي قام به العلماء والمفكرون والفنانون المسلمون، كما بهرتهم تلك الإنجازات حتى إنهم ليحفظون عن ظهر قلب أسماء هؤلاء العلماء والمفكرين وأسماء اختراعاتهم وإبداعاتهم، ولكن مع مرور الزمن

ينسونها ويعزون التقدم الذي يشهدونه في العالم الحديث إلى أنفسهم وحدهم، وعلى سبيل المثال لقد نسيت الغرب أن العالم العربي زين الدين الآمدي (ت712هـ/1312م) اخترع طرقا الكتابة والقراءة للمكفوفين؛ ألا وهي القراءة بطريقة اللمس، ولكن الغرب يضعون هذا الاختراع باسم لويس بريل (ت1268هـ1852م)، حتى اختفى المخترع الأصلي في صفحات الكتب وسمي هذا الاختراع باسم لويس بريل، وتجدر الإشارة إلى أن العالم العربي زين الدين لم يخترع هذه الطريقة للاستخدام الشخصي؛ بل كتب في ذلك سفرًا قيمًا، فوصف وصفًا دقيقًا في كتابه "نكت الهِمْيان في نكت العميان" بقوله:"ويعرف أثمان جميع كتبه التي اقتناها بالشراء. وذلك أنه إذا اشترى كتاباً بشيء معلوم أخذ قطعة ورق خفيفة وفتل منها فتيلة لطيفة وصنعها حرفاً أو أكثر من حروف الهجاء لعدد ثمن الكتاب بحساب الجُمل. ثم يلصق ذلك على طرف جلد الكتاب من داخل ويلصق فوقه ورقة بقدره لتتأبّد فإذا شذّ عن ذهنه كمية ثمن كتاب ما مسّ الموضع الذي عَلَّمه في ذلك الكتاب بيده فيعرف ثمنه من تنبيت العدد الملصق فيه.[34]" وقد تبنى هذا النظام بعد ذلك في كل اللغات المعروفة.[35]

مقالة بعنوان "علم البلاغة علم عربي بحت": قام العلامة شبلي النعماني بنشر مقالته في الندوة تحت عنوان "فن بلاغت"، وأثبت فيها من خلال تقديم الأدلة والبراهين القاطعة أن الذي عرّف علم البلاغة هم العرب الذين استخدموا هذا العلم في أعمالهم الشعرية والنثرية، ولكن للأسف الشديد كثير من الناس يعتبرون كتاب أرسطو "ريطوريقا" أول كتاب وضع في علم البلاغة، ولكنهم لا يعرفون أن هذا الكتاب في فن الخطابة وليس في علم البلاغة، ثم يستعرض في المقالة قائلًا:نجد كثيرًا من الأدباء والعلماء العرب أوردوا تعريفات عديدة لهذا العلم في أعمالهم الأدبية، ثم تطور دلالة مصطلح البلاغة إلى أن استقر في البحث البلاغي المتأخر، فكان ذلك نتيجة طبيعية ومنطقية لمراحل مرّ بها، بدأ منذ بواكير النقد والملاحظات البلاغية غير المعللة في العصر الجاهلي، إذ فُطر الشعراء على الأداء البليغ، أو

هدتهم إليه سلائقهم، وألفته ألسنتهم وآذانهم، وكانت أحكامهم خالية من التعليل، ولها مظاهر عدة. أما في العصر الإسلامي فكان القرآن حجّة بلاغية ترك أثراً قوياً في نفوس العرب آنذاك، بسمو بيانه، وروعة أسلوبه، وحاروا في تعليل أثره في نفوسهم، وهم أهل اللغة وأرباب البلاغة، وقد تحداهم القرآن الكريم أن يأتوا بسورة من مثله أو أقل من ذلك، فعجزوا عن مجاراته، لأنه كتاب الله المعجز، نزل على نبيّه الأمين فظهرت فيما بعد دراسات تخصصت في بحث قضايا إعجاز القرآن وبلاغته ونظمه، أما عصر النضج وازدهار الدراسات في علم البلاغة فيتمثل في مؤلفات عبد القاهر الجرجاني (400- 471هـ/1009- 1078م) أي دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة، والكشّاف للزمخشري (467- 538هـ/1074- 1143م)[36].

مقالة بعنوان "تاريخ المراصد": يتناول صاحب المقالة في هذه المقالة جهود وإنجازات المسلمين في العلوم والتكنولوچيا، مؤكدًا على أن الغرب حاولوا عبر كل القنوات إسقاط اكتشافات العرب والمسلمين في طي النسيان، مؤكدًا على أن ما أظهرته آخر البحوث العلمية في وقتنا الحاضر هو أن الابتكارات في الأجهزة الفلكية في أوروبا حتى العام 1550 ميلادية كانت مأخوذة مباشرة أو بطريق غير مباشر من الحضارة الإسلامية، أو تحدث عنها أحد الفلكيين المسلمين في مكان ما، فقد شيد العلماء المسلمون عبر العصور مراصد كبرى لتعيين حركات الكواكب والنجوم، ولتسجيل الزلازل، ومن هؤلاء العلماء محمد بن الحسن الطوسي (ت460هـ/1068م) الذي شيد أكبر مرصد على الإطلاق لدراسة النجوم.[37]

بجانب هذه المقالات الشاملة والقيمة هناك جزء خاص في مجلة الندوة لنشر المقالات المترجمة من العربية إلى الأردية، والتي نشرت آنذاك في المجلات المصرية، مثل الهلال والمؤيد، وعلى سبيل المثال هناك مقالة بعنوان "علوم إسلامية وإيطالية" تاريخ النشر ذوالقعدة 1328هـ/ديسمبر عام 1910م، و"هل اخترع المسلمون المطابع؟" تاريخ النشر ذوالقعدة 1328هـ/ديسمبر عام 1910م، و"الإسلام في الغرب" تاريخ النشر ربيع الثاني 1328هـ/مايو عام 1910م، و"العلوم والفنون

الإسلامية والغرب" تاريخ النشر ربيع الأول 1329هـ/أبريل عام 1911م، و"المدارس الجديدة في مصر" تاريخ النشر شعبان 1329هـ/أغسطس عام 1911م، و"دار العلوم بيروت" تاريخ النشر صفر 1330هـ/فبراير عام 1912م وغيرها.

وخصصت مجلة الندوة مكانًا خاصًا في نهاية المجلة لنشر ملخصات الكتب والمصادر العربية المنشورة في مصر وسوريا، وبجانب تقديم ملخص الكتاب هناك تعليقات وملاحظات قيمة على الكتب، فهناك ملخص عن كتاب "مناقب عمر بن عبد العزيز" للإمام أبي الفرج ابن الجوزي (510–597هـ/1116–1201م)، وعن كتاب "الفصل في الملل والأهواء والنحل" لابن حزم الأندلسي (ت456هـ /1063م)، وعن كتاب "المرأة المسلمة" لفريد وجدي (1292– 1373هـ/1875–1954م)، والذي نقله إلى الأردية أبو الكلام آزاد (1306–1377هـ/1888–1958م) فيما بعد، وعن إنجيل برنابا، وعن "التفسير الكبير" للإمام فخر الدين الرازي (ت543–606هـ/ 1148– 1209م)، وعن تاريخ ابن خلدون، وعن "بلاغة النساء" لأحمد بن أبي طاهر طيفور(ت280هـ/893م)، وعن "تاريخ التمدن الإسلامي" و"العرب قبل الإسلام" لجورجي زيدان(1278–1332هـ/1861–1914م)، وعن "نهاية الأرب في فنون الأدب" لأحمد بن عبد الوهاب النويري (677–733هـ/1279 –1333م)، وعن "تجارب الأمم في التاريخ وتعاقب الهمم" لأحمد بن محمد المسكوية (ت421هـ/ 1030م، وعن "طبقات ابن سعد"، لمحمد بن سعد (168–230هـ/784–845م)، وعن "تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك" للرمزي، وعن "إخبار العلماء بأخبار الحكماء" لجمال الدين القفطي(568–646هـ/1172–1248م) وغيرها.

وقد بذل مسئولو باب الانتقاد والتقريظ جهدًا مضنيًا في سطر التعليقات على الكتب المذكورة أعلاه، فقد قاموا بكتابة الآراء الدقيقة والشاملة على موضوعات هذه الكتب ومحتوياتها، مما جعل هذه الآراء والتعليقات والملاحظات مقالة مستقلةً، وتترك هذه التعليقات أثرا بالغ الأهمية في ذهن القارئ عن تاريخ تراث العرب بجانب

تبيان قيمة هذه المصادر المهمة للغاية، وكذلك تقوم بإبراز طبائع العرب العلمية والبحثية وزعامتهم الفكرية والثقافية. وتجدر الإشارة إلى أنه لا توجد مجلة علمية في شبه القارة الهندية كلها تضاهي مجلة الندوة في ذلك.

وللمزيد من التوضيح يستحسن ذكر بعض الملخصات وتعليقاتها في السطور التالية:

1. تاريخ ابن خلدون[38]: في بداية المقالة عرّف صاحب المقالة شخصية ابن خلدون كمؤرخ وفيلسوف وكمؤسس علم الاجتماع، مشيرًا إلى مكانته العلمية العالية في الشرق والغرب، ثم يبحث صاحب المقالة في مناهج ابن خلدون الجديدة لسطر الأحداث التاريخية والحضارية، قائلًا: "يعد ما كتبه ابن خلدون من مصنفات في التاريخ والعمران خصوصًا مقدمة كتابه الشهير " كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في معرفة أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، أهم ما يميز هذه المرحلة في الكتابة، وقد أراد ابن خلدون أن يدرس كل دولة منذ بدايتها حتى سقوطها على حدة، وذلك على المنهج الفلسفي والعمراني، وبذلك خالف ابن خلدون مؤلفي التاريخ العام الحولي الذين ساروا على السنين، واختار منهجًا جديدًا أي منهج التحليل والتعليل والنقد والذي لم يكن مألوفًا آنذاك.[39]"

ثم يستعرض صاحب المقالة منهج ابن خلدون مع الإشارة إلى أي حد استخدمه ابن خلدون في كتابه، مؤكدًا على أن منهجه في الكتابة التاريخية والذي أشار إليه ابن خلدون في المقدمة لم يستخدمه في كل أجزاء كتابه، منتقدًا عليه أنه لم يعدل في بعض الأمور التاريخية، مؤكدًا على أنه وقع أيضًا في أخطاء في توقيت الأحداث والأسماء خصوصًا فيما يتعلق بالشرق، ثم يذكر ما كتبه ابن خلدون عن العرب، حيث قال الآخر إن العرب بالطبع بدو ومحاربون لا يعرفون السلم، ومن ثم كلما يستولون على بلاد ما يجعلونها تتنزل إلى الانحطاط والخراب، وإليكم مثال الشام والعراق؛ حيث كان عدد سكان هذه المناطق كثيرا في عهد كسرى وقيصر ولكن بدأ يتقلص يومًا فيومًا بعد وصول المسلمين إليها، ثم ينتقد صاحب

المقالة على رأي ابن خلدون قائلًا: إن ما قاله ابن خلدون هو عكس ما ظهرت من خلال الأبحاث الأثرية التي أكدت على وجود آثار العمران والازدهار الحضاري في هذه المناطق بعد تبعية هذه المناطق للدولة الإسلامية، ثم يؤكد صاحب المقالة على أنه قد وقع ابن خلدون في هذا الفهم الخاطئ بسبب عدم معرفته بدقة عن هذه المناطق، مستدلًا بقول ابن خلدون والذي اعترف فيه الأخير بعدم معرفته لأحوال الأمم الشرقية.[40]

ثم يستعرض صاحب المقالة ما كتبه ابن خلدون عن السياسة عند العرب، حيث يقول الأخير إن العرب لا يعرفون السياسة ولا توافق طباعهم هذا الفن، ولو كان ذلك لنجحوا في السيطرة على الأوضاع المتردية في الدول الإفريقية، وكذلك كانوا قد استطاعوا الحفاظ على الإمارات الإسلامية في الأندلس من ضياعها، ثم يزيد صاحب المقالة قائلًا: لقد تيقن ابن خلدون، من خلال هذه النظرية، أن العرب لا تستطيع بالطبع أن تكون متمدنة، ولكن نظريته هذه خاطئة تمامًا؛ لأن متخصصي علم الأجناس يؤكدون على وجود عنصر التمدن والتحضر عند العرب أكثر من الأمم الأخرى، ثم يتحدث عن فن القيادة السياسية عند المسلمين، مستعرضًا نماذج عديدة ليؤكد على دور هذه القيادات وأمثالها في نهضة البشرية والحكم العادل.[41]

ثم يختم صاحب المقالة قائلًا: إن للعرب هواية طبيعية لفن العمارة وهو مظهر كبير للتأكيد على التحضر لأمم ما، فكانوا مهتمين بذلك قبل الإسلام وبعده، وقاموا برعاية كاملة بهذا الفن، وأكبر مثال على ذلك قيامهم بإنشاء سد مأرب في اليمن، ثم قاموا بالإبداع في هذا الفن، ولا ريب أنهم أفادوا كثيرًا من حضارات الآخرين في تطوير مبانيهم إلا أنهم حافظوا بذلك على علم الهندسة وطوروها عبر العصور، ثم يدعو صاحب المقال إلى زيارات المعالم الإسلامية الموجودة في الشرق والغرب من مدينة الزهراء والزاهرة، وقصر الحمراء، وقبة الصخرة، والمسجد الأموي،

والمدن الواقعة في سمرقند وأصفهان، والمباني والقلاع الموجودة في شبه القارة الهندية مثل تاج محل والقلعة الحمراء والمسجد الجامع في دلهي وغيرها.[42]

2."**طبقات ابن سعد**": يبدأ صاحب المقالة تعريف ابن سعد، مشيرًا إلى تاريخ ولادته، ومحل ولادته، مستعرضًا أسفاره في طلب العلم، وأسماء الشيوخ الذين درس ابن سعد على أيديهم، إلى أن تعرّف على شيخه الواقدي (ت207هـ/822م)، ثم يتحدث عن تأثره بمنهج شيخه الواقدي في إيراد التراجم على طريقة الطبقات، قائلًا:"وعلى الرغم من اعتماده في كثير من أخباره على شيخه الواقدي إلا أن ما حصله من مرويات عن شيوخه الآخرين أكسب كتابه ثقة عند المؤرخين والمحدثين لم ينلها شيخه الواقدي، الذي أجمع المحدثون على تضعيفه،لأنه خرج عن منهجهم في إيراده الأسانيد مجموعة، ثم إنه لم يتحرَّ حال من يروي عنهم من عدالة وضبط، وهو ما تجنبه ابن سعد، فحاز توثيق المحدثين له.

ثم يتناول صاحب المقالة طريقة ابن سعد في سرد الأحداث التاريخية، قائلًا إن ابن سعد من أوائل من ألف في هذه الطريقة، وليس هناك كتاب سبقه، فهو من هذه الناحية من أوائل النماذج في تراجم الرجال، وقد تأثر في هذه الطريقة من جاء بعده من المؤرخين والمحدثين، وأما كتابه "الطبقات الكبير" فأصبح لاتساع مادته أكبر مصدر مهم للقدامى والمحدثين، لا يستطيع الاستغناء عنه كل من يتصدى لكتابة التاريخ الإسلامي في قرونه الأولى، ثم يختم صاحب المقالة قائلًا: لقد أنفق ملك ألمانيا مالًا كثيرًا على إخراج هذا الكتاب تحت إشراف المستشرق كارل إدوارد سخاو(1261-1349هـ/1845-1930م) *Karl Edward, Sachau*،[43] والذي أسهم مع مجموعة من المستشرقين في تحقيق وإخراج هذا المصدر الموثوق به، وقام بطبعه من ليدن في عام 1904م إلى عام 1907م ثم يذكر عدد الصفحات والسطور وقيمة الكتاب وغيرها.[44]

3. تاريخ التمدن الإسلامي: كتب الأديب والمؤلف جورجي زيدان كتابًا بعنوان "تاريخ التمدن الإسلامي" في أربعة مجلدات، وتحامل في كتابه هذا، وذلك

من وراء الستار، على الإسلام والمسلمين وشوه كثيرًا من الحقائق التاريخية المتعلقة بتاريخ تراث العرب، ولما حصل العلامة شبلي على نسخة من هذا الكتاب، قرأه بجدية تامة، ثم قام بسطر الافتراءات والأمور الكاذبة المحضة أو المغرضة، وأثبت من خلال تقديم الأدلة القاطعة أغلاط جورجي زيدان، ولما كان هذا الكتاب باللغة العربية، فألف العلامة أيضًا كتابه "الانتقاد على تاريخ التمدن الإسلامي"، وبعد ذلك نشر ملخص هذا الكتاب في مجلة الندوة باللغة الأردية، يستعرض العلامة محتويات كتاب "تاريخ التمدن الإسلامي" قائلًا: إن مؤلف هذا الكتاب تناول موضوعات بصورة الرواية ولكن بطريقة سلبية كلما أتت له فرصة ضمن سرد الأحداث التاريخية الإسلامية، ثم يشير إلى أهداف تأليف هذا الكتاب، مؤكدًا على أن الهدف الحقيقي لنشر هذا الكتاب هو تحقير العرب وإنكارهم، فقد حاول جورجي زيدان إثبات أن الخلفاء الأمويين والعباسيين قد أهانوا الإسلام والمسلمين، مقتبسًا قول جورجي، يقول فيه إن كلاً من الخليفة المنصور والمعتصم قام بإنشاء قبة خضراء وكعبة في بغداد وسامرا لتحقير الكعبة والأماكن المقدسة الإسلامية الأخرى، ثم يؤكد العلامة على أنه كان هناك من بين الأهداف فتح أبواب النقاش حول المسائل الجزئية المتعلقة بالسياسة والحضارة خصوصًا أن هناك تركيزًا خاصًا على فتح ملفات الفرق الإسلامية وسطر كل الخلافات الموجودة بينهم، ولتحقيق هذا الهدف استخدم المؤلف كل الوسائل المتاحة له من الكذب والافتراء، والخيانة والتحريف في نقل الروايات، والإضافة من جانبه لتغيير صورة الأحداث في كثير من الأحيان، مع الاستنباط والاستدلال غير الصحيح لدى النقاش على الأحداث التاريخية، ثم يستعرض العلامة الردود الوافية التي كتبها في كتابه "الانتقاد على تاريخ التمدن الإسلامي".[45]

نتائج عامة:

ويمكن تلخيص النتائج المهمة التي توصل البحث إليها من خلال هذه الرحلة العلمية الهندية، كالآتي:

1. يفتخر المسلمون في شبه القارة الهندية بالترابط الديني والثقافي مع العرب، وذلك من خلال نشر الثقافة الإسلامية وتاريخ التراث العربي والإسلامي، عبر إنشاء شبكة المدارس الإسلامية وإصدار المجلات في اللغة العربية وفي اللغات المحلية.
2. لقد انتبه علماء الهند إلى الخطر لتقليص الثقافة الإسلامية في شبه القارة الهندية، فاختاروا الطريق الأمثل لدراسة الدين الإسلامي والشريعة الإسلامية، ألا وهو إنشاء الجامعات وشبكة المدارس الإسلامية والمجامع العلمية للدراسات الإسلامية ولإخراج الكتب العلمية في السير والتاريخ والحضارة الإسلامية لنشر الثقافة الإسلامية في شبه القارة الهندية، ولتفنيد افتراءات المبشرين والمستشرقين حول الإسلام والشريعة الإسلامية.
3. تعتبر مجلة الندوة أكبر دليل شامل لناطقي اللغة الأردية للحصول على كل ما يتعلق بتاريخ تراث العرب والمسلمين عبر القرون، تجتذب المقالات المنشورة في هذه المجلة أنظار المسلمين لقراءتها، كما أعطت هذه المجلة فكرة رائعة لإصدار المجلات باللغات الهندية المحلية الأخرى لتثقيف مسلمي شبه القارة بالثقافة الإسلامية.
4. وقد اتضح أيضًا من خلال استعراض موضوعات مجلة الندوة أنها مجلة شاملة ودقيقة لمعالجة الموضوعات المتعلقة بالعرب وتراثهم، وبذلك تعتبر هذه المجلة أكبر مصدر هندي لنشر تاريخ العرب الديني والعلمي والبحثي والثقافي والسياسي والحضاري.

الهوامش:

[1] هناك مقالة قيمة سطرها العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي في كتابه "بحوث وتحقيقات"، تحت عنوان "التعريف بجمعية دار المصنفين في أعظم گره–الهند، ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت 1995م، ص205

[2] حول تاريخ ندوة العلماء ومدرستها دار العلوم، وحول تاريخ المراكز التعليمية والبحثية راجع الكتب التالية: شمس تبريز: تاريخ ندوة العلماء، ط: المجمع العلمي الإسلامي، ندوة العلماء، لكهنؤ/ خورشيد أحمد: دار المصنفين كي تاريخ اور علمي خدمات، ط: دار المصنفين أكاديمية شبلي النعماني، أعظم گره.

[3] نستطيع نرى اهتمام هذه المجلة الأردية باستعمال التواريخ الهجرية بدلا من التواريخ الميلادية في الملاحق المرفقة في نهاية هذه المقالة. و يفيد غلاف المجلة أنها كانت تطبع في مطبعة مفيد عام بمدينة أگره تحت إشراف محمد قادر علي خان صوفي، وكان يتم توزيعها من خلال مكتب ندوة العلماء الواقع آنذاك في شاهجهانپور بالهند. راجع الملاحق 4-1

[4] هو من أبناء ندوة العلماء، عاش طول حياته خادمًا للعلم والثقافة، درس في الندوة فترة طويلة إلى أن أصبح رئيسًا لقسم الدراسات الإسلامية، ثم تولى رئاسة الشئون التعليمية بدار العلوم ندوة العلماء، وله مؤلفات عديدة، منها على سبيل المثال لا الحصر: عشرة دروس للغة العربية باللغة الأردية، موجز تاريخ الإسلام بالأردية، موجز تاريخ الهند بالأردية، الدنيا ما قبل الإسلام وما بعده بالأردية.

[5] سليمان الندوي: حيات شبلي، ط: أكاديمية شبلي النعماني، الهند، صـ350

[6] أفضل ما ألف في موضوع السيرة النبوية كتاب "سيرة النبي" وهو في سبعة مجلدات كبار في اللغة الأردية للعلامة شبلي النعماني ولتلميذه الأستاذ الكبير سيد سليمان الندوي، وهو كدائرة المعارف في السيرة النبوية وعلم الكلام والتوحيد. وقد طبعت هذه الموسوعة في أكاديمية شبلي في طبعات عديدة. ومن خلال الاطلاع على محتويات هذه الموسوعة وموضوعاتها المتنوعة عن السيرة النبوية العطرة، يستطيع القارئ تقدير المجهودات التي بذلها كل من الشيخ شبلي النعماني وتلميذه النابه الشيخ سليمان الندوي، ولاشك أنهما أفنيا عمرهما في خدمة السيرة النبوية ومشاهير الإسلام. وقد اطلعت على ما كتبه تلميذه عن شغف أستاذه بتدوين السيرة، يتضح منه تعلقه بها لا يعلم قوته إلا الله. وحسب كلامه كان يشد بيده- سيد سليمان الندوي- وهو على فراش الموت ويقول له:السيرة، السيرة، السيرة، وذلك لأنه كان قد بدأ بتأليفها ولم يمهل له الموت أن يكملها، فكان يحث تلميذه على

إتمامها. وعلى الرغم من أن هذه الموسوعة ألفت بهذا الشغف والحرقة، والحرص الشديد حتى الرمق الأخير، وهي درة في علم السيرة، وفريدة من نوعها في بابها، إلا أنها وللأسف الشديد لم يتم ترجمتها إلى العربية حتى الآن.

[7] للاطلاع على المقالة الكاملة راجع مجلة الندوة، عدد محرم عام 1330هـ/ الموافق يناير عام 1912م، ص5

[8] جبلة بن الأيهم آخر ملوك الغساسنة في الشام، كان حليفًا للروم، حكم ما بين عامي 10-16هـ/632-638م، وكان بذلك الملك السادس والثلاثين في سلالة الغساسنة، أسلم وقدم على عمر بن الخطاب مع جنوده، ثم هرب وتنصر بعد أن أراد عمر بن الخطاب أن يقتص منه للطمه أحد المسلمين في أثناء الطواف حول الكعبة، راجع أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، الجزء الخامس عشر، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، أيضًا نولدكه: أمراء غسان من آل جفنه، ترجمة بندلي جوزي وقسطنطين زريق، ط: بيروت 1933م.

[9] للمقالة الكاملة راجع الندوة، جـ1، عدد2، سبتمبر عام 1904م، ص6-7

[10] راجع الندوة، جـ1، عدد2، سبتمبر عام 1904م، ص17

[11] حول حياته وأعماله ومحنته راجع ارنيست رينان: ابن رشد والرشدية، ترجمة عادل زعيتر، ط: عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة 1954م ص454-455

[12] للمزيد من التفصيل حول دولة الموحدين راجع الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، ط:تونس 1966م

[13] مجلة الندوة: جـ1، عدد6، يناير 1905م

[14] أصدر جورجي زيدان مقالات عديدة حول تاريخ الأدب العربي في أعداد مجلته الهلال العديدة، ثم نشر هذه المقالة في صورة كتاب تحت عنوان "تاريخ آداب اللغة العربية"، أربعة أجزاء، ط: مصر 1911م

[15] للمقال الأردي راجع مجلة الندوة، جـ3، عدد6، يوليو عام 1906م، ص1-4/ للنص العربي الكامل راجع مجلة الهلال، الجزء التاسع من السنة الأولى، عدد مايو سنة 1893م، ص330-340

[16] حول اللغات السامية راجع جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جـ8، ص525 وما بعدها

[17] كليم صفات إصلاحي: تاريخ عرب كا ايك هندوستاني ماخذ رسالة "الندوة" لكهنؤ، مجلة معارف الأردية، عدد ديسمبر عام 2010م، ص452

[18] راجع الندوة: عدد يونيو، عام 1912م، ص29

[19] حول حياة امريء القيس راجع جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، عشرة أجزاء، ط: بغداد، دون تاريخ، جـ3، ص359-378

[20] لقد قرأ الكتب السماوية، ورغب عن عبادة الأوثان، وكان يخبر بأن نبيًا يبعث قد قرب زمانه، ويأمل أن يكون ذلك النبي، فلما بلغه بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وقصته كفر حسدا له، راجع للتفصيل ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، جزءان، ط: دار المعارف، القاهرة، جـ1، ص459-461

[21] حول أعماله الشعرية راجع ابن قتيبة: مصدر سابق، جـ1، ص305-308

[22] هو من أعظم الشعراء المخضرمين، وقبل إسلامه كان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، إلا أنه آمن وأنشد قصيدته المشهورة (بانت سعاد)، فعفا عنه النبي، وخلع عليه بردته فسميت قصيدته بـ (البردة). ثم حسن إسلامه وأخذ يصدر شعره عن مواعظ وحكم باهتداء من القرآن الكريم وظهرت المعاني الإسلامية في شعره من أن الله هو رازق لعباده وغير ذلك، راجع ابن قتيبة: مصدر سابق، جـ1، ص154-156

[23] الفرزدق شاعر من العصر الأموي، واسمه همام بن غالب بن صعصعة الدارمي التميمي وكنيته أبو فراس، اشتهر بشعر المدح والفخر وشعر الهجاء، لمزيد من التفصيل راجع ابن قتيبة: مصدر سابق، جـ1، ص471

[24] كان جرير أشعر أهل عصره، ولد ومات في اليمامة، وعاش عمره كله يناضل شعراء زمنه، وهو من أغزل الناس شعرًا في عصره. راجع ابن قتيبة: مصدر سابق، جـ1، ص464

[25] أبو الحسن علي بن عباس بن جريح الشهير بابن الرومي، عاصر في بيئته كثير من الشعراء، ويمتاز بالقدرة السحرية على التحليل، كما أنه أبدع في التصوير والوصف الدقيق

حتى فاق شعراء عصره في ذلك الجانب، وله ديوان كبير. راجع ديوان ابن الرومي، تحقيق عمر فاروق الطباع، ثلاثة أجزاء، ط:دار الأرقم للطباعة والنشر، القاهرة 2001م

[26] أبو العلاء المعري هو أحمد بن عبد الله بن سليمان القضاعي التنوخي المعري، شاعر وفيلسوف وأديب عربي من العصر العباسي، ولد وتوفي في معرة النعمان في شمال سوريا. لقب برهين المحبسين بعد أن اعتزل الناس لبعض الوقت. اشتهر بآرائه وفلسفته المثيرة للجدل في وقته، وهاجم عقائد الدين الإسلامي. راجع ترجمته الوافية، ابن خلكان، شمس الدين أحمد (ت681هـ/1281م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، ثمانية أجزاء، ط:دار صادر بيروت، جـ1، ص113-116

[27] راجع الندوة: عدد يونيو، عام 1912م، ص30

[28] للمزيد من التفصيل راجع الندوة جـ5، عدد5، يونيو عام 1908م، ص21-22/ حول صلات العرب السياسية والثقافية مع الدول الأخرى راجع جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جـ1-2

[29] للاطلاع على النص الكامل راجع الندوة جـ5، عدد5، يونيو عام 1908م، ص6

[30] راجع الندوة، عدد أبريل عام 1908، جـ5، عدد3، ص14-15

[31] حول الشعوبية يمكن الرجوع إلى الكتب التالية: عبد الله بن مسلم بن قتيبة: العرب أو الرد على الشعوبيين، ضمن رسائل البلغاء، اختيار محمد كرد علي، ط: القاهرة 1365هـ/1946م/ محمد نبيه حجاب: مظاهر الشعوبية في الأدب العربي، ط: مكتبة نهضة مصر 1381هـ/1961م/ مجموعة مؤلفين: الشعوبية ودورها التخريبي في الفكر العربي والإسلامي، منشورات منظمة المؤتمر الإسلامي الشعبي، ط: مطبعة الرشاد، بغداد 1408هـ/1988م

[32] راجع الندوة جـ8، عدد3، مارس 1911م، ص25-32

[33] راجع الندوة، ص5 وما بعدها/ هناك كلام وافي كتبه سيد أمير علي حول دور نساء العرب، يقول:"قامت نساء العرب بلعب دور سياسي وعسكري وثقافي خطير لاسيما في عصر الدولة العباسية، ففي عصر الخليفة هارون الرشيد، يمتطين الجياد ويقدن الجند إلى

ميدان القتال، راجع سيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، نقله إلى العربية رياض رأفت، ط: القاهرة عام 1938م، ص190

[34] للاطلاع على ترجمة كاملة لزين الدين راجع الكتب التالية: خليل بن أيبك الصفدي: نَكْت الهِمْيان في نُكَت العميان، وقف على طبعة أحمد زكي ط: مصر المطبعة الجمالية 1329هـ/1911م/ ابن حجر العسقلاني (ت852هـ/1448م): الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (دار الكتب الحديثة، مصر)

[35] راجع الندوة، عدد يوليو 1911م، ص29-31

[36] للمزيد من التفصيل راجع الندوة: عدد نوفمبر 1904، ص21-30

[37] للاطلاع على المقالة راجع الندوة: عدد مارس ومايو عام 1909م، وعدد سبتمبر عام 1911م

[38] أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المعروف باسم ابن خلدون (732-808هـ/1332-1406م)، كان فلكيًا، اقتصاديًا، مؤرخًا، فقيهًا، حافظًا، عالم رياضيات، وفيلسوفًا، يعتبر مؤسس علم الاجتماع. ولد في إفريقية فيما يعرف الآن بتونس في عهد الحفصيين()، أصله من الأندلس، وترك تراثاً ما زال تأثيره ممتداً حتى اليوم. توفي ابن خلدون في مصر وتم دفنه قرب باب النصر بشمال القاهرة، ومن أشهر أعماله "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في معرفة أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، و"مقدمة ابن خلدون". راجع التعريف بان خلدون ورحلته غربًا وشرقًا، عبد الرحمن ابن خلدون، ط: سلسلة الذخائر، القاهرة

[39] راجع الندوة: جـ5، عدد8، سبتمبر عام 1908م، ص5 وما بعدها

[40] راجع الندوة: مقالة سابقة، ص12

[41] راجع الندوة: مقالة سابقة، ص15

[42] راجع الندوة: جـ5، عدد8، سبتمبر عام 1908م، ص17-18

[43] للمزيد من التفصيل عن حياته وأعماله راجع العقيقي: المستشرقون، ثلاثة مجلدات، ط4: دار المعارف مصر، جـ2، ص388-389

[44] الندوة: جـ9، عدد3، مارس عام 1912م، ص31

[45] راجع الندوة، جـ8، عدد1، أكتوبر عام 1911م/ وتجدر الإشارة إلى أن شبلي النعماني لما فرغ من كتابه الانتقاد، بعث به إلى العلامة محمد رشيد رضا المتوفى 1354هـ/1935م الذي نشره أولًا بصورة مقالات متتابعة في مجلته المنار، ثم نشره في صورة كتاب مستقل وقدم له بمقدمة، لمزيد من التفاصيل راجع مقدمة كتاب الانتقاد على كتاب تاريخ التمدن الإسلامي،طبع المنار مصر، ص5–6، وقد اعترف جورجي زيدان بالأخطاء التي ارتكبها في كتابه، ثم توطدت العلاقات الثقافية بينهما عن طريق المراسلة، وقام جورجي زيدان بنشر مقال شبلي النعماني في مجلته الهلال، راجع مقدمة الجزء الثاني من كتاب تاريخ التمدن الإسلامي، جـ2، ص7–8، ط:مطبعة الهلال 1320هـ/1902م، وكتب جورجي زيدان أيضًا تقريظًا مقتضبًا لكتاب شبلي "كتب خانه إسكندرية" في 4 من ربيع الأول عام 1311هـ/الموافق 15 أكتوبر عام 1893م، يقول:"كتب عالم الهند الشيخ شبلي النعماني رسالة بعنوان "كتب خانه إسكندرية"، أي خزانة الإسكندرية ليدفع بها دعوى القائلين بأن المسلمين قاموا بإحراق مكتبة الإسكندرية وذلك بالبراهين والأدلة الساطعة وقد كتبها بلسان الهندوستاني، وقام صديقه المصلح الهندي الكبير السيد أحمد خان بنقلها إلى الإنجليزية حتى تعم الفائدة وهي رسالة جديرة بالنقل إلى اللسان العربي فله شكرنا وشكر حضرات القراء...ولعل صديقنا النعماني قد عثر على أسانيد جديدة تؤيد رأيه فنرجو نشرها خدمة للحقيقة فإنها ضالتنا المنشودة، راجع مجلة الهلال: الجزء الثاني–السنة الرابعة عشرة–1 أكتوبر عام 1322هـ/1904م، ص47

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر والمراجع العربية:

1. ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد (ت852هـ/1448م): الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة (دار الكتب الحديثة، مصر)
2. ابن خلكان، شمس الدين أحمد (ت681هـ/1281م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، ثمانية أجزاء، ط:دار صادر بيروت

3. ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم (213–276هـ/828–889م): الشعر والشعراء، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، جزءان، ط: دار المعارف، القاهرة
4. أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (284–356هـ/897–967م): كتاب الأغاني، ط: دار الكتب العلمية، بيروت
5. ارنيست رينان: ابن رشد والرشدية، ترجمة عادل زعيتر، ط: عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة 1954م
6. مجموعة مؤلفين: الشعوبية ودورها التخريبي في الفكر العربي والإسلامي، منشورات منظمة المؤتمر الإسلامي الشعبي، ط: مطبعة الرشاد، بغداد 1408هـ/1988م
7. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، عشرة أجزاء، ط: بغداد، دون تاريخ
8. جورجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، أربعة أجزاء، ط: مصر 1911م
9. جورجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، أربعة مجلدات، ط:مطبعة الهلال 1320هـ/1902م
10. خليل بن أيبك الصفدي (696– 764 هـ / 1296– 1363م): نَكْت الهِمْيان في نُكَت العميان، وقف على طبعه أحمد زكي ط: مصر المطبعة الجمالية 1329هـ/1911م
11. ديوان ابن الرومي، تحقيق عمر فاروق الطباع، ثلاثة أجزاء، ط:دار الأرقم للطباعة والنشر، القاهرة 2001م
12. الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر (745–794هـ/1344– 1392م): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، ط:تونس 1966م
13. السيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، نقله إلى العربية رياض رأفت، ط: القاهرة عام 1938م
14. شبلي النعماني: الانتقاد على كتاب تاريخ التمدن الإسلامي،طبع المنار مصر

15. عبد الرحمن ابن خلدون (732-808هـ/1332-1406م): التعريف بابن خلدون ورحلته غربًا وشرقًا، ط: سلسلة الذخائر، القاهرة.
16. عبد العزيز الميمني الراجكوتي: بحوث وتحقيقات، ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت 1995م
17. العقيقي: المستشرقون، ثلاثة مجلدات، ط4: دار المعارف مصر
18. محمد نبيه حجاب: مظاهر الشعوبية في الأدب العربي، ط: مكتبة نهضة مصر 1381هـ/1961م
19. مسلم بن قتيبة: العرب أو الرد على الشعوبيين، ضمن رسائل البلغاء، اختيار محمد كرد علي، ط: القاهرة 1365هـ/1946م
20. نولدكه: أمراء غسان من آل جفنه، ترجمة بندلي جوزي وقسطنطين زريق، ط: بيروت 1933م

ثانيًا: المصادر والمراجع الأردية:

1. خورشيد أحمد: دار المصنفين كي تاريخ اور علمي خدمات، ط: دار المصنفين أكاديمية شبلي النعماني، أعظم گره
2. سليمان الندوي: حيات شبلي، ط: أكاديمية شبلي النعماني، الهند
3. شبلي النعماني: سيرة النبي، ط: لاهور، پاكستان، 1408هـ/1987م
4. شبلي النعماني: مقالات شبلي، ط: الأكاديمية شبلي النعماني، أعظم كره، 1930م
5. شمس تبريز: تاريخ ندوة العلماء، ط: المجمع العلمي الإسلامي، ندوة العلماء، لكهنؤ

المجلات والدوريات:

1. الندوة: عدد محرم عام 1330هـ/ الموافق يناير عام 1912م
2. الندوة، جـ1، عدد2، جمادى الثانية 1322هـ/ الموافق سبتمبر عام 1904م
3. الندوة: جـ1، عدد6، شوال 1322هـ/الموافق يناير 1905م

4. الندوة: جـ3، عدد6، جمادى الأولى 1324هـ/الموافق يوليو عام 1906م
5. الهلال: الجزء التاسع من السنة الأولى، شوال 1310هـ/الموافق مايو سنة 1893م
6. معارف: عدد ذو الحجة 1431هـ/الموافق ديسمبر عام 2010م
7. الندوة: عدد جمادى الثانية 1330هـ/الموافق يونيو عام 1912م
8. الندوة: جـ5، عدد5، جمادى الأولى 1326هـ/الموافق يونيو عام 1908م
9. الندوة: جـ5، عدد3، صفر 1326هـ/الموافق أبريل عام 1908م
10. الندوة: جـ8، عدد3، صفر 1329هـ/الموافق مارس 1911م
11. الندوة: عدد رجب 1329هـ/الموافق يوليو 1911م
12. الندوة: عدد جمادى الثانية 1322هـ/الموافق نوفمبر 1904م
13. الندوة: عدد صفر وربيع الثاني1327هـ/الموافق مارس ومايو عام 1909م، وعدد رمضان 1329هـ/الموافق سبتمبر عام 1911م
14. الندوة: جـ5، عدد8، شعبان 1326هـ/الموافق سبتمبر عام 1908م
15. الندوة: جـ9، عدد3، ربيع الأول 1330هـ/الموافق مارس عام 1912م
16. الندوة: جـ8، عدد1، شوال 1329هـ/الموافق أكتوبر عام 1911م
17. الهلال: الجزء الثاني–السنة الرابعة عشرة–1 رجب 1322هـ/الموافق أكتوبر 1904م

تطور الأدب العربي الصوفي في الهند

البروفيسور الدكتورة مه جبين أختر *

{رفضت حاليا النظرية القائلة بأن التصوف الإسلامي كان وليد الأفكار الهندية، وثبت بالدراسات الجديدة أن التصوف الإسلامي هو مجموعة الأفكار المختلفة من المصادر المتنوعة ومنها البوذية أيضا . والجدير بالذكر أن الفلسفة الإسلامية لم تتأثر قط بالأفكار الهندية، بل جاء تأثير البوذية عليها عن طريق شرق إيران وبلاد ما وراء النهر حيث كانت تعاليم البوذية عامة في تلك البلاد في القرن الحادي عشر} .

إن خدمات الصوفية ودعواتهم الدينية في الهند تتجلى في مجالات العلم والأدب والاجتماع والثقافة، فقد خلفوا في اللغة العربية مؤلفات قيمة، بالإضافة إلى الكتب في اللغات المحلية، وهي تشتمل على النثر والشعر، والكلام المأثور والرسائل والأوراق، وتدور كلها حول التصوف وتهدف إلى تربية النفس وإصلاح المجتمع ونشر الدين الإسلامي.

ولا شك في أن جميع الجهود الأدبية للصوفية في الهند ليس سوى جمع البحر في كوزة، وبالرغم من ذلك فنقدم هنا محاولة مبدئية في ضوء بعض مؤلفاتهم.

بدأ المفكرون الهنود الكتابة باللغة العربية في حين قد تم قبل ذلك تأليف بعض الكتب القيمة في التصوف أمثال "اللمعة" للشيخ أبي نصر، و"الرسالة

---

* رئيسة قسم اللغة العربية، الجامعة العثمانية، حيدرآباد

القشيرية" للقشيري المتوفى عام 465 هـ 1073م، و"عوارف المعارف" لشهاب الدين السهروردى المتوفى عام 638 هـ/ 1234م، و"فصوص الحكم" لابن العربي المتوفى عام 638هـ/1240م وغير ذلك وقد أخذ التصوف طابعا واضحا مما اختاره الصوفية الهنود كصوفية البلاد الأخرى، فكل ما ألف باللغة العربية من كتب في التصوف في الهند والباكستان كان أسلوبها كأسلوب الكتب القديمة، وتكررت فيها الموضوعات السابقة والمعروفة .

رفضت حاليا النظرية القائلة بأن التصوف الإسلامى كان وليد الأفكار الهندية، وثبت بالدراسات الجديدة أن التصوف الإسلامى هو مجموعة الأفكار المختلفة من المصادر المتنوعة ومنها البوذية أيضا. والجدير بالذكر أن الفلسفة الإسلامية لم تتأثر قط بالأفكار الهندية، بل جاء تأثير البوذية عليها عن طريق شرق إيران وبلاد ما وراء النهر حيث كانت تعاليم البوذية عامة في تلك البلاد في القرن الحادي عشر.

وهناك رأي آخر أيضا وهو أن الفلسفة الإسلامية دخلت الهند بصورة متكاملة، ثم لم تقبل عناصر الفلسفة الويدية أو أي فلسفة هندية أخرى. فكل ما كتب في الهند حول التصوف لايختلف شيء منه عن تصوف العصر المبدئي الذي جاء به المسلمون إلى الهند .

ومن أهم المؤلفات في التصوف وما يتعلق به باللغة العربية قد يذكر على النحو التالي:

1- لوائح الأنوار في الرد على من أنكر على العارفين من لطائف الأسرار، للمؤلف سراج الدين عمر بن إسحاق :

ألف هذا الكتاب سراج الدين عمر بن إسحاق في شكل جواب وسؤال وجّه إليه: هل يحكم على صوفي بالمعصية أحط منزلة ليلة القدر من ليلة التجلى في الأبيات التالية :

تجلى بأوصاف الجمال فشاهدت عيون قلوب ما به جاء ذوالفكر
فيا ليلة فيها السعادات أملتى لقد صغرت في جبتها ليلة القدر

بدأ المؤلف هذا الكتاب بالحمد لله و النعت للنبي صلي الله عليه وسلم ثم قام بدراسة تفصيلية عن المعرفة و أصدر الحكم في حق الصوفي.

2. **القول الجميل في بيان سواء السبيل، للشاه ولي الله:**

ألف هذا الكتاب الشيخ المعروف الشاه ولي الله الدهلوي، و هو مقسم علي عدة أبواب: الباب الأول في حقيقة البيعة و بيان الروح. و الباب الثاني في بيان المدارج المختلفة للسالكين، و الباب الثالث والرابع و الخامس يشتمل على بيان الأعمال والمعمولات لطرق الصوفية المختلفة من القادرية و الجشتية والنقشبندية، والباب السادس في بيان أهمية الانتساب إلي المرشد.

يجدر بنا أن نستعرض مجملا تلك الموضوعات الهامة التي اعتنى الكتاب بدراستها.

أول ما ألقى عليه المؤلف النظر هو بداية البيعة، فكتب أن البيعة في أوائل عصر الإسلام كانت على خمسة أقسام؛ البيعة على إطاعة الخليفة على سبيل السياسة، والبيعة عند قبول الإسلام والبيعة عند الهجرة، والبيعة على الثبات في الجهاد، والبيعة على التعاهد على قضاء الحياة الدينية الصالحة.

بعد بيان هذه الأقسام قرر المؤلف القسم الأخير مرادفا للطريقة و سنة لما ثبت بالأحاديث الموثوقة أن النبي صلي الله عليه وسلم أخذ البيعة من المسلمين والمسلمات في بعض المناسبات، و جاء مثل هذه البيعة في القرآن الكريم أيضا. ثم استدل على فائدة البيعة في الطريقة بحقيقة نفسية و هي: إن نصح رجلا عديد من الناس بموعظة واحدة اختلف أثرها حسب اختلاف الناصحين، فإن كان الناصح شخصية عظيمة كان تأثيرا لموعظة على السامع أقوى و أوقع.

قرر الشاه ولي الله للمرشد خمسة شروط: الأول أن يكون مطلعا جيدا على التعاليم الإسلامية، والثاني أن يكون ملتزما قويا بالعدل والتقوى، والثالث أن يكون فعلويا أمام المصالح الدنيوية، والرابع أن يقوم بتوجيه مريدية وفقا للأوامر والنواهي الشرعية، والخامس أن يكون قد تربى على يد مرشد كبير.

كما قرر المؤلف للمريدين أيضا بعض الشروط وأهمها أن يكون المريد عاقلا وبالغا ويثق ثقة قوية بمن يجعله مرشدا له .

ثم بين المؤلف كيفية البيعة فقال: يمسك المرشد يد المريد بيده ويقرئه كلمة الشهادتين، ثم يكلفه بالتوبة عن المعاصي السابقة، ويأخذ العهد منه بأنه يجتنب المعاصي في المستقبل قدر ما يمكن. وأخيرا ذكر المؤلف أعمال الصوفية بهذا الصدد، تلك التي كان نفسه على صلة بها.

يعد الشاه ولي الله من كبار المحدثين في عصره، وكتابه هذا يعتبر ثقة في موضوعه .

3- إرشاد الطالبين وتأييد المريدين، للقاضي ثناء الله الباني بتي:

ألف هذا الكتاب القاضي ثناء الله الباني بتي، وقسمه على ستة أجزاء سمى كل جزء باسم الكتاب، وموضوع كل كتاب على النحو التالي :

الكتاب الأول : الولاية

الكتاب الثانى : واجبات المريدين

الكتاب الثالث : واجبات المرشدين

الكتاب الرابع : التطور الروحاني والحصول على الولاية

الكتاب الخامس: المدارج المختلفة للتقرب إلى الله

الكتاب السادس: فضائل وصفات كبار الأولياء (كالشيخ عبد القادر الجيلاني، والشيخ بهاء الدين النقشبندي، والشيخ السيد أحمد السرهندي مجدد الألف الثاني، وابنه ومرشد المؤلف الشيخ مرزا جان جانان).

ثم وزع كل كتاب من هذه الكتب على عدة أبواب جاء فيها بيان ما يتعلق بالتصوف من الموضوعات بأسلوب مفيد وممتع .

كان المؤلف عالما كبيرا في عصره ، فاحتل كتابه هذا الثقة لدى المتدينين.

4- التحفة المرسلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، للشيخ محمد بن فضل الله:

قام بتأليف هذا الكتاب الشيخ محمد بن فضل الله (1029 هـ - 1620م) الذي كان مريدا للصوفي والعالم الشيخ وجيه الدين الكجراتي. يدور هذا الكتاب حول موضوع وحدة الوجود، فيرى المؤلف أن الوجود هو الله عز وجل، وهذا الوجود وإن كان واحدا إلا أنه يتجلى في صور مختلفة، وهذا الوجود هو أصل جميع الموجودات، ومن هذه الجهة لاينكشف هذا الوجود على أحد ولا يحيطه الذهن.

ولهذا الوجود سبعة مدارج على النحو التالي:

الدرجة الأولى الوجود المطلق، ويعني الوجود الحر عن التقيد والصفات، وتسمى هذه الدرجة درجة الأحدية والحقيقة الحقة.

والدرجة الثانية درجة التقيد الأول، وهو يعنى المعرفة الإجمالية عن ذات ذلك الوجود وصفاته وجميع المخلوقات المستقبلية، وتسمى هذه الدرجة درجة الوحدة، وهي الحقيقة المحمدية .

والدرجة الثالثة درجة التقيد الثاني، ويعنى ذلك ويهدف المعرفة التفصيلية عن ذات ذلك الوجود وصفاته الكائنات. وتسمى هذه الدرجة الواحدية وهي الحقيقة الإنسانية. وهذه الدرجات الثلاثة تعتبر أبدية.

والدرجة الرابعة درجة الأرواح، وهي الأشياء المفردة والمجردة .

والدرجة الخامسة عالم المثال، وتعنى الأشياء المركبة اللطيفية التي لايمكن تقسيمها.

والدرجة السادسة عالم الأمثال، وتعنى الأشياء المركبة المادية التي تقبل التقسيم .

والدرجة السابعة هي خلاصة المدارج السابقة، وهو آخر تقسيم يعبر عن الإنسان.

والجدير بالذكر أن أسماء المدارج الثلاثة الأولى مشتقة من مصدر واحد وهو الأحد، ولا تختلف معانيها في اللغة من حيث اللفظ، إلا أن المؤلف حيث بينها استعملها في أسلوب يبدي الفروق المعنوية بينها، وكذا الحال في الدرجة الخامسة والسادسة يعنى الترادف الظاهر بين عالم المثال وعالم الأمثال في حين يريد الفرق بينها معنى.

كتب المؤلف أن هذا الوجود أي وجود الخالق ليس متصلا بالمخلوقات ولامنفصلا عنها ولامشتملا عليها، وإلا فينتج كثرة الوجود. ثم إن الكائنات وما فيها كلها عرض، والجوهر هو وجود الخالق وحده . والقول بأن الخالق جوهر يخالف نظرية الأشاعرة بأن الخالق ليس جوهرا ولا عرضا. ثم قسم المؤلف القائلين بنظرية وحدة الوجود على ثلاث طبقات: الطبقة الأولى تؤمن بأن الخالق هو حقيقة جميع المخلوقات، ولكنها لاترى الخالق في المخلوقات، والطبقة الثانية هي التي ترى الخالق في المخلوقات ولكن لاترى المخلوقات في الخالق، والطبقة الثالثة ترى الخالق في المخلوقات، والمخلوقات في الخالق، وأدرج المؤلف في هذه الطبقة الأخيرة الأنبياء والأقطاب .

وفي الأخير استدل المؤلف على ثبوت وحدة الوجود بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي نذكرها فيما يلي مما يوضح كيفية استدلال المؤلف بالقرآن والحديث على تأييد نظرية وحدة الوجود .

(ألف) الآيات القرآنية:

قوله تعالى : "لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ"

يعنى أن المشرق والمغرب كله لله .

وقوله تعالى : " فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ "

معناه : أينما تتوجهوا فهناك ذات الله موجود

وقوله تعالى : "نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ"

معناه : نحن أقرب إلى الانسان من حبله الوريد

وقوله تعالى : " وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ "

معناه : أينما كنتم يكون الخالق معكم

وقوله تعالى : " هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآَخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ "

معناه : الله هو الأول وهوالآخر وهوالظاهر وهوالباطن

(ب) الأحاديث النبوية:

1- قوله صلى الله عليه وسلم: " إن أحدكم إذا قام إلى الصلاة فإنما يناجى ربه ، فإن ربه بينه وبين قلبه "

معناه: إذا قام أحدكم للصلاة فهو في الأصل يناجى ربه، لأن ربه يكون بينه وبين قلبه.

2- وقوله صلى الله عليه وسلم: "ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به"

يعني لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أصير أحبه فإذا أحببته أصبحت سمعه الذي يسمع به، وأصبحت بصره الذي يبصربه.

بعد النظر في هذه الدلائل النقلية بدأ يظهر الشك في رأي من يرى أن نظرية وحدة الوجود دخلت في الإسلام بالعوامل الخارجية، ويفهم حاليا أنه لو سد على الإسلام أبواب التأثير الخارجي كليا لوجدت أيضا نظرية وحدة الوجود في الإسلام.

ومما يدل على أهمية هذا الكتاب أنها ألفت ثلاثة شروح له.

5- **عقائد الموحدين، للشيخ عبد الكريم بن محمد اللاهورى:**

قام بتأليف هذا الكتاب الشيخ عبد الكريم بن محمد اللاهوري الذي كان مريدا للشيخ نظام الدين البلخي، وكان عالما صوفيا مرتبطا بالسلسلة الجشتية، كما ألف عدة كتب أيضا في التصوف. يمتاز هذا الكتاب بأسلوب علم الكلام فجاء فيه

بيان مذاهب الصوفية بأسلوب المتكلمين، وكان تقسيم الكتاب على تسعة أبواب تالية:

الباب الأول في بيان الرياء .
والباب الثانى في بيان الإرتداد .
والباب الثالث في بيان المرشد .
والباب الرابع في بيان المريد .
والباب الخامس في بيان علاقة المريد بالمرشد الروحانى .
والباب السادس في بيان المحبة والإخلاص .
والباب السابع في الوجود والعدم .
والباب الثامن في بيان الذكر .
والباب التاسع في وحدة الوجود .

كان المؤلف من مؤيدي وحدة الوجود بكل شدة ، واستدل على تأييد نظريته بدليل عقلى، وهو أن الله منزه عن الحد والنهاية، ويعنى ذلك أنه لايخلو شىء عنه، وإلا فيلزم القول بأن الله محدود في الأشياء، وهي موجودة تلقائيا. كما أن المؤلف استدل على نظريته بالحديث الذي قال صلى الله عليه وسلم فيه: "كان الله في الأزل ولم يكن معه شىء وهو الآن على ما كان".

6- أنفاس الخواص ، للشيخ محب الله إله آبادي:

ألف هذا الكتاب الشيخ محب الله إله آبادي، وكان تأليفه على منهج الكتاب الشهير " فصوص الحكم " للصوفي المعروف ابن العربي. وهذا الكتاب موزع على واحد وثمانين جزء باسم الأنفاس، وسمى كل نفس باسم نبي أو ولي يشتمل هذا النفس على التأويل الباطني لتعليماته وسيرته.

بدأ الكتاب بالنفس الأحمدي، وسمى هذا على اسم الحقيقة الأحمدية ، ثم جاء بيان أنفاس الأنبياء بدءً من آدم عليه السلام ثم نوح وإبراهيم عليهما السلام إلى آخر الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم بأسماء الأنبياء المختلفة، ثم جاءت الأنفاس

المنتسبة إلى الخلفاء الراشدين الأربعة. ثم يبدأ بعد المقامات المتنوعة أنفاس الأولياء والمعروفين، وآخرنفس من هذه الأنفاس هو باسم مرشد المؤلف أبي سعيد بن نور بن علي بن عبد القدوس.

وجاء فيما يتعلق بأنفاس الأنبياء تلك الأقوال التي ذكرت في القرآن. فبدأ على سبيل المثال نفس آدم عليه السلام بقول: " وقال أبو البشر آدم صفي الله ربنا ظلمنا أنفسنا " وهكذا نفس إدريس عليه السلام بدأ بـ " قال إدريس عليه السلام سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله "، وجاء في نفس نوح عليه السلام: " قال نوح لقومه يا قوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره".

يشتمل هذا الكتاب كفصوص الحكم من البداية إلى النهاية على المباحث المقصودة والأفكار الوجدانية ، ويؤيد صراحة نظرية وحدة الوجود .

7- **التسوية بين الإفادة والقبول، لمحب الله إله آبادي:**

ألف هذا الكتاب أيضا الشيخ محب الله إله آبادي، وهو رسالة موجزة تشتمل على مبحث فلسفي حاول فيه المؤلف إثبات عدم المغايرة بين الخالق والمخلوق، ثم كتب فلسفي هندي معروف معاصر للمؤلف ملا محمود جونفوري رسالة في الرد على هذه الرسالة، ثم رد على هذه الرسالة تلميذ محب الله وهو حبيب الله.

يدل على أهمية هذا الكتاب ما جاء عدة شروح له، منها ما كتب العالم الشهير الشيخ أمان الله بنارسي الذي كان زميل المؤلف في الدرس،

كما كتب مولوي عبد الحليم اللكنوي بعض الحواشي على هذا الكتاب.

8- **المغالط العامة ، للشيخ محب الله إله آبادي:**

ألف هذا الكتاب أيضا الشيخ محب الله إله آبادي، وهو ضخم يشتمل على باب واحد ومائة وأربعة وستين فصلا، وأما مقدمة الكتاب فهو ككتاب مستقل عنوانها "إعانة الإخوان" وقسمت على خمسة عشر بابا، كتب المؤلف فيها أنه بيّن أمام الناس آراءه وعقائده في التصوف طلبوا منه أن يكشف عن أغلاط من ابتعدوا عن الحقيقة في هذه العقائد المتصوفة فقام المؤلف بتأليف هذا الكتاب.

9- عقائد الخواص، للشيخ محب الله إله آبادي:

هذا الكتاب أيضا من تأليف الشيخ محب الله إله آبادي . وكما يبدو من اسم الكتاب جاء فيه تفصيل عقائد العلماء والصوفية، وكان تقسيم الكتاب على واحد وثلاثين جزء، وسميت هذه الأجزاء باسم "الدقائق" بيّن فيها التأويلات الصوفية والتصريحات الباطنية للموضوعات الدينية من صفات الله، والفرائض الدينية، والجزاء والعقاب، والأوامر والنواهي، والأعمال الإنسانية، والمشية الإلهية والنبوة، والملائكة، والحشر، والروح والإيمان، والرحمة، وعذاب القبر، والإمامة وما إلى ذلك .

وقال المؤلف في هذا الكتاب إنه حيث اشتمل على الدقائق يمكن أن يسمى أيضا " دقائق العرفاء ".

10- هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء، لزين الدين بن على المعبري:

هذه الرسالة منظومة قام بتأليفها الشيخ زين الدين بن علي المعبري، وهو جد زين الدين بن عبد العزيز. احتلت هذه الرسالة المنظومة مكانة هامة في الأوساط العلمية فكتب شرحها عالمان أحدهما أبوبكر المكى والعالم الثانى الشيخ نوادي من جاوا.

جاء في أحد هذين الشرحين أن زين الدين كان لايستطيع أن يحسم في مطالعة العلوم الشرعية أو التعمق في التصوف، فرأى مرة في المنام رجلا قال له أن يؤثر التصوف على العلوم الأخرى فكتب في الصباح المباشر هذه الرسالة المنظومة التي تشتمل على مائة وثمانين شعرا، وكانت هذه الأشعار بأسلوب القصيدة في البحر الكامل.

بدأ المؤلف هذه الرسالة المنظومة بالحمد لله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم بين أن التقوى هو منبع المسرة الحقيقة وسبيل النجاة، والوصول إلى الهدف ووسيلة اختيار الشريعة والطريقة والحقيقة.

بين المؤلف هذه النظرية بصورة التمثيل، ويعنى ذلك أن الشريعة مثل السفينة، والطريقة مثل البحر، والحقيقة مثل الدر، فمن أراد الحصول على الدر فعليه

أن يركب السفينة ويغوص البحر. ثم ذكر المؤلف بعض الصفات المتنوعة كالتوبة والقناعة والإخلاص والتوكل وضبط النفس وغيرها، ورأى أنها لازمة للوصول إلى الحقيقة. ونذكر هنا بعض الأشعار مما يدل على أهميتها ومكانتها المتميزة:

الحمد لله الموافق للعلا حمدا يوافي بره المتكاملا
ثم الصلاة على الرسول المصطفى والآل مع صحب وأتباع الولا
تقوى إلاله مدار كل سعادة وتباع أهواء رأس شر هائلا
إن الطريق شريعة وطريقة وحقيقة فاسمع لها ما مثلا
فشريعة كسفينة وطريقة كالبحر ثم حقيقة در غلا
فشريعة أخذ بدين الخالق وقيامة بللا مهرا النهي انجلا
وطريقة أخذ بأجوط كالورع وعزيمة كرياضة متبتلا
وحقيقة لوصوله للمقصد ومشاهد نور التجلى بانجلا
من رام درا السفينة يركب ويغوص بحرا ثم درا يحصلا
فكذا الطريقة والحقيقة ياأخى من غير فعل شريعة لن تحصلا
من رام أن يسلك طريق الأولياء فليحفظن هذى الوصايا عاملا

11- الجواهر الخمسة، لمحمد خطير الدين، ترجمه صبغة الله:

أصل الكتاب كان باللغة الفارسية ، ألفه محمد بن خطير الدين المعروف بغوث الكواليارى، ثم نقله إلى اللغة العربية مريد مريده صبغة الله الذي كان من سكان بروتش بمنطقة غجرات.

(1) كتب الدكتور لوث الذي كان مرتبا لفهرس المخطوطات العربية في مكتبة المكتب الهندي (Indian Office)، أن هذا الكتاب ألفه باللغة العربية المؤلف نفسه . ولكن رأيه غير صحيح ، فالمترجم كتب أثناء بيان نسب المؤلف : أنه كان مرشدا لوجيه الدين وأنا مريده، مما يدل على أن المترجم والمؤلف

شخصيتان مختلفتان. ويرى لوث أن ذلك الكتاب نسخة مريد المؤلف ، فيرى أن النص السابق من ناسخ الكتاب . ولكن لوث يخطئ هنا فمخطوطة أخرى لهذا الكتاب في مكتبة برلن وهي من ناسخ آخر يوجد فيها نفس النص المذكور مما يدل على أنه ليس زيادة من الناسخ بل هو من المترجم ، بالإضافة إلى قول الآخرين أيضا بأن صبغة الله هو الذي ترجم هذا الكتاب باللغة العربية .

هذا الكتاب مقسم على خمسة أجزاء سميت بالجواهر، جاء فيها بيان كيفية التطور التدريجى للصوفي، فالجزء الأول يتعلق بالأعمال المتنوعة للرياضة والعبادة، والجزء الثانى يتناول المدارج العليا للرياضة، والجزء الثالث وهو أهم الأجزاء يبين طرق الرياضة أخذا من أسماء الله تعالى هي تسعة وتسعون اسما. وهذا البيان بأسلوب خاص متصوف لايفهمه إلا من له دراية بالأدب الصوفي وعلم النجوم، لأنه يبحث مع بيان قواعد الرياضة عن أمور هامة في علم النجوم.

ويمكن أن نقول إن هذا نتيجة التأثير الهندي في التصوف الإسلامي لما لايوجد أصلا أي علاقة بين علم النجوم والتصوف. وجاء فيما يتعلق بأنواع الرياضة المختلفة هذه أنها مرتبطة بدوران الكواكب، فقيل على سبيل المثال عن رياضة خاصة أنها تؤثر إذا كانت في وقت يكون كوكب فلاني في مكان خاص.

والجزء الرابع يتحدث عن طرق وأعمال التربية الروحية في السلسلة الشطارية، وكان المؤلف نفسه من هذه السلسلة . والجزء الخامس يتناول صفات وفضائل أولئك الذين يفتشون عن الحقيقة والصدق .

12- الرسالة في سلوك خلاصة السادات النقشبندية، لتاج الدين زكريا:

ألف هذا الكتاب الشيخ تاج الدين زكريا(1050هـ - 1640م) الذي كتب عدة رسائل في التصوف، كما ترجم النفحات للجامي والرشحات للواعظ الكاشفي باللغة العربية. في الباب الأول من هذا الكتاب بين المؤلف نسب السلسلة النقشبندية التي كان ينتسب نفسه إليها، ثم بين من لم يكن له مرشد روحاني يصير قائده الشيطان.

وفي الباب الثاني ذكر كيف يمكن الحصول على وصال الله وليس له إلا طريقان؛ مصاحبة الأولياء بالمداومة أو ذكر الله. ثم بين المؤلف الأعمال الخاصة للسلسلة النقشبندية ، ومن أهم تدريبات هذه السلسلة تدريبات التنفس خارجيا وداخليا، وطريقته أن يغمض عينيه ويلصق طرف اللسان باللثة ثم يذكر لاإله إلا الله في القلب بحيث يدخل النفس أثناء قوله لا إله، ويخرج النفس أثناء قوله إلا الله.

ومما يدل على أهمية هذا الكتاب أن الشيخ عبد الغني النابلسي (1143هـ – 1730م) شرح هذا الكتاب شرحا جامعا وسماه مفتاح المعية في الطريقة النقشبندية .

13– ملهمات، للشيخ جمال الدين الهنسوي :

هذا الكتاب من أهم الكتب التي تشتمل على أقوال الصوفية وملفوظاتهم، ومؤلفه جمال الدين الهنسوي الذي كان منسلكا بسلسلة سلطان الهند خواجه معين الدين الجشتي ، فأسس فرعا للسلسلة الجشتية انتسب إليه. وأقواله ممتعة وذات تأثير من حيث اللفظ والمعنى جميعا ، نذكر بعضها على سبيل النموذج فيما يلي:

طالب الدنيا جاهل	طالب العقبى عاقل	طالب المولى كامل
طالب الدنيا مردود	طالب العقبى مسعود	طالب المولى محمود
طالب الدنيا مغرور	طالب العقبى مسرور	طالب المولى منصور
طالب الدنيا مغبون	طالب العقبى ممنون	طالب المولى مأمون
طالب الدنيا هالك	طالب العقبى سالك	طالب المولى مالك
طالب الدنيا ذليل	طالب العقبى جليل	طالب المولى خليل

وفي موضع من الكتاب جمع المؤلف جميع صفات الفقير الصادق بأسلوب جذاب ونص ذلك كالآتى :

الفقير خلق شريف يتولد منه الصلاح والعفة والزهد والورع والتقوى والطاعة والعبادة والجوع والفاقة والمسكنة والقناعة والمروءة والنقوة والديانة والصيانة والأمانة

والسهر والتهجد والخضوع والخشوع والتذلل والتواضع والتحمل والكظم والعفو والإغماض والإشفاق والإنفاق والإيثار والإطعام والإكرام والإحسان والإعراض والإخلاص والانقطاع والانفصال والصدق والصبر والسكون والحلم والرضاء بالذل والجود والسخاوة والخوف والرجاء والرياضة والمجاهدة والمراقبة والموافقة والمداومة والمعاملة والتهذيب والتجريد والتفريد والوقار والمداراة والعناية والرعاية والشفقة والشفاعة واللطف والكرم والتفقد والشكر والفكر والذكر والحرمة والأدب والاعتصام والاحترام والطلب والرغبة والغيرة والعبرة والبصرة واليقظة والحكمة والهمة والمعرفة والحقيقة والخدمة والتسليم والتفويض والتوكل والتبتل واليقين والثقة والعناء والإستقامة وحسن الخلق، وكل فقير وجدت فيه هذه الصفات سمي فقيرا كاملا، وإذا فقد لم يسم فقيرا .

ومن أقوال المؤلف أيضا ما نذكره فيما يلي:

(ألف) روح الصلاة :

الصلاة كالجسد، والحضور كالروح، وكل صلاة ليس فيها الحضور ليس فيها الروح.

(ب) فضل الذكر:

الذكر ثلاثة أحرف؛ الذال والكاف والراء، فالذال عبارة عن الذكاء، والكاف عبارة عن الكياسة، والراء عبارة عن الرقة. فمن ذكر المولى صار ذكي القلب وكيّس النفس وصاحب الرقة.

(ج) الفرق بين الزاهد والعارف :

الزاهد يطهر ظاهره بالماء والعارف يطهر باطنه من الهوى

الزاهد تارك الدنيا للعقبى والعارف تارك العقبى للمولى

الزاهد يقطع السبيل والعارف بالغ المنزل وترك الرحيل

(د) صفات العارف :

حرفة العارف ستة أشياء :

إذا ذكر الله افتخر

إذا ذكر نفسه احتقر

إذا نظر في آيات الله اعتبر

إذا هم بمعصيته أو شهوة انزجر

إذا ذكر الله استبشر

إذا ذكر ذنوبه استغفر

هذا النص من أقوال المؤلف الذي ذكرناه يحمل جودة البيان مما لا يخفى على أحد. وهذا الكتاب كله مليء بأمثال هذه الأقوال المتصوفة التي تصور الأفكار النقية بأسلوب ممتع .

14- جوامع الكلم في المواعظ والحكم، للشيخ علي متقي البرهانفوري :

مؤلف هذا الكتاب الشيخ علي متقي البرهانفوري، يقول إنه جمع في هذا الكتاب حوالى ثلاثة آلاف موعظة؛ خمس مائة منها ما اقتبست من القرآن الكريم، وخمس مائة أخذت من الأحاديث النبوية بأسلوبها. ونظرا إلى إيجازها ألحقت بها جمل أخرى أمثالها في المعنى كالتمهيد لإيضاحها، بالإضافة إلى ذلك ذكرت ثلاث مائة قول لأبي العطاء الإسكندري (709هـ - 1039م) ومائة قول لتلميذه، والباقى يشتمل على أقوال المتقدمين.

جاءت هذه المواد المذكورة بالترتيب السابق موزعة على ثمانين بابا بترتيب حروف الهجاء ، كباب في الإيمان وباب في الإحسان وغير ذلك. يفيد هذا الكتاب من حيث الموضوع أولئك الذين هم من الحفاظ والمفسرين والمحدثين ويرغبون في التصوف .

موارد الكلم وسلك دررالحكم ، لأبي الفيض فيضي:

هذا الكتاب من أهم كتب التصوف، الذي ألفه الشاعر الهندي المعروف ومؤلف " سواطع الإلهام " أبو الفيض فيضي . وألف هذا الكتاب على منهج تفسيره للقرآن ، فلم يرد فيه كلمة منقطة كما يظهر ذلك من اسم الكتاب .

وقد اعتمد المؤلف في أخذ المواد على القرآن الكريم والأحاديث النبوية والمراجع الأخرى ، ثم صاغها بأسلوبه الخاص ليحترز عن الكلمات المنقطة . وفي موضعين من بداية الكتاب مدح المؤلف الخلفاء الراشدين، ثم أثنى عليهم في باب " مواريد الرحماء" من أصل الكتاب، فاستعمل كلمة رحماء بدل الأصحاب لما يوجد فيها الباء المنقطة. وكتب في البداية عن الخلفاء الراشدين هذا النص :

" أول الرحماء معه إسلاما وإكرامها كراما صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعد لهم عمر المكرم ، وأحلهم معهد كلام الله ومؤسس السور ، وأعلمهم ولد عمه أسد الله الكرار".

والذي يجعل هذا الكتاب ذا شأن هو أسلوبه أكثر من موضوعاته فيذكر هذا الكتاب من ضمن الكتب القيمة .

شروح الكتب التي ألفت خارج الهند

تجلية الفصوص، لمحب الله إله آبادي :

وافق عدد كبير من علماء الهند والباكستان على نظرية ابن العربي الصوفية وكتب عدد منهم شروحا لكتابه " فصوص الحكم " وكان من أشهر هؤلاء الشراح الهنود علي المهائمى ومحب الله إله آبادي. وآخر هما كان من أشد أنصار نظرية وحدة الوجود ومؤيدي فلسفة ابن العربي الصوفية فكتب شرحا للفصوص، وأما الشرح الذي كتبه علي المهائمى فلا ندري هل يعثر عليه أم لا . وأما الشرح الذي كتب محب الله إله آبادي باسم تجلية الفصوص فيوجد في إله آباد عند مريده .

حل معضلات الفصوص لأمير الله بن منير الله بيهاري :

بالإضافة إلى الشرحين السابقين هناك شرح آخر أيضا باسم "حل معضلات الفصوص" الذي كتبه أميرالله بن منير الله بيهاري وهو موجود في مكتبة المكتب الهندي، وهذا الشرح يتناول فقط شرح الكلمات الغامضة والمبهمة، فهو كتاب موجز.

كتب ابن العربي في كتابه أن علاقة الإنسان بخالقه كعلاقة إنسان العين بالعين، فالعين تبصر بإنسانها، فهي كالإنسان . واعترض على قول ابن العربي هذا بأن هذا يعني أن الإنسان آلة وسبب لنظر الخالق وهذا كفر . وأجاب عليه أمير الله أنه من المسلمات أن الهدف الأساسى الوحيد لخلق العالم هو الإنسان ، فهو أصل الغاية للبصيرة الإلهية، وهذا كما أن إنسان العين غاية العين ، وأكثر ما يكون التناقض في ذلك أن إنسان العين في هذا المثال هي العلة الفاعلة ، والمثال الثانى للعلة الغائبة. والإعتراض الثانى على نظرية ابن العربي أن تعريفه للإنسان ينتج أن هذه الدنيا غير فانية . فأجاب عليه أمير الله أن الإنسان حادث من حيث وجوده العرض، ولكنه غير حادث من حيث قبل وجوده كان موجودا في علم الله ، وإلى ذلك ذهب ابن العربي .

اتحاف السادات المتقين بشرح إحياء علوم الدين ، للسيد محمد مرتضى:

هذا الكتاب شرح للكتاب المعروف " إحياء علوم الدين " للإمام الغزالي، وكتب هذا الشرح السيد محمد مرتضى ، وكان من سكان بلكرام ، واكتسب العلم من الشيخ الشاه ولي الله الدهلوي ثم سافر إلى الحجاز لطلب المزيد من العلم، وأقام بزبيدة طويلا فسمي زبيديا، ثم ارتحل منها إلى القاهرة وتوفي فيها عام 1205هـ الموافق 1790م .

كان السيد محمد مرتضى عالما بارزا وفائقا في علم اللغة ، فألف عدة كتب من أهمها تاج العروس وعقود الجواهر، وهذا الشرح الذي نحن بصدده. وهذا الشرح طبع في ثلاثة عشر مجلدا ونسخ بالخط المغربي. وفي بداية هذا الكتاب نهج المؤلف غير الشراح الآخرين فنقد الإمام الغزالي ومؤلفاته نقدا مفصلا، كما درس أثناء الشرح عن جميع المسائل الواردة في إحياء العلوم دراسة تفصيلية، وكتب أسانيد الرواة الذين روى عنهم الغزالي.

فكما أن تاج العروس كتاب ضخم قيم للمؤلف هذا الكتاب أيضا شرح قيم مفيد لإحياء العلوم وهذان الكتابان أكبر دليل على التبحر العلمي والعلم الزاخر في

السيد محمد مرتضى مما يفتخر عليه الهند حقا في إضافة جيدة على الأدب العربي.

حول موضوع السماع هل هو جائز شرعا أم لا ؟ اختلف العلماء في ذلك فرأى بعضهم جوازذلك بينما ذهب بعضهم إلى عدم الجواز.. وقد كُتب في هذا الموضوع كثيرا في الهند وخارجها، ويذكر هنا ثلاثة مؤلفات تمثل ثلاث وجهات النظر:

جد الغناء في حرمة الغناء، لعصمة الله السهارنفورى:

ألف هذا الكتاب في موضوع السماع عصمة الله السهارنفوري الذي توفي بعد عام 1090هـ الموافق عام 1679م. كان عالما من علماء الدين ومتبحرا في الرياضيات ، فكتابه "خلاصة الحساب " أهم من هذا الكتاب المذكور أعلاه .

إنه يرى في ضوء الكتاب والسنة وفتاوى الفقهاء وآراء العلماء والأولياء أن السماع لايجوز، وقد أحال جميع أسانيد ذلك في الأبواب المختلفة. يرى أن هذه السماع لم يكن موجودا في القرون الثلاثة الأولى، ثم في العصور اللاحقة دخل هذه السماع شيئا فشيئا في الإسلام . وفي آخر الكتاب رد على دلائل المؤيدين للسماع .

كشف القناع عن إباحة السماع، لسلام الله :

ألف هذا الكتاب سلام الله بن شيخ الإسلام الذي من يعد من شارحي المؤطا وتفسير الجلالين . إن هذا الكتاب يعرض نظرية جواز السماع ، فالمؤلف نفسه كان مؤيدا للسماع . ينقسم الكتاب إلى خمسة أبواب :

فالباب الأول يشتمل على الأحاديث ، والباب الثانى على الآثار، والثالث على القياس والرابع على فتاوى الفقهاء ، والخامس على ردود على دلائل مخالفي السماع .

بالإضافة إلى هذين الكتابين هناك رسالة مختصرة كتبها عيسى بن عبد الرحيم الكجراتى، وذهب في حلة السماع وحرمته مذهب وسطا معتدلا، ونصح بأن الطريق المأمون في ذلك أن لايرغب الإنسان في الموسيقى عملا ولايحرمها نظريا .

إن الصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم تحمل أهمية خاصة في أواسط الصوفية جميعا ، فكل ما كتب في هذا الموضوع يعد من الأدب الصوفي، ويذكر هنا كتابان من هذا النوع وهما :

ناصر العشاق ، لمحمد ناصر علي غياث فوري :

يشتمل هذا الكتاب على بيان أقسام كثيرة للصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بعشرين عنوانا وهي تتناول بيان شمائل النبى صلى الله عليه وسلم ، وبعض نماذجها على النحو التالي :

"اللهم صل وسلم على محمد وعلى قد محمد في القداد "

في هذه الصلاة تتغير كلمتان بعد على " قد محمد " وبعد في " القداد " والفقرة الثانية من هذه الصلاة :

" اللهم صل وسلم على محمد وعلى بدن محمد في الأبدان "

في هذه الصلاة جاءت كلمة " بدن " بعد على ، وكلمة " الأبدان " بعد في . وهكذا تغيرت الكلمات في الصلوات الأخرى ونماذجها فيما يلي :

" اللهم صل وسلم على محمد وعلى ذات محمد في الذوات .

اللهم صل وسلم على محمد وعلى وصف محمد في الأوصاف .

اللهم صل وسلم على محمد وعلى نعت محمد في النعوت .

اللهم صل وسلم على محمد وعلى صدر محمد في الصدور .

اللهم صل وسلم على محمد وعلى دم محمد في الدماء .

اللهم صل وسلم على محمد وعلى ثوب محمد في الأثواب .

اللهم صل وسلم على محمد وعلى سرير محمد في السرر.

تسمى أيضا هذه الرسالة رسالة لغوية، لأنها تتضمن كلمات جامعة وجموعها في بيان صفات مختلفة لشخص واحد .

السلام المعرا، لمحمد ناصر علي :

هذه الرسالة أيضا من تأليف محمد ناصر علي غياث فوري، وتمتاز بخلوّها عن الكلمات المنقطة كما يظهر من اسم الرسالة، وفي بداية الكتاب مقدمة موجزة ، ثم جاءت الصلاة وبدايتها على النحو التالي:

" اللهم صل وسلم على محمد وإمام الهدى

اللهم صل وسلم على محمد صدره مطلع الهدى "

في هذه الصلاة تغيرت كل كلمة جاءت بعد كلمة محمد .

كما توجد في تطور الأدب العربي الصوفي بالهند مؤلفات مطبوعة ، توجد أيضا مخطوطات في المكتبات الشخصية والحكومية، ففي قسم المخطوطات بمتحف سالار جنغ بحيدرآباد الدكن توجد حوالى اثنتين وستين مخطوطة في التصوف، بالإضافة إلى متحف سالار جنغ بحيدرآباد الدكن توجد حوالى اثنتين وستين مخطوطة في التصوف، بالإضافة إلى بعض الشروح تلك المخطوطات، وهكذا توجد في المدن الأخرى أيضا للهند مخطوطات في التصوف نذكربعضها للإعلام .

الإضافات الأحمدية في شرح الحقيقة المحمدية:

هذه المخطوطة شرح لكتاب " الحقيقة المحمدية " لمحمد دائم بن سيد مرزا بن كريم الله الحسينى، قام بشرحه وجيه الدين بن أحمد بن نصر الله الكجراتى. وهذه المخطوطة تشتمل على صفحة، وكتب بخط النسخ ، ثم قام بطبعها عام2007م مولوى محمد جلال رضا خريج دارالعلوم ديوبند والجامعة النظامية، الذي كان أستاذا بالقاهرة، من مطبعة الكيلانى بالقاهرة، وهذه النسخة موجودة بمتحف سالار جنغ حيدرآباد بآندرا براديش.Oriental Manuscript مكتبات شرح العقائد الصوفية(1638):

كتب الشيخ فيروز أكبر آبادى شرحا لكتاب مجهول مؤلفه عام 1689م وهو مشتمل على57 ورقة بخط النسخ ، وهذه النسخة نسخت في حياة الشارح ، وهي محلاة بالجدول الملون والذهبى وتتناول تسعا وتسعين عقيدة في التصوف ورقمها21.

كشف الغين عن كلام أهل العين(1640):

الدر الثمين في كلمات أرباب اليقين:

هذه المخطوطة خلاصة مائة كتاب وخمسة وثلاثين كتابا، رتبها أبو محمد الحافظ محمد يوسف بن الشيخ داؤد السورتى (المتوفى عام 1758م الموافق 1171هـ)، وقد صرح في البداية بتلك الكتب التي استفاد بها. ونسخت هذه المخطوطة التي تشتمل على248 صفحة بخط النسخ حسين ابن علي العيدروس في السادس من شهر شوال عام 1642م بأركات ورقمها 38 .

الجوابات المرتبة من السؤالات الحضرمية (1642):

كان هناك تسعة عشر سؤالا لعفيف الدين بن عمر الحضرمى حول التصوف، فأجاب عليه محمد بن الصديق، كانت هذه المخطوطة عبارة عن تلك الأجوبة، وهي مشتملة على126 صفحة بخط النسخ ولعلها من القرن الحادي عشر.

شرح فصول الحكم (1248/1):

كتب هذا الشرح أحمد بن محمد قاسم بن محمد نذير (المتوفى عام 1707م الموافق 1119هـ) في عام1098هـ.

الدار العالية في المذاهب الثلاثة (1648/2):

هذه النسخة أيضا لأحمد محمد نذير التي كتبها عام 1695م الموافق 1107هـ وأدرج فيها نسخة من مقامات الحريري لأبي محمد علي الحريري (المتوفى عام 1122هـ الموافق 1516م).

الرسالة المعية في الأسرار الخفية :

هذه الرسالة لأحمد بن محمد قاسم نسخت بخطه عام1707م في كابل حين كان الأمير معظم حاكما.

مقالات جنيد البغدادي (1856):

كان الشيخ جنيد البغدادي المتوفى عام911م الموافق298هـ صوفيا كبيرا، كتابه هذا يشتمل على عشرة أبواب، ونسخت هذه المخطوطة المشتملة على

118صفحة بخط النسخ في القرن الثانى عشر الهجرى، وتوجد نسخة أخرى لها في OML .

تنبيه الغافلين (1587) :

رتب أبو الليث السمرقندي الأقوال التي ألقاها عليه أبوه والشيوخ على ستة وتسعين بابا، وهذه النسخة نسخت في أوائل القرن الثالث عشر بيد الكاتب محمد عارف بن زين العابدين، ثم طبعت في مومبائى عام 1301هـ وفي القاهرة عام1305هـ.

إحياء علوم الدين:

تشتمل هذه المخطوطة القيمة لحجة الإسلا م أبي حامد زين الدين محمد ابن الغزالي الشافعى الطوسي (المتوفى عام 1111م الموافق 505هـ) على أربعة أجزاء؛ العبادات، والعادات، والمهلكات، والمغيبات، وكل جزء ينقسم إلى عشرة كتب . هذه المخطوطة المشتملة على467 صفحة نسخت في القرن الثانى عشر.

منتخب إحياء علوم الدين (1596):

رتب شيخ الإسلام بن القاضي عبد الوهاب الصديقي الكجراتي كتابا منتخبا من إحياء علوم الدين لحجة الإسلام أبي حامد زين الدين محمد الغزالي، وهي مخطوطة تشتمل على437 صفحة ونسخت بخط النسخ عام1727م.

جواهر القرآن (1007):

جمع الإمام الغزالي في هذا الكتاب الآيات القرآنية التي تتعلق بالتصوف، ثم قسمها على ثلاثة أقسام . هذه المخطوطة تشتمل على269 صفحة ونسخت بخط النسخ عام1716م الموافق 1124هـ .

الأربعين في أوصل الدين:

هذه المخطوطة للإمام الغزالي نسخت بخط النسخ في القرن الثاني عشر الميلادي.

المنقذ عن الضلال والمصفح عن الأحوال (1610):

ذكر الإمام الغزالي في هذه المخطوطة تلك التحولات الروحانية التي حدثت في حياته .

الغنية لطالبي طريق الحق (غنية الطالبين) (1611):

ألف هذه المخطوطة الشيخ محي الدين عبد القادر بن أبي صالح موسى الجلى البغدادي (1165م – 561هـ) وهي تتحدث عن الواجبات الدينية، فتشتمل على بيان الأهمية الدينية للأشهر الأثنتى عشرة وأذكار أيام الأسبوع التي ثبتت بالقرآن والحديث وأقوال الصوفية كتبت هذه المخطوطة بخط النسخ لرحمت الله عام1700م الموافق 1111هـ، وطبعت عدة مرات .

عوارف المعارف (1614):

قام بتأليف هذه المخطوطة أبو حفص شهاب الدين ابن عمر بن محمد السهروردي (المتوفى في سنة 1234م) وتشتمل على ثلاثة وعشرين بابا، وهذه المخطوطة التي نسخت في القرن الثامن الهجري طبعت عدة مرات .

الفتوحات المكية:

هذه المخطوطة في التصوف قام بتأليفها الشيخ محي الدين محمد بن على المعروف بابن العربي (638هـ) عام 1231م الموافق 629هـ ، وتشتمل على560 بابا، ونسخت في أوائل القرن العاشر ، ثم طبعت عام1293هـ .

فصوص الحكم :

هذا مؤلف لإبن العربي، وترجم في عدة لغات وشرح عدة شروح ويعرف أيضا بشرح فصوص الحكم لكمال الدين عبد الرزاق الكاشى (المتوفى عام 1339م الموافق 736هـ).

مطلع خصوص الكلم في معاني فصوص الحكم :

هذه المخطوطة شرح فصوص الحكم ألفها داؤد بن محمد القيصري الحنفي (المتوفى عام 751هـ) ونسخت هذه النسخة بخط النسخ عام 1078هـ وطبعت عدة مرات.

مقدمة شرح الفصوص :

تنسب هذه المخطوطة الإيرانية إلى غياث الدين محمد أحد وزراء إيران .

شرح فصوص الحكم (النصوص في شرح الفصوص):

هذا شرح مشهور في التصوف، قام بتأليفه نور الدين عبد الرحمن ابن أحمد الجامى عام1492م الموافق 829هـ .

هذا، وهناك من صوفية بيجافور ثلاث أسر خلفوا آثارهم في الحياة العامة ، أحدهم سلسلة الشيخ عين الدين كنج العلوم، والثانى سلسلة خلفاء خواجه كيسودراز، والثالث سلسلة ميران جى شمس العشاق. هكذا أصبحت بيجافور مرجعا للمتجهين من كجرات ودهلى وبيدر وكلبركه وشمال الهند، ومركزا للأدب . وكان نفوذ التصوف في الحياة العامة إلى حد لجأ في ذلك العصر أولئك الشعراء أيضا الذين لم يبلغوا درجة في التصوف إلى التأثر بالتصوف. هذا موجز عن تطور الأدب العربي الصوفي في الهند.

المراجع والمصادر:

لوائح الأنوار في الرد على من أنكر على العارفين من لطائف الأسرار. سراج الدين عمر بن اسحق.

القول الجميل بيان سواء السبيل . شاه ولي الله.

إرشاد الطالبين وتائيدالمريدين . قاضي ثناء الله بانى بتى.

التحفة المرسلة إلى النبي . محمد بن فضل الله.

عقائد الموحدين . عبد الكريم بن محمد لاهوري.

أنفاس الخواص . محب الله إله آبادي.

التسوية بين الإفادة والقبول . محب الله إله آبادي.

المخالط العامة . محب الله إله آبادي.

عقائد الخواص . محب الله إله آبادي.

هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء . زين الدين بن علي المبحري.
الجواهر الخمسة . محمد بن خطير الدين . مترجم، صبغة الله.
الرسالة في سلوك خلاصة السادات النقشبندية . تاج الدين زكريا.
ملهمات . جمال الدين هنسوي.
جوامع الكلم في المواعظ والحكم . علي متقى برهانفوري.
تجلية الفصوص . محب الله إله آبادي.
حل معضلات الفصوص . امير الله بن منيرالله بيهارى.
إتحاف السادات المتقين بشرح إحياء العلوم الدين . سيد محمد مرتضى.
جو الغناء في حرمة الغناء . عصمت الله سهارنفورى.
كشف القناع عن إباحة السماع . سلام الله.
إسلام المعرا. محمد ناصر علي.
الإفاضات الأحمدية في شرح الحقيقة المحمدية . وجيه الدين بن أحمد بن نصر الله كجراتى
شرح العقائد الصوفية . شيخ فيروز أكبر آبادي.
كشف الغين عن كلام أهل العين . أبو محمد الحافظ محمد يوسف بن شيخ داؤد سورتي.
الجوابات المرتبة من السؤالات الحضرمية . عفيف الدين بن عمر الحضرمي.
شرح فصول الحكم . أحمد بن محمد قاسم بن محمد نذير.
الدار العالية في المذاهب الثلاثة . أحمد محمد نذير.
الرسالة المعية في الأسرار الخفية . أحمد بن محمد قاسم.
مقالات جنيد بغدادى . حضرت جنيد بغدادي.
تنبيه الغافلين . محمد عارف بن زين العابدين.
إحياء علوم الدين . محمد بن الغزالي الشافعى الطوسي.
المنتخب إحياء علوم الدين . قاضى عبد الوهاب صديقى كجراتي.
جواهر القرآن . إمام غزالي.
الأربعين في أوصول الدين . إمام غزالي.
المنقذ عن الضلال والمفصح عن الأحوال . إمام غزالي.
الغنية لطالبى طريق الحق . حضرت محي الدين عبد القادر.

عوارف المعارف . شهاب الدين ابن عمر بن محمد سهروردي.
الفتوحات المكية . محى الدين محمد بن علي المعروف.
فصوص الحكم . ابن العربي.
مطلع خصوص الكلم في معاني فصوص الحكم . داؤد بن محمد القيصرى الحنفي.
شرح فصوص الحكم . نور الدين عبد الرحمن بن أحمد جامي.

يوغا شادانغا من فلسفة شيفا الكاشميرية

د. راجنيش ميشرا*

ترجمة: أ. د. مجيب الرحمن**

{ اليوغا في بعدها التجريبي تظهر وحدة وتفرد أنظمة الفكر الهندية. فإلى جانب كونها مدرسة للفلسفة الهندية (بناء على يوغا سوترا لمؤلفها باتانجالي) فإن مختلف أشكالها من التصورات والممارسات مدونة في المذاهب المختلفة كالشيفية والبوذية والجينية والفايشنافية وفي فروع أخرى كثيرة من الأنظمة الفكرية. ترث كاشمير أيضا، تماما مثل مراكز أخرى للعلم في الهند، تقليدا رائعا للمعرفة والروحانية في عدد من المجالات الفكرية. جرت ممارسة يوغا شادانغا، كفرع من فروع اليوغا (وتعني حرفيا نظام اليوغا ذات العناصر الستة) من العصور القديمة حتى عصر الداعية للشايفية سوامي لاكشمانا جو. لا تركز يوغا شادانغا على الـ ياما، و الـ نياما و آسانا كما هو مذكور في يوغا باتانجالي، بل تركز على العنصر الآخر الذي يسمى ساتاركا الذي يعتبر أحد أكثر عناصر اليوغا أهميةً. يسعى البحث إلى إبراز أهم خصائص ومميزات يوغا شادانغا في الفكر الشايفي الكاشميري}.

---

* أستاذ مشارك، المركز الخاص بالدراسات السنسكريتية، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي. *mishrarajnish@gmail.com*

** رئيس مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي.

تتمتع الـ يوغا بمنظور حول الحياة والحقيقة الذي تكمن ماهيته في جذور الأفعال والاشتقاقات النحوية. ففي النحو السنسكريتي يُعدد جذر فعل *يوج* (*yuj*) أربع مرات في معجم جذور الأفعال. ففي *rudhadi gana* (صنف من جذر الفعل *rudh* وغيرها) هي فعل متعد يقتضي مفعولين ويعني "مندمج"، "متكامل"، "مرتبط" وغيره. وفي *abvadi* و *curadi gana-s* يعتبر فعلا متعديا ويعني "ربط") (اللفظة الهندية–الآرية ذات الجذر الواحد yoga) و "الترتيب"، وأخيرا في *divadi gana* نفس جذر الفعل يعتبر فعلا لازما (*atmanepada*) و يدل على " التركيز" و"التدبر" و"التأمل". سوف نوجز هذا البحث بذكر المعاني المتضمنة في مصطلح yoga.

تتمتع الثقافات والحضارات العالمية بخصائصها النوعية التي تميز تراثها ومسيرة رحلتها التاريخية. فضلت اليونان القديمة " العقل/ الذكاء" واختارت الصين "القواعد الخلقية". أما الهند فشغلت نفسها بالبحث المستمر والدائم عن " الذات" (*adhyatma – adhi+atma*).[1] ما موثوقية المعرفة التي يمتلكها المرء الذي يعلم كل شيء (أو على الأقل يدعي "بأنه يعلم كل شيء") ولكنه لا يعرف ذلك "الكائن" (العارف) الذي هو قوام تلك المعرفة؟.[2] وعليه فإن البحث هو عن المرء الذي يعلم و معرفة ذلك الشيء الذي يُعلم. [3]ولكن ما هي الوسائل أو الطرائق التي هي مصدر موثوق بها لتلك المعرفة؟ يتصدى النص الفلسفي القديم المسمى *Yogavasistha* (المنسوب إلى الحكيم فالميكي) لهذه المسألة ويخلص إلى أن المعرفة والعمل (*karma*) كلاهما وسيلتان مهمتان على السواء تماما كجناحَي طائر.[4] المعرفة هي المطهِّرة الأسمى لأنها تقوم بتحريرنا من ذواتنا الضيقة وتؤكد على إدراك وتحقيق ذواتنا الحقيقية والكونية والمحرَرة.[5] ولما يتم جمع هذه المعرفة مع العمل فإنها تتحول إلى استسلام مطلق يسمى "بهاكتي" (*bhakti*). ومن هذا المنطلق، عندما يدعي الإغريق بأنهم أوجدوا فرعا منطقيا من المعرفة كـ"الفلسفة" فإنهم يقصدون من هذا شيئا يوازي *anvikski* (فرع فكري من المعرفة الذي ينبني على المنطق أو

الاستدلال المنطقي). يرمز *darsana* إلى كل من وسيلة و مركز "النظر إلى أو تجريب" ذات الإنسان الحقيقية. وهو عبارة عن الـ يوغا (*yoga*) أو دمج الذات الفردية مع الذات الكونية وكلاهما واحد من الناحية الوجودية. ويتم تحقيق ذلك مع المعنى الاشتقاقي الآخر لمصطلح الـ يوغا (*yoga*) أي التركيز والتأمل العميقان (*Samadhi*). وقد عرف الفيلسوف والحكيم العظيم باتانجالي مصطلح الـ يوغا في الجزء الأول المعنون *samdhipada* من كتابه الأساسي حول اليوغا كـ *yogascittavritti nirodhah*[6] أي أن اليوغا هي عبارة عن الوقف التام والمطلق للأوضاع الفكرية. لأن هذه الأوضاع الفكرية هي نتيجة لتلوث الذهن ولا يمكن في وجودها تحقيق وضع *Samadhi* أو التركيز العميق الذي هو وضع أساسي يجب أن يتوافر في داخل الإنسان الحقيقي والذي هو مشابه للذات الأسمى. وعليه فإن جذر فعل "يوج" *yuj* هنا يعني "سمادهي" *Samadhi* أو التأمل العميق.

كما ذُكر أعلاه، تتمتع اليوغا بمنظور إزاء أنظمة الفكر الهندية وهذا المنظور هو الذي يميز "دارسانا" *darsana* من الفلسفة. اليوغا أو طريقة التأمل هي جانب مميز من الأنظمة الفلسفية الهندية. وهذه هي طريقة أساسية ولازمة من أجل تجربة *"بارافيديا"* *paravidya*[7] أي المعرفة الأسمى. وهناك أنظمة متعددة لليوغا التي تدخل تحت مظلة الأنظمة الفلسفية الهندية كالبوذية والجينية والشايفية والساكتية واليوغا الفيدانتية (ضمن الأنظمة الفلسفية). ولكن توجد أنظمة كثيرة أخرى خارج نطاق هذه الأنظمة المذكورة أيضا والتي مورست منذ زمن طويل ضمن التقاليد الموقرة والسرية للمعلم الروحي و/أو تلاميذه الأكفاء.

يتميز نظام اليوغا الذي أوجده الحكيم باتانجالي بجانبين مهمين. أولا، هو عبارة عن يوغا الـ"نيفرتي" (*nivrtti*) أو "نيرودها" (*nirodha*) ويعني أن الممارس يحتاج لأن يتوصل إلى وضع تفنى فيه كل الأوضاع الفكرية أو الذهنية. وكنتيجة لذلك، يكتسب الذهن التركيز الكلي على نقطة واحدة وأيضا السرعة الكبيرة (*gati*) نحو هدفه الأسمى. ثانيا، هو نظام لليوغا الذي توجد فيه عناصر ثمانية (*asta-*

anga) التي فُصلت على النحو التالي: الـ *ياما yama* (التقيد الخلقي) والـ *نياما niyama* (ضبط النفس)، والـ *آسانا asana* (وضعيات الجسم الممتعة والمستقرة) والـ *برانايامـا pranayama* (التحكم في النَفَس) والـ *براتياهارا pratyahara* (انسحاب الحواس عن الأشياء الداخلية والخارجية) والـ *دهارانا dharana* (تركيز الذات المتلقية/ *citta* على أي شيء خارجي أو داخلي)، والـ *دهيانا dhyana* (تركيز الذهن على أي شيئ) و الـ *سامادهي Samadhi* (التأمل العميق وغير المتقطع إلى درجة فناء ذات الفرد). وفي نظام باتانجالي تُعرف العناصر الخمسة الأولى بالوسائل الخارجية والبقية تعرف بالوسائل الداخلية. وكل العناصر الداخلية والخارجية مترابط بعضها بالبعض ومرتبة ترتيبا تسلسليا من أجل تحقيق الهدف الأعلى أي التوحد مع الذات الأسمى. هذه العناصر الثمانية هي مزيج من الوحدة الخلقية والمادية والروحية. وهذه طريقة لتحقيق الذات الكاملة للفرد؛ ولا الذات المشظاة التي نُعرَف بها في هذا العالم على نحو خاطئ. ولاشك في أن اليوغا لها قيمة عالمية.

ظلت كاشمير منذ ألوف السنوات مركزا مهما للفلسفة والروحانية الهندية. فكان هناك مركزان كبيران لمدرسة *ابهيدهارما abhidharma* من البوذية – أي كاشمير وقندهارا (Kashmir and Gandhara) (تقع قندهار في أفغانستان المعاصرة). وعلى النحو المماثل، أصبحت كاشمير ملتقىً للتيارات الفكرية البارزة والممارسات الصوفية في الألفيتين الأولى والثانية كالسايفية والساكتية والميمامسافية، والناياوية والبوذية ومختلف فروع الدراسات الفيدية والتصوف. كانت سري ناغار التي قام بإنشائها الإمبراطور أسوكا العظيم من السلالة المورية (272–232 ق.م.) نابضة بالنشاط العلمي والرخاء المادي. وقد أتى المعلم اشاريا ابهينافا غوبتا (940–1015م) الفيلسوف والمتصوف والشاعر والموسيقار الأكثر شهرة بوصف مفصل ودقيق لكاشمير التي عاصرها وعاشها وذلك في حوالي أربعين مصرعا من عمله الموسوعي المسمى "تانترالوكا" *Tantraloka*.[8] وقد وصف هذا الكاتب بطريقته

الشعرية الخاصة: في كل بقعة من كاشمير هناك مناسك الحكماء وعلى كل خطوة هناك مقر الإله شيفا. ولا يوجد مكان في العالم الذي يوفر الإنجاز الأسمى – الروحي والمادي ويوفر الطمأنينة الكاملة. هذا هو المكان الذي تسكنه *سارادا* (إلهة العلم) التي يمكن مقارنتها بأشعة القمر...[9]إن هذه الأرض المقدسة تعرف تقليديا بـ "*سارادا ديسا*" (كاشمير) وأن مركز العلم الأكبر والوحيد *sarvajna pitha* يقع في هذه الأرض المقدسة التي أهديت إلى الفيلسوف الفيدانتي العظيم *آدي سانكارآشاريا* حينما قام برحلته المباركة إلى الوادي.

ذكر المؤرخ العظيم "كالهانا" (القرن الثاني عشر) أن السنسكريتية هي لغة المحادثة في كل عائلة في كاشمير.[10] كاشمير أيضا مركز لأربعة عشر فرعا من فروع العلم.[11] وفي تلك الأيام، كان الطلبة يرتلون عبارة *kasmiran gacchami* أي أنا ذاهب إلى كاشمير لتحصيل العلم أثناء أداء مراسم *upanayana samsakara* أي البدء بدراسة نصوص الكتب المقدسة *sastra* تحت إشراف الأساتذة الأكفاء. ونجد المؤرخ *كالهانا* يتغنى بمجد كاشمير في كتابه "راجاترانغيني" *Rajatarangini*.[12]

يمثل *اغاما agama* و *نيغاما nigama* (أي تاتريكا والفيدي) مصدرين مهمين للثقافة والحضارة الهندية. حسب التقاليد يمثل الإله *سيفا* والإلهة *بهاجواتي بارفاتي* مصدرا لـ *agama stra*. على أمر من الإله *سيفا* علّم الحكيم $Durv^1s^1$ ثلاثة فروع من الـ *agamas* التي هي ثنائية، وثنائية – غير ثنائية، وغير ثنائية لثلاثة أبنائه/ تلاميذه *أمارداكا*، و*سريناثا*، و *ترايامباكا* على التوالي. وفي وقت لاحق، وردت إشارة إلى مدرسة رابعة تسمى *أردها – ترايامباكا Ardha Tryambaka* التي انحدرت من طرف بنت ترايامباكا. يبين *سيدها سومانادا* (القرن التاسع الميلادي) في الفصل الأخير من كتابه الأساسي حول الفلسفة السايفية في كاشمير (التي تعرف أيضا بـ *Pratyabhijn Darsana* الذي هو عبارة عن فلسفة إدراك الذات) المعنون بـ *سيفادريستي Sivadristi* سلسلة نسب مدرسة ترايامباكا التي يدعي بأنه

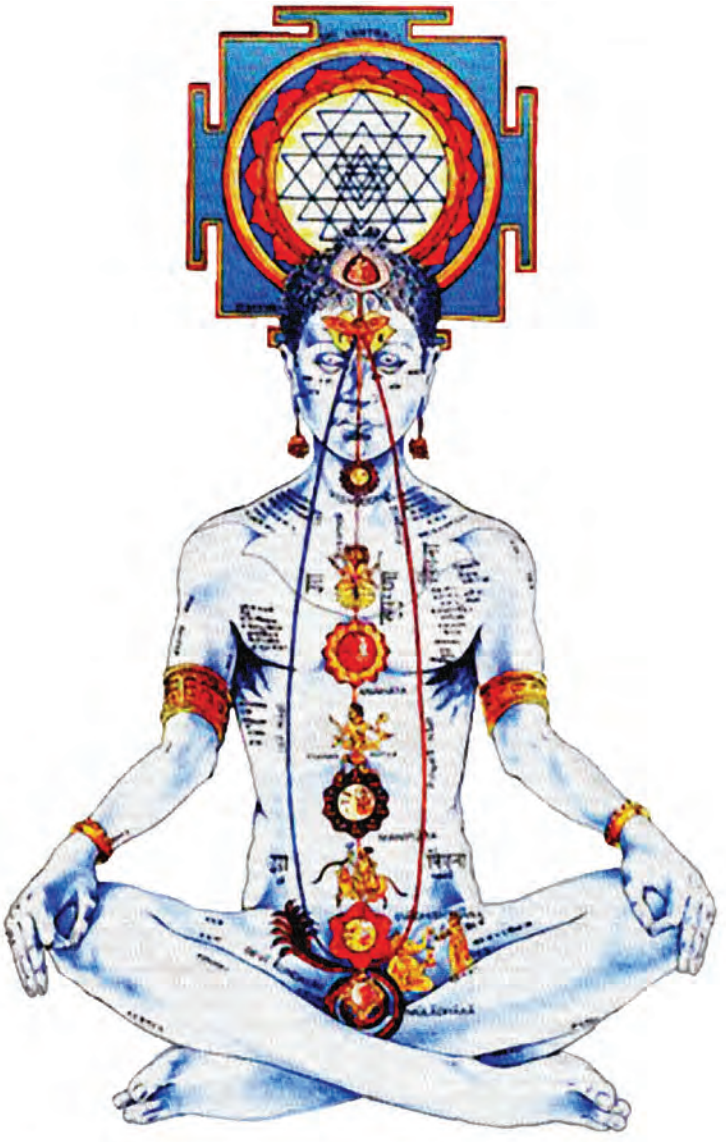

الكوسمولوجيا اليوغية: كونداليني وشاكرا

السليل التاسع عشر لها. ولكنه لا يذكر أسماء الأحفاد الآخرين السابقين البالغ عددهم أربعة عشر، بل ذكر أسماء الأحفاد من الخامس عشر إلى الثامن عشر وهم سانغام ديتيا وفارساديتيا وأروناديتيا وآناندا.

ألف ابن وتلميذ سيدها سوماناندا "أوتبالاديفا" (875–925م) كتابه الشهير المسمى *Pratyabhijna Karika* أو *Sutra* . وقد وصفه علماء الفارسية في كاشمير بـ " خضر كامل" (حكمة العصر). ألف أوتبالاديفا أيضا شرحا له بعنوان *Vivrti* وعلق عليه مؤلف آخر أبهينافا غوبتا بعنوان *Is varapratyabhini-Vivrti-Vimarsini* or *Brhati Vimharsini*. وقد نظم أيضا قصائد تعبدية واشتهرت من بينها قصيدة *Sivastotravli* وأصبحت معلمة بارزة في الأدب التعبدي الهندي. قام تلميذا أوتبالا سري راما و آديتياراجا بجمع قصائده ومنظوماته. ثم جاء لاحقا العالم الكبير فيسفافاستا *Visvavasta* وقسّم هذه القصائد إلى 20 *stotras* ووضع عنوانا مناسبا لكل منها. يعتقد أن أوتبالا نفسه وضع هذه العناوين *sangrahastotra, Jayastotra, Bhaktistotra* – لـ الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من الـ *stotras*. وتعرف هذه المنظومة التعبدية باسم *Sivastotravali* (سبحة الأناشيد إلى الإله *سيفا*) التي كتب كسيماراج تعليقا عليها – وهو تلميذ أبهينافا غوبتا – باللغة السنسكريتية). وقد وصف علماء الفارسية في كاشمير هذا الكتاب المسمى *Sivastotravali* (أو *Utpala-Stotravali*) بـ جنون كامل (نشوة الحكيم في حب الله).

شرع جورو لاكشمانانثا– تلميذ وابن أوتبالاديفا– أبهينافا غوبتا في التلمذ على المدرسة غير الثنائية من الفلسفة والتأمل. كان جورو سامبهونثا من مركز جالندهارا (*Jalandhara pitha*) الذي كان ينتسب إلى "أردها ترايمباكا، معلما لـ أبهينافا غوبتا.

ينسب تقليد السايفية الكاشميرية كتابين مهمين "سيفا سوترا" *Siva Sutra* و"سباندا كاريكا" *Spanda Karika* إلى سيدها فاسوغوبتا. ورد في

Rajatarangini لمؤلفه كالهانا[13] أن بهاتا كاللاتا تلميذ فاسو غوبتا كان معاصرا للملك *أفانتي فارمانا* من كاشمير (855–883). وفي جهة أخرى، أشار كسيماندرا [14]– الشاعر والفلسفي الكبير والتلميذ المباشر لـ أبهينافا غوبتا، إلى تقليد يفيد بأن فاسو غوبتا قام بحفظ نصوص *Siva-Sutra* التي وجدها منقوشة على صخور جبل ماهاديفا في كاشمير.[15] كما ويُنسب *سباندا – كاريكا Spanda –Karika* [16] (أو *Sutra*) إلى بهاتا كالاتا، وهو *Siddha* معاصر لـ فاسو غوبتا. ولكن ينسب كل من كسيماراج في تعليقه المسمى *Spanda Nimaya* وماهيشوراي ناندا في عمله الشهير *Mahartha – Manjari* ينسبان هذا العمل إلى فاسو غوبتا. كما تنسب أعمال أخرى كثيرة إلى فاسو غوبتا مثل *Spandamitra* [17] و *Vasavi Tika* والأخير عبارة عن تعليق على *بهاجوادا غيتا Bhagvadagita*. أما تفاصيل حياة باهتا كاللاتا (855م) فهي غير معروفة باستثناء عصره ومؤلفاته. إنه قام بتأليف شرح باسم *Spanda – Sarvasva* على *Spanda K^{1}rik^{1}*. وهناك كتاب آخر بعنوان *Tattv^{1}ftha-Cint^{1m}ani* وهو تعليق على الربع الأخير من كتاب *Siva-Sutra*. وقد قام بتأليف كتابين آخرين تحت مسمى *Spanda –Sutra* (المرجع: *Varttika* شرح على *Siva-Sutra* لمؤلفه بهاساكارا آشاريا) و *Madhuvahini*.[18] أسهم راما كانثا (القرن العاشر الميلادي) بتعليق قيم معنون بـ *Spanda-Vivarana-Saramitra* على *Spanda-Karika*. ويرد أيضا ذكر كتابيه الآخرين في سلسلة السايفية الكاشميرية (سلسلة السنسكريتية في كاشمير 1914) بعلامة استفهام.

كان كل من بهوتيراجا وابنه المشار إليهما بـ بهوتيراجاتانايا *Bhutirajatanay* معلما لـ أبهينافا غوبتا في مجالات *كالسايغامائية الثنائية وبراهما ويدي* وفلسفة *كراما*.

يحفل كتاب تانترالوكا *Tantraloka* لصاحبه ابهينافا غوبتا بالإشارات إلى المدرستين الثنائية وغير الثنائية من الفسلفة السايفية/التانترية، وقد دحضهما[19]

المؤلف أكثر من مرة. يمثل سيداهنتا *Siddhanta* ولاكوليسا *Lakulisa* فرعين بارزين لهذه المذاهب الأغامية التي لاتزال تزدهر في جنوب الهند.

يمثل ماهاماهيسوارا أبهينافاغوبتاباداشاريا *Mahamahesvara Abhinavaguptapadacharya* (واشتهر بمسمى *Yoginibhu* أي مولود من قوة اليوغا) على حد وصف شارحه جاياراثا[20]) معلمةً بارزةً في التاريخ الفكري للهند. فكما نرى في الفصول اللاحقة، إنه تلقى تعليمه تحت إشراف أحد أفضل معلمي عصره في أغلب فروع العلم كالنحو والشاعرية والفلسفة وفن الـ *تانترا* والتصوف وأتى فيها بإضافات قيمة جدا بفضل مواهبه العملاقة. ولهذا السبب تلقت تصريحاته وملفوظاته احتراما كبيرا في التقليد الفكري الهندي. وإن ملاحظاته المتبصرة والعميقة في هذه الفروع والمجالات مازال يُنظر إليها نظرة الاحترام والإجلال ومازالت مقبولة دونما تردد أو مُساءلة. وقد سبقه تاريخ طويل من التقاليد الأغايمية الثرية والفكر الفلسفي. ولاتوجد هناك أدلة تاريخية على نشأة هذه الأغامات *agamas*. وتظهر هذه الأغامات في صورة الحوار الحميم بين الإله *سيفا* والإلهة *بارفاتي* وهي غنية بالمحتوى الفلسفي والتصوفي المتسم بالصبغة التانترية[21]. وعلى أساس الأدلة التاريخية المتوفرة، يتبين لنا أن كاشمير مهد لبعض هذه التقاليد التانترية. وقد تم تصنيف هذه الأغامات على أساس طبيعتها ونوع الفلسفة التي تتضمنها. وتماما مثل أنظمة الفكر التي نشأت من المصادر الفيدية فقد تم توزيعها إلى الثنائية وغير الثنائية والثنائية – غير الثنائية. نبعت التقاليد الأربعة للسايفية الكاشميرية من هذه المصادر وهي كالآتي: دفيتا *dvaita* (الثنائية) دفيتا آدفيتا *Dvaitaadvaita* (الثنائية – غير الثنائية) و أدفيتا *advaita* (غير الثنائية) و مدرسة *اردها ترايامباكا* (من طرف بنت سري ترايامباكا) والتي تم الاعتراف بها في كاشمير. وقد ربط العلماء أيضا بين المدرستين الثنائية وغير الثنائية للسايفية في جنوب الهند وهي: فيرا *vira* وناكوليسا باسوباتا *Nakulisa pasupata* وراسيوارا *Raseswara* وسيدهانتا سايفا *Siddhanta Saiva* بتقاليد الفلسفة السايفية في كاشمير[22]. الفروع

المتواجدة في جنوب الهند تنحصر في الغالب على المدرستين الثنائية وغير الثنائية. تنتمي الأنظمة الفلسفية من تقاليد المدرستين الثنائية وغير الثنائية إلى الفرع *saguna atmavadi astika* من الفلسفة الهندية. ويبدو أن الأنظمة غير الثنائية مثل *pratyabhijna* ازدهرت في كاشمير وانتقل الفرعان الآخران إلى جنوب الهند. ولكن الأدلة غير كافية لتؤكد على سبب هجرة هذه الأنظمة إلى جنوب الهند وبقائها فيه. ومن الغريب أننا لانجد أثرا لهذه الأنظمة في وسط الهند باستثناء مدينة فاراناسي حيث كانت مركزا لعدد كبير من التقاليد الفكرية والصوفية الهندية. تتوفر لدينا أيضا أدلة تاريخية وميثولوجية تؤكد على وجود ارتباط بينهما. وكمركز مهم للعلم والطقوس لاتزال ثقافة فاراناسي/ كاشي تحمل بعض أثر أنظمة *براتيابهجنا* الموجودة في كاشمير.[23]

وعلى أساس المصادر النصية المتوفرة هنا تتبين لنا الأبعاد التالية لعلم ابهينافا غوبتا. ففي تانتراسارا *tantrasara* يؤكد ابهينافا غوبتا على ضرورة تحصيل فروع العلم المختلفة من العلماء البارزين في حقولهم المنتمين إلى مدرسة معينة والذين يكونون قد توارثوا علما غزيرا وجما في ذلك الحقل. على أساس الأدلة التي قدمها أبهينافا غوبتا في مؤلفاته الفلسفية والأدبية والتانترية تظهر أمامنا الأسماء التالية لأساتذته في مختلف فروع العلم.

مصادر أبهينافا غوبتا:

أساتذته	النصوص وفروع العلم
ناراسيمها غوبتا	النحو
فاماناثا	علم التانترا الثنائي وغير الثنائي
بهوتيراجاتانايا	الفلسفات السايفية الثنائية
لاكشماناغوبتا	براتيابهيجنا، كراما، تريكا
بهاتّا إيندوراجا	دهفاني سيدهانتا، غيتا،

(راجع Abhinavabharti باللغة الهندية، ص 35، Bhagvad-Gitarthasamgraha 1.6)

بهوتيراجا	براهمافيديا، كراما دراسانا، سايفاغاما الثنائية
تاوتا بهاتا	ناتياساترا
سامبهوناثا	كالواغاما
أبهيناندا (القرن العاشرالميلادي)	الأدب (مؤلف kadambari kathasara)

وإلى جانب هذا، ذكر أبهينافا غوبتا أسماء ثلاثة عشر آخرين من آساتذته في قصيدة وردت في كتاب مامّاتا بعنوان *كافيابراكاسا Kavyaprakasa* الذي قام بتحريره آشاريا فيسفيسوارا. [24] وحيث أن أبهينافا غوبتا معلم يمثل كافة فروع السايفية في كاشمير وبالتالي يمثل المزيج بين هذه التقاليد يتعذر على الباحثيين تحديد وتصنيف أعماله ومن ثم اعتبارُه فلسفيا في فرع معين. تحتوي أعماله على عدد من فروع العلم التي تحمل طابعه الخاص في الدقة العلمية والتانترا والفلسفة والشاعرية والمؤلفات الأدبية والموسيقى وغيرها. ولكن التقاليد تؤكد أنه فلسفي ينتمي إلى فرع *كولا* من السايفية الكاشميرية. وهناك دليل على صحة هذه الدعوى وهو ميله إلى هذا النظام كما ظهر في كتابه تانترالوكا *Tantraloka*. ظهرت أعمال أبهينافا غوبتا الأدبية في الفترة ما بين 980–1015م. وسبقت أعمالُه الفلسفية أعمالَه الأدبية. وقام بتأليف لوكانا *Locana* قبل أبهينافا بهاراتي *Abhinavabharati* وهذا يظهر من إشارة الأخير إلى لوكانا.[25]

لا يتميز أبهينافا غوبتا بأعماله المتنوعة في مختلف فروع العلم فحسب بل يتميز أيضا، مثل آريا سانكارا، بتربية وتخريج مجموعة متميزة من التلاميذ الذين حققوا شهرة كبيرة فيما بعد. ومن بين تلاميذه المباشرين أو غير المباشرين الشهيرين:كسيماراجا، ومادهوراجا يوجين، يوغا راجا، سوبهات داتا، جاياراثا،

وسوبهاكاراغوبتا، وبهاسكاراكانثا، وكيسيميندرا، وماهيشواراناندا (معروف أيضا بـ غوراكسا) و فارادراجا (معروف أيضا بـ كرشناداسا).

كتب سوبهاكاراغوبتا شرحا لـ " بهايرافا – ستوترا" Bhairava-stotra لصاحبه أبهينافا من وجهة نظر الفلسفة الفايسنافية. وكان عند البروفيسور كيه سي باندي نسخة من هذا الشرح.[26]

ألف بهاسكاراكانثا (القرن الثامن عشر) شرحه المشهور المسمى باهسكاري *Bhaskari* على كتاب إيسوارا– براتيابهيني– فيمارسيني *Iswara-Pratyabhini-Vimarsini* لمؤلفه ابهينافا غوبتا. وقام بترجمة/ الكتابة بالحروف Lalla-V[1]k (قصائد تعبدية للشاعرة القديسة لالا ديفي في القرن الرابع عشر) إلى اللغة السنسكريتية. كما ألف بهاسكاراكانثا شرحا لـ Yogavasistha (المنسوب إلى الحكيم فالميكي) الذي هو عبارة عن التفسير السايفي لهذا النص. لسوء الحظ، لا يتوفر هذا الشرح الآن. وقد نظم قصيدة *Harsesvara-stotra* التعبدية بمناسبة زيارته إلى معبد *هارسيسوارا* في كاشمير.

كان كيسيماندرا تلميذا مباشرا لـ أبهينافا غوبتا ومؤسسا لمدرسة *أوشيتيا* (الانضباط أو الاستقامة) في فن الشاعرية الهندي من خلال عمله Aucitya-Vic[1]ara-Carc[1]. وتشمل أعماله الأخري: Mahabharata-Manjari, Ramayana-Katha-Sara, Caru-Carya, Niti-Kalpa, Taru, Das[1]vat[1]ra-Carita, Samaya-Matrika, Brhatkatha-Manjari and Suvritta-Tilaka.

كان ماهيشواراناندا[27] (القرن الثاني عشر الميلادي، المؤلف الشهير لـ ماهارثا– مانجاري *Mahartha-Manjari* وشارح كتاب باريمال) تابعا متحمسا لـ أبهينافا غوبتا. وعلى رغم أنه لا ينتمي إلى كاشمير (بل ينتمي إلى كولا) ولكنه تلقى *براتيابهيجنا Pratyabhijna* و الفروع الأخرى من السايفية الكاشميرية من

سلالة مربيه. وهو ماهر أيضا في أنظمة كاولا وكراما. وهو يقتبس كثيرا من مؤلفات أبهينافا غوبتا ويعترف بفضله وامتنانه له في دراسته للشاعرية والفلسفة.

ومن بين علماء السنسكريتية الأخرين الذين برعوا في شتى فروع العلم: ألّاتا (الشاعرية)، و أدياناثا، وآنندا وردهانا (الشاعرية– مؤسس مدرسة دهفاني للأدب) وآنندا كافي، وأودبهاتا (الشاعرية) وأوفّاتا (الشاعرية)، وكالّاتا (الفلسفة) وكونتاكا (الشاعرية – مؤسس مدرسة فاكروكتي)، و كيسافا، وغونادهيا (الأدب)، وغوركشاناثا، وجايادراثا، وجاياراثا (الفلسفة والشاعرية) وجايانتبهاتا (نايِّكا) وجاهالانا، ودامودارا، ودرهدهبالا، وناغارجونا، و نارايكانثا، ونيلاموني، وبونياراجا، وبونيانانداً، وبراتيهاريندروجا (الشاعرية)، وبَالّالا، وبهاتّاتاوتا (الشاعرية)، وبهاتّانایاكا (الشاعرية)، وبهارتمينثا، وبهالّاثا، وبهاماها (مؤسس الشاعرية السنسكريتية – ولاسيما المدرسة عالمكارا)، وبهيمابهاتّا، ومانكهاكا (الشاعرية)، وماهيمبهاتّا (الشاعرية والفلسفة النيائية) وموكولابهاتّا (فلسفة Mim^1ms^1)، وموكتاكانا، ومورارى كافي، وراتناكانثا، وراماكانثا، وراتناكارا، ورودراتا (الشاعرية)، ورویاكا (الشاعرية، ولالا، وبهاتّالولاتا (الشاعرية)، وفامادیوابهاتا، وفامانا (الشاعرية – مؤسس مدرسة ريتي *Riti*)، وفيلهانا (الأدب)، وسامبهوكافي، وسيلابهتّاريكا، وسيفاسوامي، وسري سانكوكا (الشاعرية فلسفة نيايا)، وسريهارسا، وساديوجيوتي، وسوفراتا، وسوماديفا، وسوماسامبهو، وسومیندرا، وهارش شاندرا، وهيلاراجا (العالم بالنحو والصرف)، وهراسفاناثا، واغهوراسيفاشاريا، وإيندوراجابهاتا، وإيراكا، وغهانتكا، وتاراياميباكادتيا، وديفابالا، وبرهاسباتي، وبهارسكاراكانثا، وفرادهاراجا (النحو والتانترا)، وسيفاناندانثا، وسوبهاكاراغوبتا، وسياماكالا، وسوبهتاداتا، وسوماراجا.

لقد قامت كاشمير أيضا بتربية جيل متميز من المتصوفة والحكماء والربانيين. يُعتبر *نوند ريشي* – المعروف لدى الهندوس في كاشمير بهذا الاسم – عالما كبيرا قام بالمزج بين الهندوسية والتصوف. ومن بين الحكماء المشهورين في

هذا المجال: لال ديد (أو لاليشواري)، وروبابهواني، وريشي بير باندیت، وريشي يدي، وسوامي رام جي، وسوامي جيون شاه، وسوامي باراماناند، وسوامي رام جي، وسوامي شانكار رازدان، وسوامي ويديادهارا، وسوامي سونكاك جي، وبهاجوان غوبيناث جي، وكرال بابا جي، وخواجه لاسّا صاحب، وسوامي لاكشمان جو، وباندیت زيندا كول، وباندیت رادها كريشنا كول، وسوامي آفتاب جو وانغنو محتسب، وسوامي ماهيشوار ناث جي، وسوامي ميرزا كاك، وسوامي جووبند كول وكثيرون آخرون. ليس من اليسير عرض كامل مجد سارادا *Desa rad^{1} S^{1}*. فنختتم بكلمات لال ديد التالية:

بحبل رقيق من الخيط غير المبروم
أجدف بسفينتي على البحر
أيسمع الله دعواتي؟
هل سيجدفني بأمان إلى الساحل؟
الماء في كوب من الطين غير المخبوز
يدوّم ويهزز روحي الحائرة
يمتلأ على مهل ليزول،
آه، لا أدري متى سأصل هدفي.
(ترجمة آر.سي. تمبل إلى الإنكليزية)

يتبين بوضوح مما ذُكر أعلاه أن كاشمير تتمتع وتتميز بتقاليد فكرية وصوفية نابضة بالحياة منذ القِدم إلى يومنا هذا. وفي هذه الخلفية الغنية والمتنوعة تطورت في كاشمير أنظمة الفكر الرائعة مثل *براتيابهيجنا* *Pratyabhijna* وتقاليد اليوغا ذات البعد الصوفي والروحي مثل *كولا* و*ساباندا* و*كراما*.

وفي مجال الممارسات الصوفية – الروحية تطور في كاشمير نظام بارع لليوغا الذي يعرف بـ *سادانغا يوغا*، وهو عبارة عن نظام لليوغا الذي يتضمن ستة عناصر. لسوء الحظ، قد انحصرت اليوغا في هذه الأيام على نظام اليوغا الذي

البوذا في وضع التأمل (بوروبودور، اندونيسيا)

اللورد شيفا: اليوغي الأسمى (كهوف إيليفينتا، مومباي)

أوجده باتانجالي. ولكن كما لاحظنا فيما سبق أن أنظمة مختلفة لليوغا تطورت من حين لآخر كجزء لا يتجزأ عن نظام فلسفي أو نظام مستقل. فهناك مدونات أسطورية لأسماء ثمانية وعشرين من دعاة ومؤسسي أنظمة اليوغا بدءا من سفيتا إلى باسوباتا لاكوليسا و أربعة حواريين لكل واحد منها (مجموع العدد 112)، وفي البوذية ابتداء من *بالي تريبيتكاس* وخصوصا في المؤلفات اللاحقة كالـ *فيسوذّهيماغو Visuddhimaggo* و*أبهدهمّاتّاسانا هو Abhdhammatthasanaho* إلى *فاجرايانا* (مذهب تانتريكي للبوذية) هناك أنظمة متميزة جدا لليوغا. كما ورد ذكر *كوندالينـي يوغا* (نوع من اليوغا يتضمن القوة البدائية في صورة قوة الأفعى) في مذهب *فاجرايانا* باسم آخر. لازالت أشكال اليوغا التي تُمارس في تقاليد اليوغا الصوفية لدى *ماتسيندرناثا* (القرن الخامس الميلادي) وتلميذه *غوراكشاناثا* مقبولة في الهند مثل ساهاجا *sahaja* وأودهوتا *avadhuta* وباولا *baula* وبانشاساكهي *pancasakhi* وسانتا *santa* وسيخ *sikkh* ودارافيسا *daravesa* وغيرها.

أما *تانتريكا سادانغا يوغا*، فهي معروفة عموما في التقاليد السايفية والفايشنافية والبوذية. العناصر الثلاثة التي ذُكرت أعلاه أي *ياما* و *نياما* و *آسانا* غير مذكورة فيها ولكن عنصرا آخر باسم تاركا *tarka* (ساتاركا *sattarka*) يحتل أهمية بارزة فيها. اليوغانيون البوذيون يذكرون أنوسمرتي *anusmrti* (ويعني حرفيا حالة من الطيش أو عدم التفكير) في محل ساتاركا *sattarka*.[28]

نظام تريكا Trika (المعروف شعبيا باسم السايفية الكاشميرية) لا يعتبر *ياما* و *نياما* و *آسانا* التي تتعلق بالمجالات البدنية والذهنية والعملية جزءا من نظامه. ولكن هذا الإقصاء لايعني أن هذه العناصر لاغنىً عنها، ولكنه يرمز إلى الطبيعة الأغايمية لنظام اليوغا هذا الذي يركز أكثر على التأمل النفسي أو الداخلي. وثمة ميزة أخرى بارزة لنظام اليوغا هذا أنه على عكس التركيز على *نيرودها* nirodha أو نيفريتي nivritti (فناء الأوضاع الذهنية أو المهام الذهنية) كما في نظام اليوغا عند ياتانجالي،[29] إنه يسمح الممارس بالتركيز على الشيء الذي يرتبط

به ذهنه ارتباطا طبيعيا.[30] وفي خلفية هذا القبول العام لكل شيء كمادة للتأمل يكمن مبدأه الأساسي المتمثل في *أبهاسفافادا* abhasavada؛ نظرية المثالية الواقعية التي تقبل كل شيء كالواقعي. كل شيء أو مادة سواء أكانت مادية أو فكرية هي في النهاية عكس للوعي الكوني (citi). وعلى هذا فعلى مستوى الذات الكونية لا يوجد شيء هو أقل واقعيا أو أكثر واقعيا. وإن هذه الذات الكونية تعكس نفسها بأشكال متعددة – حافلة بالتعدديات، والخلافات، والتنوع والتتابعية ولكنه في النهاية واحد، ومتكامل و موجود في كل مكان. وهذه الذات الكونية هي عبارة عن *براما سيفا* Prama Siva في هذا النظام. ويؤكد أبهينافا غوبتا الذي يعتبر من أكبر دعاة هذه التريكا trika أو السايفية الكاشميرية على ضرورة كون المرء سفاستا svastha ويعني ذلك المرء الذي هو كائن في داخل ذاته / ذاتها حيث لا يوجد شيء في هذا العالم الواسع الذي خلقه براما سيفا Prama Siva ما يمكن قبوله أو رفضه.[31]

فيجنانابهارافا Vijnanabhairava مؤلَّف في نظام اليوغا. ويصف هذا النص 112 *دهارانا* dharanas أي طرق أو أساليب التأمل. وكما ذُكر أعلاه يتأسس هذا النظام على 36 عنصرا وجوديا يعرف بـ فئات أو طبقات الـ *ابهاسا* abhasa ويعني حرفيا التمظهر. وتشمل أساليب التأمل هذه كل شيء يساعد ممارس اليوغا على التأمل. وحيث لا يوجد شيء من دون لمسة القوة (ساكتي sakti)/ مبدأ القوة الأصلي، فكل شيء يمكنه أن يكون وسيلة فعالة ليوجه ممارس اليوغا إلى الذات الكونية التي تشبه الذات الفردية. ويطلق عليه " الفردي" ما لم يحقق طبيعته الكونية الحقيقية بسبب بعض العوامل المحددة. ويصف هذا النظام هذه العوامل بعناصر حاجبة خمسة تتعلق بـ مايا *maya* (ويعني حرفيا مجال التمظهر المحدود بسبب الإرادة الحرة المحضة للذات الكونية) العنصر السادس في نظام سايفا الأنطولوجي. وفي نظام اليوغا هذا المتضمن ستة عناصر، تتمثل الموسيقى والأصنام والعبادة البدنية أو الذهنية و المناظر الطبيعة – كوسائل كاملة

للتأمل. و كل ما نتمتع به على المستوى المادي فإن " *المجرب*" (الشخص الذي يجرب) هو الغاية في الأهمية. ومعرفة هذا المجرب هي هدف هذه اليوغا.

ويسمى هذا النص *فيج نانابهايرافا* Vij nanabhirava ويعني "الشخص الذي يعتني (/bha/) " الذي يقهقه في خضم التقلبات الدنياوية وينتصر عليها في النهاية" (/ra/) و"الذي يجلب هذا العالمَ للعيان" (/va/). ويطلق عليه *فيجنانا* Vijnana لأنه مفعم بالعلم، وهو الوعي الكوني. ليس ثمة وجود وراء هذه الذات الأسمى. التوحد مع الذات الكونية هو هدف هذه اليوغا.

يحظى هذا النص باحترام وإجلال عظيمين في تقاليد التانترا – يوغا. ويشير أبهينافا غوبتا إلى هذا النص باسماء agama و sivavijnanopanisad و*رودرايامالاسارا*. كما أن عددا من الفلاسفة واليوغانيين من التقليد السايفي من أمثال يوغاراجا و أرتاناندا يوغي و فاماناناثا و كسيماراجا يذكرون هذا النص ببالغ الاحترام والتقديس. وهذا النص، كما يتميز به النص الأغامائي، مبني على شكل حوار حميم بين الإله *سيفا* و*ديفي بارفاتي* (الجوانب البدائية للذات الأسمى التي وُصفت على أساس الزوج – الزوجة، نصف الذكر – الأنثى). تطرح ديفي بارفاتي في بداية النص سبعة أسئلة أساسية عن طبيعة *فيج نانابهايرافا* Vij nanabhirava:

ما هي الطبية الأساسية لطبقة "الأصوات" الفونيمات (التي تتكون من الطاقة).

كيف يسكن هذا "الصوت" في الـ *بهايرافا* في تقسيم تسعة أضعاف للـ "مانترا" (تتابع صوتي يخلق أثرا محمودا ومطلوبا)؟

كيف يميز هذا بين الألوهية ذات الرؤوس الثلاثة (تريستيرا بهايرافا – مذهب في الممارسة التانتريكية)؟

كيف يتكون من ثلاثة أشكال من الطاقة – الكونية، الفردية والمتوسطة)؟

كيف يحصل صعود *مانترا* من خلال *نادا* (الطاقة الصوتية البدائية) والنقطة (تركيز الطاقة في شكل نقطة (.)، ونصف القمر (ardha candra) و*نيرودهيكا* nirodhika(الإعاقة)؟

ما طبيعة الطاقة في الـ *مانترا* الساكنة (الخالية عن حروف العلة) (ana- ac بدون أصوات حروف العلة، ac عبارة عن مجموعة من أصوات حروف العلة في نظم بانيني الصوتية التي تُعرف شعبيا بـ siva-sutra أو ماهيسوارا سوترا) في داخل حركة شاكرا cakra (مراكز/ مراحل الطاقة التي تمر بـ العصب الباطني للعمود الفقري التي تسمى تِقنيا بـ سوسومنا susumna)؟

ما شكل الاستعلائي – الباطني (parapara sakti) والطاقة الباطنية (apara) مع الأجزاء و إن كانت الطاقة الاستعلائية (para) هي نفسها أو غير متكافئة مع الباطني (apara)؟.

يمكن المرء أن يلاحظ عمق محتوى النص وعمق التصوف الذي ينطوي عليه النص. ردا على هذه الأسئلة يقوم *سيفا* برفض إمكانية تحقيق الذات الأسمى بوسائل مختلفة. ليست ثمة وسيلة كافية بحد ذاتها لضمان تحقيق الذات الأسمى. ويصرح أبهينافا غوبتا بأسلوبه الخاص: ربما رأيت أن آلافا من الأباريق تضيء الشمس؟ ولكن الحق على العكس – الشمس هي التي تضيء الإبريق. نحن نعلم أو نرى الإبريق لمّا تضيئه الشمس.[32]

يناقش أبهينافا غوبتا اليوغا ذات العناصر الستة في الفصل الرابع من *تانترالوكا* Tantraloka والفصل الثاني من *تانتراسارا* Tantrasara.[33] وفي هذه العناصر الستة يُعتبر *ساتاركا* Sattarka (يعني حرفيا العقل الأسمى، الذكاء التجريبي) الأسمى لأن هذه هي الوسيلة الأقوى بالنسبة لممارس اليوغا حيث تساعده / تساعدها على أن يميز بين ما هو مقبول وما هو مرفوض يجب احترازه. وإن ممارس اليوغا يُغرق نفسه في ذاته باتباع هذه الخطوات خطوة خطوة وبطريقة غير

تسلسلية وبالتالي يحقق هويته / هويتها بالتوحد مع الذات الأسمى. وهناك ثلاثة upayas أي الطرق المرتبطة بهذه العناصر الستة:

أوبايا upaya: إثنين Sopaya (مع الجهد) و Anupaya (بدون الجهد أو بأقل جهد)

عدد sopaya ثلاثة: *انوبايا* anupaya (ثنائية و مبنية على العمل / الطقس)، و *ساكتوبايا* saktppaya (الإدراك الثنائي – غير الثنائي) و *سامبهافوبايا* sambhavopaya (الإدراك غير الثنائي، لا حاجة إلى مزيد من العمل). وهناك تسلسل مرتبط بهذه العملية.

يتم تحقيق "أنوبايا" من خلال " ساكتيباتا" saktipata (استدعاء "ساكتي" / الطاقة إلى الممارس من قبل المعلم الروحي أو بفضل الله تعالى). وعلى هذه الشاكلة، تصبح "أنوبايا يوغا" anupaya yoga عفوية ومن دون جهد (وهو ساهاجا يوغا – أي يوغا سهل وبسيط وطريقة طبيعية لتحقيق أعلى مستوى من الروحانية). ليس هناك أي ترتيب تسلسلي في هذا النوع.

لا توجد أي ثنائية أو تعددية على المستوى العالمي. فهو الممارس أو المبدأ الذي يمثل كافة الأعمال وبالتالي يعرض نفسه في أشخاص متنوعة. لا تختلف "ساكتي" (الطاقة) عن سيفا تماما كما لا تفارق الحرارةُ النارَ.

يهدف نظام اليوغا ذو العناصر الستة هذا إلى تجاوز كافة الثنائيات والتعدديات من أجل التوحد مع الذات الكونية. يُعتقد أن "باراماسيفا" يقوم بأنشطته الخماسية من دون انقطاع – الخلق، والإعالة، والانسحاب، والكتمان، والفضل. وفي نهاية المطاف يحرص ممارس اليوغا على الحصول على ***anugraha*** أي الفضل الخاص بالذات الكونية. ويعني "أنوغراها" ***anugraha*** فناء الفرد المطلق والكلي في الذات الكونية.

إن كاشمير (*كاسيابا بهومي/ سارادا ديسا* Kasyapa Bhumi/ Sarada Desa) عبارة عن مفهوم عام وشامل – مبدأ يقوم بتوحيد شبه القارة الهندية بأكملها.

وهي مسقط رأس *براتيابهيجنا دارسانا* Pratyabhijna Darsana (فلسفة الإدراك)[34] وأنظمة تانتريكا المتنوعة. ومع الاشتقاقَين (*yujir yoge* and *yuj samadhau*) للفظة اليوغا فإنها ذات أهمية وعلاقية كبيرة في عالمنا المعاصر الذي يحفل بالعنف والفراغ والخلافات. اليوغا بوصفها فلسفة خلقية تربط العالم بعضه بالبعض وتعزز فكرة "العالم عش واحد" ويساعدنا النظام الروحي للتأمل المتضمن فيه على إدراك ذاتنا الحقيقية.

الهوامش:

[1] Vide Kapil Kapoor, Rati-Bhakti, pp.1-4

[2] Tarakasa mgraha of Annamabhatta, jnanadhikaranamatma, 2.8

[3] Mundaka Upanishad, 1.i.3. Kasminnu Bhagavo Vijnate Sarvamidam vijnatam bhvatiti.

[4] Yogavasistha, 1.7

[5] Bhagavadagit, 4.38; (nahi jnanena sadrsam pavitramiha vidayte) and Tantrasara of Abhinavagupta, 1.1; (iha jnnanam moksakkaranam) and again in the Tantraloka (1.56), Abhinavagupta states: mokso hi nama naivanyah.

[6] Yogasutra of Patanjali, 1.1.

[7] Mundaka Upanisad, 1.i.3

[8] Tantraloka, Ch. 37

[9] Tantraloka 37, 40-41

[10]" Grhe grhe sabhyapura dhrivarga vyavaharan Sanskrtabhsanena" quoted in Kasmiretihasa by Acharya Hanumatprasad Shastri p. 12

[11] "Kasmiram caturdasavidyanam pitham" says the great Sanskrit epic poet and philosopher Sriharsa (Naisdhiyacaritam 16. 131)

Fourteen vidyasthana (disciplines of learning):

Purananyayamimasadharmasastangamisritah / vedah sthanani vidyanam dharmasya ca caturddasa // [Vajnyavalkya Smrti, 1.3]

Fourteen vidyasthana (domains of knowledge):

4 veda-s (Rigveda, Samveda, Atharveda) +6 Vedanga (Phonetics, Etymology, Grammar, Prosody, Rituals, Astronomy) +4 Sastra (18 Purana i.e. legendary accounts embedded with various knowledge domains) , 6 ssytems of Anvikshiki (logic) 2 Mimamsa (relating to knowledge i.e. Vedanta philosophy and rituals *i.e.* Mimamsa philosophy) 18 major Smritis i.e recollected texts of social systems and thought) = 14 domains.

[12] Rajataranggini 1.29-43

[13] Rajataranggini 5.66.

[14] Ksemendra, Siva-Sutra-Vimarsin (Introduction)

[15] Jayaratha also refers to this sacred mountain with must have been am important pilgrimage till that time. Viveka Commentary on Tantraloka Ch. 37 (Appendix part, verse 37).
[16] Although Sutra is a technical word in grammar and philosophy, in Saiva literature it has been used as a synonym for Karika. For more details on this topic *see* Rajasekhara's Kavymimamsa, Ch. 2.
[17] J.C. Chatterji's Kashmir Chaivism p.37. However, Prof. K.C. Pandy has a different opinion. *See* his pioneering work Abhinavagupta: An Historical and Philosophical Study, p. 156
[18] J.C. Chatterji's Kashmir Chaivism p.37
[19] Jayaratha makes an explicit reference to the philosophers of these schools in his Viveka on Tantraloka VI.250.
[20] Viveka on Tantraloka, 1.1.
[21] Vide Cultural Heritage of India, Vol. V, Introduction
[22] S.S. Suryanarayna Shastri, "The Philosophy of Saivism" in Cultural Heritage of India, Vol. III, p. 396. Fm. " The contrast in lcocalities is unsound; for many of the early writers of the realist school, e.g. Sadyojyoti, Ramakantha, Naraynakantha and others seem to have belonged to Kashmir. Tradition has it that Tirumular, perhaps the earliest Tamil Saiva, brought Saivism to the South from the North, possibly Kashmir. The editors of the Kashmir Saivism series recognize tat dualist Saivism too has a home in Kashmir; and one of works published by them, the Naresvara-Pariksa, belongs to this school.
[23] Mahakavi Jaysankar Prasad's monumental work in modern Hindi epic Kamayani reflects deep influence of this philosophy. Dr. Parahamsa Mishra an outstanding scholar of this system also belongs to this centre of India's intellectual traditions.
[24] Acharya Visveswara (edit) (1960), Kavyaprakasa, p.52
[25] Abhinavbharati (Kashi series) p.368
[26] Abhinavagupta: An Historical and Philosophical Study, p.263
[27] Mohartha-Manjari 202
[28] Guhyasamja Tantra, 18. 140
[29] Yogasutra, 1.1
[30] Vinjanabhairava, Dharana 73.
[31] Anuttarastka of Abhinavagupta, verses 1-2.
[32] Tantrasara, Ch 2.
[33] Tantralika 4.15-16, Tantrasara Ch.2
[34] Pratipamatmabhimukhyana jnanam prakasah (Isvara-pratyabhijna –Vimarsini I.1.)

المصادر والمراجع:

Abhinava Gupta, Tantrasara, tr. Paramahans Mishra, Varanasi: Chaukhamba: Surabharti, 1996.

---------- Tantraloka (8 Vol) tr. / anno. Paramahans Mishra, Varansi: Sampurnananda Sanskrit Vishvidyalaya, 1992.

Annamabhatta, Tarkasamgrah, (with Dipika of Annamabhatta and Notes) tr. Virupakshananda, Madras: Sri Ramkrishana Math, 1994.

Mundka Upanishad, in Eight Upanisads (in two vols) with the commentaries of Sankaracharya, tr. Gambhiranana, Kolakata: Advaita Ashrama, 1958.

Valmiki, Yogavasisthah, (5 Vols) tr. Mahaparabhulal Goswami, Varanasi: Tara Book Agency, 1994

Kapil Kapoor, Rati-Bhakti Bharata Ki Katha Parampara Mein, Delhi: D. K. Pritnworld (P) Ltd. 2011.

Kalhana, Rajtarangini (The Saga of Kings of Kashmir) tr. R.S. Pandit, Delhi: Shitya Akademi, 1935.

Bhagavadagita, Gorakhpur: Gita Press, 2070 (Samvat)

Patanjali, Yogasutra, Comm. Harikrishnadas Goyandaka, Gorakhpur: Gita Press, 2015 (Samvat)

Vijnanabhairava, tr./comm…Vrajavallabha Dwivedi, Delhi: Motila Banarsidas, 1984.

دلهي في عصر السلطان محمد تغلق شاه
كما يراها ابن بطوطة

د. قمر شعبان الندوي*

{أتحدث إليكم عن دلهي عاصمة الهند الحالية، ومركز الحضارات المتنوعة، وحاضرة الحكومات المختلفة، وهاهي التي تحكي عليكم كل ما شاهدت عبر قرون مضت، فتقول: كم شاهدت على متني من المد والجزر، والصعود والهبوط عبر الأحقاب التاريخية المختلفة، ولكم عاش في قصوري من الملوك والسلاطين، وكم دفنت في ترابي من الأمم والأقوام، جاءت أمة فعمرتني بالمباني الشامخة، والقلاع الفحلة المتينة الحصينة، والمساجد، والمعابد الخلابة، وشيدتني بالرخام والياقوت والمرمر، وكنت عرش حكم تربع عليه الملوك الخلجيون والتغالقة والمماليك والمغول، واستولوا على بقاع ومساحات غير محدودة من ربوع الأرض}.

ولَكَم أنجبت في مختلف فترات التاريخ من أبناء أثروا وأغنوا الأرض بالعلوم والمعارف والثقافات!، فمن لايعرف من أبنائي الذين بنوا المنارة الشامخة أعجوبة العالم في العلو والسمو، والقلعة الحمراء التي تباهي عمارات الدنيا في شموخها؟، ومن لايعرف من أهل العلم والأولياء الصالحين الذين قاموا بتربية النفوس وتزكية القلوب؟، قطب الدين بختيار الكعكي، ونظام الدين أولياء، وولي الله الدهلوي وأبناؤه

* محاضر ضيف، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيودلهي، الهند. *Email:q.shaban82@gmail.com*

وأحفاده الذين أضاؤوا مصابيح الثقافة والعلم والدين، أما سمعتم بالشاعر الأردي مير تقي مير، ومؤمن خان مؤمن، وإبراهيم ذوق، وأسد الله غالب، والمفتي نصر الدين آزرده ؟ هؤلاء هم الذين فتحت لهم الأبواب، فأعطوا اللغة الأردية حياة الخلود.

ولَكَم آتيت من أُكُل شبع منها كل من سكن فوق ترابي من شعوب وملل، من دون فرق بين أسودهم وأبيضهم، وبين غنيهم وفقيرهم، وبين مسلمهم وهندوسيهم، قصد إلي الملوك من خراسان، والعراق، والجزيرة العربية، وقسطنطينية، وإيران، فاستقبلتُهم جميعا استقبال الأم الحنون أولادها المفقودين النجباء، ورحبت بهم أحر ترحيب.

وهاهي ذي أنا تلك الدار الخربة التي بكى عليها أحد أبنائي وقتما نال منه سكان بعض المدن المشرقية، ألا تسمعون هذه الويلات والزفرات التي صرخ بها هذا الابن الأنين الكئيب المتأزم:

"لاتسألوا عن عيشي وحياتي يا أهل المشرق
لكوني غريبا باستهزاء وسخرية
فدلهي تلك المدينة التي كانت مصطفاة في العالم،
والتي كان يسكن فيها النخبة المختارة من نوع البشر
والتي لقد دمرتها الأفلاك نهبا وغارة
أنا من قاطني تلك الديار الخربة[1]

والآن أترككم مع رحالة عظيم الشأن خرج من أقصى المغرب، ومر بأراض شتى فوق الأرض حتى دخل بابي فحفزت أبنائي على استقباله والعناية به، فإنه أحد من سجل حكاياتي ومسامراتي وويلاتي، فاسمعوه، فإنه كان ضيفا كريما علي، قضى وقتا ثم غادرني إلى بلاده، ولكنه ترك للجميع ذكريات جميلة في رحلته التي تشتهر في عالم الإنسان بـ"رحلة ابن بطوطة"، التي هي ليست كسائر الرحلات فإنما هي سجل للحضارات والثقافات والمدنيات، ودفتر عظيم لماجريات الدول والبلدان على مر العصور والأزمان، ووثيقة تاريخية للأمم والملوك والسلاطين، وموسوعة

موثوق بها لأساطين العلم والأدب، وأرباب الفضل والكمال، وأهل المعرفة والتقوى، ثم وهي رحلة أكبر جوال الأرض، ورحالة العرب، أبي عبد الله محمد الطنجي المغربي المعروف بابن بطوطة، من مواليد منطقة طنجه، المملكة المغربية حاليا، وذلك يوم الإثنين 17/ رجب المرجب عام 703هـ/ 24 فبراير 1304م.

قصة رحلته:

لما بلغ ابن بطوطة الثاني والعشرين من عمره عزم على أن يطوي مشارق الأرض ومغاربها، وقد حكى قصة مغادرته من موطنه طنجه بالمملكة المغربية، في أسلوب رائع:

"كان خروجي من طنجه، مسقط رأسي في يوم الخميس الثاني من شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة من الهجرة معتمدا على حج بيت الله الحرام، وزيارة قبر الرسول –عليه أفضل الصلاة والسلام– منفردا عن رفيق آنس بصحبته، وركب أكون في جملته لباعث على النفس شديد العزائم، وشوق إلى تلك المعاهد الشريفة، كامن في الحيازم، فحزمت أمري على هجر الأحباب من الإناث والذكور، وفارقت وطني مفارقة الطيور للوكور، وكان والداي بقيد الحياة، فتحملت لبعدهما وصبا، ولقيت كما لقيا من الفراق نصبا، وسني يومئذ ثنتان وعشرون سنة"[2]

دخوله الهند:

تتابعت جولاته في مدن تلو مدن، وفي بلد تلو بلد، وقد تحمل متاعب السفر وعناءه على متون البحار مدة تسع سنين حتى وصل إلى وادي السنده ببنج آب (بنجاب الحالية) في غرة محرم الحرام عام 734هـ/ 1334م، فلقي بعض الإخباريين للسلطان، ورأى نظام البريد ونظام الإصدار والاستيراد، وقابل المواطنين الهنود، وعاشرهم، وجالسهم، فتأثر بعلاقاتهم فيما بينهم، ورأى الناس يكرمون ضيوفهم أبلغ إكرام، ويبجلون جيرانهم، ويؤثرونهم على أنفسهم، كما كان ذاك شأن صحابة الرسول –صلى الله عليه وسلم–، فتبلور أمامه أثر القرآن والسنة في هذا المجتمع الهندي المخلوط من المسلمين والهندوس.

وبعد أيام شد الرحال إلى دلهي، ومر في الطريق بمدينة حناتي وسيوستان وملتان ثم أبوهر و أجودهن حتى وصل إلى مسعود آباد قلعة نجف كراه[3]، فرحب به الشيخ بسطامي وشريف مازندراني ترحيبا حارا، ومكث هناك ثلاثة أيام إذ حضره قضاة البلاد وفقهاؤها ومشائخها بأمر السلطان محمد تغلق شاه، واستقبلوه جميعا استقبال الكرام، واستقبال الإخوان بالأخ الفاضل الكبير النجيب مصداقا لما قاله الشاعر العربي:

تلقى بكل بلادٍ إن حللت بها أهلًا بأهل وإخوانًا بإخوان

وقد وصف ابن بطوطة وصوله إلى دلهي وصفا دقيقا، فقال:

"رحلنا من مسعود آباد، وفي غد ذلك اليوم وصلنا إلى حضرة دلهي قاعدة بلاد الهند، وهي المدينة العظيمة الشأن، الضخمة الجامعة بين الحسن والحصانة، وعليها السور الذي لايعلم له في بلاد الدنيا نظير، وهي أعظم مدن الهند بل مدن الإسلام كلها بالمشرق"[4]

جغرافية دلهي في عصر تغلق:

كانت تشتمل دلهي على أربع مدن متجاورة يتصل بعضها ببعض، إحداها دلهي التي مازالت على حالها من قديم الزمان، بناها الملوك الهندوس ثم فتحها الملوك المسلمون عام 584هـ/ 1188م. والمدينة الثانية هي سيري، وهي التي تعرف حاليا بسيري فورت (قلعة سيري) وهي كانت تدعى بدار الخلافة أيضا، وهبها السلطان لغياث الدين حفيد الخليفة المستنصر العباسي لما قدم عليه، وكان السلطانان علاء الدين وقطب الدين يسكنان فيها. وأما المدينة الثالثة فهي تغلق آباد بناها تغلق شاه منسوبا إلى اسمه، ورابعها هي جهان بناه عمرها السلطان محمد شاه لسكناه هو نفسه، وكان بدأ الملك في تشييد سور عظيم يضم هذه المدن الأربع، ولكنه لم يكمل حتى نصفه وتركه بسبب الميزانية الزائدة.

سور دلهي وأبوابها:

وأما السور الذي بناه الملك لضم هذه المدن الأربع فيقول عنه ابن بطوطة إنه العالم كله، عرض حائطه أحد عشر ذراعا، وفيه بيوت يسكن فيها الحراس، وفيها مخازن للأطعمة يسمونها بالأنبارات، تخزن فيها الزروع مدة طويلة من الزمن، ولا تتغير نوعيتها، يقول ابن بطوطة: "ولقد شاهدت الأرز تخرج من بعض المخازن ولونه قد اسود ولكن طعمه طيب، وكل ذلك من اختزان السلطان بلبن منذ تسعين سنة"[5]

وفي هذا السور أبراج كثيرة لايحصى عددها يتقارب بعضها من بعض، وعدد أبواب هذه المدينة 28 بابا، ولكل باب اسم خاص يرمز إلى خلفيته، وقد استخدم ابن بطوطة في رحلته في خضم العبارات العربية كلمة رائجة للباب في الهند سمعها من الهنود وهي كلمة "دروازه"، كما وقد سرد أسماء بعض أبوابه من أمثال:

أكبر أبوابها دروازه بداؤن (الباب البدايوني) نسبة إلى الشيخ نظام الدين أولياء البدايوني –رحمه الله–، ودروازه مندوي من المندي (باب السوق)، ووفق بيان ابن بطوطة كان هناك سوق الحبوب وراء هذا الباب، ودروازه جل (باب الزهور) وجل هذه كلمة تنطق (بالجيم المصرية) معناها : الزهور، وكانت بجوار هذا الباب بساتين وحدائق الزهور فسمي الباب باب الزهور. ودروازه شاه (باب شاه) نسبة إلى رجل اسمه شاه، أي نسبة إلى سلطان فمعنى كلمة شاه: هو ملك أي سلطان، ودروازه بالم (باب بالم) نسبة إلى منطقة اسمها بالم، وهذه المنطقة ظلت عامرة، وتسمى قرية بالم، وفيها المطار الشعبي لدلهي، وبجواره مطار إنديرا غاندي الدولي، في دلهي. ودروازه نجيب (باب نجيب)، ودروازه كمال (باب كمال) نسبة إلى رجلين نجيب وكمال، ودروازه غزنه (باب غزنه) نسبة إلى مدينة غزنه بخراسان، ولربما يرمز هذا الاسم إلى محمود غزنوي أيضا، وثمة مصلى العيد وبعض المقابر خارج هذا الباب، ودروازه خالصة (باب خالصة) وبخارج هذا الباب مقابر، وقد جعل الناس على كل قبر قبةً أو محرابا[6].

مسجد قوة الإسلام:

مسجد قوة الإسلام من أهم المعالم التاريخية الإسلامية، لقد رأى ابن بطوطة هذا المسجد بعين الاعتبار لشأنه العظيم، وخاصة وقت وروده في دلهي، فقد أقنع الكلام عنه تحت عنوان: "جامع دهلي البديع" يقع هذا المسجد في رحاب منارة قطب الدين، وفي الحقيقة كانت هذه المنارة جزء من هذا المسجد، ولكن من سوء الحظ لقد تم تشييد المنارة، ولكن لم يتم بناء المسجد، ولكن الجزء الذي كان تم بناؤه لازال عامرا وباقيا، وبات اليوم مزارا للسياح ولايصلى فيه، يصف ابن بطوطة هذا المسجد وصفا دقيقا بعبارات رشيقة، وكلمات بديعة :

"وجامع دهلي كبير الساحة، حيطانه وسقفه وأرضيته كل ذلك من الحجارة البيض المنحوتة أبدع نحت، ملصقة بالرصاص أتقن إلصاق، وفيه ثلاث عشرة قبة من حجارة، ومنبره أيضا من الحجر، وله أربعة من الصحون، وفي وسط الجامع العمود الهائل الذي ذكر لي بعض حكمائهم أنه يسمى "هفت جوش". يعني أنه مؤلف ومسبوك من سبعة معادن، وطوله ثلاثون ذراعا.[7]

منارة قطب الدين:

لقد قيل عن هذه المنارة أنها أطول منارات العالم، استخدم ابن بطوطة لهذه المنارة كلمة "الصومعة"، وعدها من عجائب الدنيا في شموخها وضخامتها، وسمو ارتفاعها، ولانظير لها حتى في بلاد الإسلام، إذ هي مبنية بالحجارة الحمر، ومنقوشة بنقوش نادرة ورائعة، ويقول إن فحلها من الرخام الأبيض الناصع، وتفافيحها(نقوش في شكل التفاح)من الذهب الخالص،[8] ولكن فاته ذكر شيء مهم في هذه المنارة وهو الآيات القرآنية والعبارت العربية التي تم تنميقها بشكل دائري دوران المنارة الممتد من الأسفل إلى الأعلى، وفي رأي الكاتب: نقش الآيات القرآنية على هذا الطراز الجميل البديع هو من أعجب عجائب هذه المنارة، وذلك ما يدل على اهتمام ملوكنا بالمتون القرآنية، وخبرات البنائين المسلمين بالفن الإسلامي.

تقع هذه المنارة في جنوب دلهي، وكانت في العصور الماضية في أقصى المدينة وخارجها، ولكنها الآن وسط المناطق العامرة لامتداد المدينة إلى مدى بعيد في تلك الجهة، والمنطقة التي تقع فيها المنارة تسمى "مهر ولي"، وبجوارها مقابر بعض الأولياء وعلى مقدمتهم الشيخ قطب الدين بختيار الكعكي –رحمه الله–.

وقد أخطأ ابن بطوطة في تحديد مكان منارة قطب الدين إذ قال إنها في صحن المسجد الشمالي، والصواب أنها في صحن المسجد الجنوبي، وأما الصحن الشمالي ففيه المنارة التي لم يتم بناؤها ولازالت متبقية ناقصة البناء.

ابن بطوطة في القصر الملكي:

يتجلى لنا مما كتبه ابن بطوطة عن تكريم الملك إياه أنه كان يهتم بتقدير أهل الفضل والكمال، وتكريم الضيوف والمسافرين اهتماما بالغا، وذلك هو من تعاليم الإسلام، وديدن الرسول –صلى الله عليه وسلم– وصحابته البررة، ويبدو مما كتبه ابن بطوطة أن الملك بالغ في تبجيله وتأثر به ابن بطوطة تأثرا كبيرا، وأعجب به إعجابا، ووصفه بتعبير دقيق ومفصل عن ذلك، ذكر أن الملك أنزله في دار الضيافة الملكية في دلهي بمقربة من باب بالم[9]، وأعد له كل معاني الضيافة من فرش وبسط وحصر وأوان وسرير الرقاد، مع السرير بمخدتين ولحاف من الحرير، ثم توجه في غد ذلك اليوم إلى دار السلطان، فأعطاه الوزير بدرتين كل بدرة من ألف دينار، وألبسه خلعة، وعين له أصحابا وخداما وغلمانا[10]، ولم يكتف الملك بهذا العطاء والنزل فحسب بل عينه قاضي دار الملك، و والي مقبرة قطب الدين، وسفير الهند لدى ملك الصين، وكان راتبه السنوي اثني عشر ألف دينار.

ولم يكن ابن بطوطة قانعا بهذا القدر القليل من الراتب، فقرض قصيدة عربية في مديح السلطان، بإطرائه، ووصف جوده، وسخائه وكرمه، طالبا الزيادة في الراتب لكي يستطيع دفع كل الديون عليه، وأنشد ابن بطوطة هذه القصيدة أمام الملك في بلاطه على الملأ دعني أجلب بعض الأبيات من هذه القصيدة هنا لقيمتها الأدبية:

إليك أمير المؤمنين المبجلا أتينا نجدُّ السير نحوك في الفلا
فجئت محلا من علائك زائرا ومغناك كهف للزيارة أهلا
فلو أن فوق الشمس للمجد رتبة لكنت لأعلاها إماما مؤهلا
فأنت الإمام الماجد الأوحد الذي سجاياه حتما أن يقول ويفعلا
ولي حاجة من فيض جودك أرتجي قضاها وقصدي عند مجدك سهلا
أ أذكرها أم كفاني حياؤكم فإن حياكم ذكره كان أجملا
فعجل لمن واقى محلك زائرا قضا دينه إن الغريم تعجلا [11]

أعجب السلطان بهذا المديح والإطراء، وهنأه الناس المتواجدون في البلاط، وظفر ابن بطوطة بمرامه.

ابن بطوطة يتزوج:

تزوج ابن بطوطة من فتاتين إحداهما "مباركة: وأنجبت له ولدا أسماه أحمد، وأخراهما "جور نسب" ولدت له بنتا، وقد ترك ابن بطوطة كلا من الزوجين، والولدين في الهند حتى قال عنهم :"لا أدري ما فعل الله بهم"[12]

الحوض الشمسي والحوض الخاص:

لقد ذكر ابن بطوطة في رحلته كل ما شاهده بأم عينه في حاضرة الدولة، وفي البلاط الملكي، ويبدو ما لهذين الحوضين من أهمية وفوائد من اهتمام ابن بطوطة بذكرهما، وكان هذان الحوضان وقتئذ خارج المدينة ولكنهما الآن داخل العمران، والمنطقتين المعروفتين بالمدينة، ويتضح من بيان ابن بطوطة أن الناس كانوا يشربون الماء منهما، وأما الحوض الشمسي فنسبته إلى الملك شمس الدين إلتتمش، وهو وفق بيانه واقع في حوالي ميلين طولا، وميل واحد عرضا، وكان الناس يتنزهون ويتفرجون على شواطئه الأربعة من مناظره الخلابة علاوة على ما يستقون منه ماء، وتحيط به القباب الحجرية من كل الجوانب، وقبة عظيمة وشامخة منقوشة

قلعة تغلق بدلهي

حوض شمسي في دلهي من عهد السلطان تغلق

على وسط الحوض تزيده رونقا وبهاء، وإذا جف الماء في جوانبه يزرع قصب السكر، والبطيخ الأخضر والأصفر.

وأما الحوض الخاص فهو في رأي ابن بطوطة أكبر من الأول بين قباب يبلغ تعدادها أربعينا، والمنطقة التي يتواجد فيها هذا الحوض تسمى الآن حوض خاص وبجواره غابة مكثفة وكبيرة، وملعب، ومنتزه.

بعض الضرائح:

زار ابن بطوطة بعض مقابر الأولياء المنمقة أيما تنميق، فبين منها مقبرة الشيخ قطب الدين بختيار الكعكي–رحمه الله–، وأفاد بأن تسمية الكعكي مستخرجة من الكعكة، فكان الشيخ قطب الدين يهب للمحتاجين والفقراء والمقروضين بمناسبة زواج بناتهم كعكة من الذهب أو الفضة ليتبلغوا بها حوائجهم، ويسهل لهم تجهيز بناتهم إلى أصهارهم فلقب بالكعكي[13]، وكذلك زار ابن بطوطة قبر الفقيه الفاضل نور الدين الكرماني، وقبر الفقيه علاء الدين الكرماني، وقبور الأولياء والصالحين الآخرين، فوجد كل هذه القبور مرونقة ومنورة ذات سطوع وطلاء وتنميق.

السلطان محمد تغلق شاه:

لقد كتب ابن بطوطة في رحلته أحوال بعض الملوك الذين سبقوا مجيئه إلى الهند، ومنهم شمس الدين إلتتمش، وناصر الدين، وركن الدين، وعز الدين، ورضية سلطانه، وغياث الدين بلبن، ومعز الدين جلال فيروزشاه الخلجي، وعلاء الدين محمد شاه الخلجي، والسلطان شهاب الدين، والسلطان قطب الدين، وخسرو خان، وناصر الدين، والسلطان غياث الدين تغلق شاه،[14] وهو والد محمد شاه تغلق الذي في عهده دخل ابن بطوطة الهند، وقد تلقى أخبار جميع هؤلاء الملوك والسلاطين عن الشيخ كمال الدين بن البرهان الغزنوي قاضي القضاة وقتذاك، وأما محمد تغلق شاه الذي كان يتولى العرش وقت دخوله الهند[15]، فقد رأى ابن بطوطه أحواله وأسلوب حياته، ومعاملته مع الوزراء، وأهل العلم، وعامة الناس رأي العين، لأنه

عاش معه في بلاطه كل مدة تواجده في الهند، فتمكن من أن يصفه هو وحياته وصفا دقيقا ومسهبا، وهو بمثابة المصدر الأولي في هذا الباب.

كان اسم السلطان محمد تغلق شاه وفق ما ذكره ابن بطوطة "جونه"، وهو ربما كلمة "جوان" (الفتى)[16] لأنه عاش حياة طويلة من حياته في القتال في ساحات الوغى، فإنه قاتل التتار تسعا وعشرين مرة، وهزمهم فسمي حينئذ بالملك الغازي[17]، وكان يُكنى بأبي المجاهد، وسمي بمحمد شاه بعدما تولى العرش بعد وفاة أبيه غياث الدين تغلق شاه، وقد اكتشف ابن بطوطة عن بعض السمات والمزايا المحمودة في ذاته وحياته، ولكنه يؤكد له صفتين مضادتين ظاهرا، وهما صفة الكرم وصفة البطش، كيف يمكن أن يكون الرجل الواحد كريما وبجانبه عنيفا وشديدا في آن واحد؟ وقد أصر ابن بطوطة على هاتين الصفتين مع الصفات المحمودة الأخرى.

وددنا أن نتناول هذا الأمر بقدر من التفصيل لنرى كيف كان ملوكنا في العصور القديمة، وكيف كان نظام حكمهم؟، كان محمد شاه تغلق على هاتين الصفتين المضادتين، ولكن لكلتيهما محلا مناسبا لابد من أن يتحلى بهما سلطان، فكرمه وجوده وسخاؤه مما هو عام عموم المياه الصافية لكل وارد ومغترف، فكان يعطي كل ذي الحاجة، ويكرم الضيوف، ويستضيف المسافرين خير استضافة، ويعد لهم أحسن نزل، ولايعود السائل أو المتسول أو الطالب أو الفقير البائس أو المسكين والمحتاج من بابه خائبا، فدعوني أن أستشهد صفة كرمه ببيت شعر قاله الفرزدق في مديح علي زين العابدين:

ما قال لا قط إلا في تشهده لولا التشهد كانت لاؤه نعم

إن إصرار ابن بطوطة على كرمه، وشهادته بالله وملائكته ورسله في نقل عجائب كرمه الخارق للعادة الذي –بحد تعبير ابن بطوطه نفسه– "لايسوغ في عقل كثير من الناس ويعدونه من قبيل المستحيل عادةً"[18] يدفع القارئ إلى أن يخاطب سلطان مثله بمثل هذا الشعر، وهذا ما يدل على أن هؤلاء الملوك الذين عمروا البلاد، وأثروها بقلاع حصينة، ومعالم شامخة عظيمة البنيان، لم يكونوا ناهبي أموال

الشعب كنزا وادخارا كحكامنا اليوم الذين لهم حسابات في المصارف الدولية، بدون نجوى، وعدد كبير من الشعب يموت جوعا، ويعيش بؤسا وشقاء، وجهلا.

وأما صفة البطش والفتك والشدة فنجد لها في حياة محمد تغلق شاه محلا غاية المناسبة، فلم يكن بطشه عاما كعموم كرمه، إنما كان بطشه للظالم والطاغي والجاني، فلاتأخذه الرأفة والرحمة مع الإنسان الشرير، ولم يكن ديدنه هذا مع عامة الناس، ومن أهم ما وصفه به ابن بطوطة أنه كان غاية في التواضع والرأفة مع العوام، ولكنه لايفوته جانب العدل والحق في الأمور مع كل شخص، وكان رجلا ديِّنا، وشديد المعاقبة لمن يترك الصلاة، ويشهد ابن بطوطه أن الناس كانوا سعداء في عهده.[19]

وفي رأي الكاتب لابد من مثل هذا البطش مع الذين يسعون في الأرض الفساد لصلاح المجتمعات البشرية، وإنقاذ الوطن من الهمجية والشر والفساد والفوضى، فأين حكامنا اليوم من هذا البطش ضد الظالم والجاني، فالمجرم يسعد بمتعة العيش!. والبريء يتعذب بصنوف العذاب في عالمنا هذا. وأصحاب الشكاوى يترددون إلى أبواب المحاكم والقضاة، ولاتتم تصفية قضاياهم غير أنهم يضيعون ما عندهم من كسب عرق جبينهم، وإحراق دماء عروقهم، أين عالمنا من تلك العوالم التي كان فيها السلاطين أنفسهم يسمعون الشكاوى، ولايتركون أصحابها بعده إلا وهم يجدون بغيتهم، وحلول ما يحل بهم من رزيئة أو قضية؟

وكانت دار السلطان تسمى دار سَرَى، وقد نقل ابن بطوطة تفاصيل كل ما كان يدور في داره وأبوابها الكثيرة على أيدي الخدام والحراس من استقبال الأمراء والضيوف، وكتابة الشكاوى، ومعاقبة الجناة، وقتل المجرمين على أيدي الجلادين، والنظام الدقيق المرتب لسجل الزوار، وكتابة أسمائهم، وأوقات دخولهم وخروجهم، وكيف كان السلطان نفسه يطالع هذا السجل ويهتم به، ويأمر بتحقيق حاجيات الناس، وتسوية شكاواهم، وذكر أنه كان هناك ثقافة عامة للتهادي والتحابب فيما بين أهل العلم وأصحاب الحكم على قدر مناصبهم ومجالاتهم.

وأقنع الكلام في جلوس السلطان بعد صلاة العصر أو أول النهار في مجلس الناس، دقق الكلام وبين أن السلطان كان يجلس على مكانه جلسة التشهد في الصلاة، ثم ذكر ترتيب جلوس الأمراء والوزراء والكتاب والحجاب ونوابهم، والنقباء، والفقهاء، وقاضي القضاة، وخطيب الخطباء، وكانت تستهل أعمال المجلس بـ"بسم الله"، ينادي به الحجاب والنقباء بأعلى صوت، ويتكون المجلس من خليط أنواع الناس في الدولة.[20]

ومن عادة السلطان عند خروجه للمهة أو لصلاة العيد أنه كان يخرج مع أفواج من الناس من كل المناصب، وعليهم أعلام وطبول وأبواق وأنفار، وفي يوم العيد يعقد مجلسا خاصا للقاء أهل البلاط، ولتبادل التحايا والتساليم، فيأتي القضاة فالخطباء فالعلماء فالشرفاء فالمشائخ فإخوة السلطان فأقاربه فأصهاره ثم الوزراء فأمراء العساكر ثم شيوخ المماليك فكبار الجنود، ومن عادتهم أنهم كانوا يأتون بالهدايا من دنانير الذهب والفضة، ويقدمونها عند الملك، والملك يأمر بتوزيعها فيما بين المحتاجين والفقراء[21] فكانت هذه الهدايا في رأي الكاتب بمثابة الصدقات النافلة الجماعية.

وبعد هذه الاحتفالية كانوا يبسطون موائد الأكل والشرب الجماعية حسب مراتبهم، وكان هناك سرير ومبخرة لا يخرجان إلا في العيدين، والغلمان والفتيان يصبون ماء الورود والزهور على الضيوف والحاضرين، وتستمر مهرجانات العيد أياما، فيوم للتحايا والهدايا، ويوم للرقص والغناء، ويوم لحفلة زواج عام للأقارب، ويوم لعتق العبيد، ويوم لعتق الجواري، ويوم لتزويج العبيد بالجواري، ويوم للعطاء السلطاني العام، فكان يكثر فيه الصدقات.[22]

ذكر ابن بطوطة ما رآه من أبهة في ترتيب حفلة عودة السلطان من الأسفار، ثم طريقة طعامه الخاص وطعامه العام، فالطعام الخاص هو طعام السلطان مع الأمراء والخواص وأمير حاجب، وأمير مجلس، وبعض المندوبين

الخواص من الأعزة والأمراء، وقد حضر ابن بطوطة بعض مرات طعام السلطان الخاص، فوجد هناك نحو عشرين نفرا.

وأما الطعام العام فكان عبارة عن مأدبة عامة يحضرها البواقي من أهل البلاط من القضاة والفقهاء والوزراء والأمراء والعلماء والخطباء والنقباء والحجاب والمشائخ وأقارب السلطان ثم الأمراء الكبار، وسائر الناس العاملين في البلاط، وكان السلطان نفسه يحضر هذا الطعام دون أن يأكله، والحجاب ينادون بـ"بسم الله" ثم يبدأ الجميع طعامهم أكلا جماعيا.[23]

الكلمات الهندية في رحلة ابن بطوطة:

مكث ابن بطوطة في الهند ثماني سنين متتالية، وتأثر بحضارتها، وأعجب بسلوكيات الهنود، وعلاقاتهم الجيدة فيمابينهم، وكذلك أعجب بالسلطان محمد تغلق شاه، وجوده وكرمه وعطاياه، ومعاملاته، حتى تعدى تأثره بالهند في لغاتها الرائجة الشائعة فيمابينهم وقتئذ. لقد أحصى الدكتور جلال السعيد الحفناوي هذه الكلمات الواردة في رحلته في مقالة نشرتها مجلة ثقافة الهند[24]، وعدد هذه الكلمات حسب عد الحفناوي ما يناهز مائة وستا وعشرين كلمة، ومنها :

ششنغار	شش نكر	المدن الستة
لكًا	لاكهـ	مائة ألف
سموسك/ سمبوسة	سموسه	وهي فطيرة مثلثة الشكل قد تؤكل قبيل الغداء بساعة تقريبا أم عند العصر مع الشأي، وهي من قبيل الفطائر
الجلاب	كلاب (بالجيم المصرية)	الوردة
الأنكور	أنكور (بالجيم المصرية)	العنب
كشري	كهجري (بالكاف الكويتية)	وجبة طعام تصنع من

		الرز والعدس، ولاتكثر فيها البهارات كعادة الهنود في الوجبات الأخرى، وتؤكل عامة في الفطور
دروازه	دروازه	الباب
بد خانه	بت خانه	بيت الأصنام
كليت دار	كليد بردار	حامل المفاتيح، أم ناظر المخازن
فيل	بيل	البقرة
كلاه	كلاه	الطاقية/ القلنسوة
سلحدارية	سلاح دار	المسلح، حامل السلاح
خواتين	جمع خاتون	المرأة/ النساء

الخاتمة:

ما جلست لأكتب تاريخ دلهي، وأحلل الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية للعهد الإسلامي، فإن هذه الدراسة متمحورة حول دلهي في عصر السلطان محمد تغلق شاه، وذلك وفق ما يراه ابن بطوطة، الرحالة العربي المغربي الذي عاش في حاضرة الدولة في صحبة السلطان مدة غير قصيرة من الزمان، ثم سجل ما قد رآه رأي العين، هل كل ما سجله قابل للثقة أم لا؟ هذا سؤال يتمكن من الإجابة عنه من له شغف بتاريخ العهد الأوسط للهند، ويقارن بين كتابات جميع مؤرخي ذلك العصر من ضياء الدين برني والآخرين، ولكنني بعد دراسة ما كتبه ابن بطوطة أستنتج من النتائج كالآتي:

- ابن بطوطة كان رجلا مثقفا وذكيا ولم يكن مجرد رحالة،
- لقد استعرض حياة الشعب الهندي، وأصحاب الحكم الهنود وقتذاك بدقة وعمق،

- كان محمد تغلق شاه رجلا مهتما بأمور الرعية رغم ما له من أبهة وعلو شأن الملوك
- حاول محمد تغلق إثراء الدولة، ومواطنيها بعطاءات لابد منها في المجتمع ولصالح الناس
- كان رجلا كريما وعادلا مع الشعب، وشديد البأس والعقاب للجناة والمجرمين
- ويبدو من عنايته بالعلماء والفقهاء أنه كان ممن يُكِنُّ للعلم والمعرفة والثقافة التقديرَ والاحترامَ، ويسعى للنهوض بها
- ورغم تواضعه وحبه العلم والعلماء، لم يكن بعيدا من الاهتمام بالأبهة الملكية في كثرة الخدم والحاشية كماهي شأن كثير من أهل الحكم إلا الخلفاء الراشدون وبعض من السلاطين الآخرين من العهود الإسلامية.
- والميزتان اللتان تتجليان في حياته هما الكرم مع العناية بالرعية وذلك ما يضمن تعزيز عمود البلاد، وتمتين أسسها بفتح قلوب الشعب، والشيء الثاني هو بطشه لأصحاب الجرائم، وذلك من أهم العناصر لوقاية الجسد المجتمعي انتشار الفساد والسرطان الأخلاقي في كنه البلاد.

---

[1] – ترجمة شعر مير تقي مير، قاله إبان نزوله في مدينة لكناؤ، واستهزأ به أهل لكناؤ على حالته الكئيبة، فقرض هذه الأبيات تحسرا على حاله.

[2]– رحلة ابن بطوطة، بيروت، 1987م ص: 10

[3] – وقد انضمت هذه المنطقة الآن إلى دلهي، فهي جزء عامر منها.

[4] المصدر نفسه، ص: 426.

[5] – المصدر نفسه، 427.

[6] – نفس المصدر، ص: 427.

[7] – رحلة ابن بطوطة، ص: 428.

[8] – المصدر نفسه، ص: 402.

[9] – وقد سلف ذكر هذا الباب.

[10] – المصدر نفسه، ص: 492–493.

[11] – المصدر نفسه، ص: 526.

[12] – جلال سعيد الحفناوي، "ثقافة الهند"، المجلد: 56، العدد: 1، 2005، ص: 37.

[13] – رحلة ابن بطوطة، ص: 430،

[14] – المصدر نفسه، ص: 439–452.

[15] – المصدر نفسه، ص: 453.

[16] – تستخدم كلمة جوان لرجال الجند والعسكر أيضا في المصطلح الهندي اليوم، كماهي رمز الرجولة والشهامة والبطولة والفتوة.

[17] – المصدر نفسه، ص: 447.

[18] – المصدر نفسه، ص: 453.

[19] – المصدر نفسه، ص: 453.

[20] – المصدر نفسه، ص: 452–456.

[21] – المصدر نفسه، ص: 459.

[22] – المصدر السابق، ص: 459–460.

[23]– المصدر نفسه، ص: 461–462.

[24]– أنظر ثقافة الهند، المجلد: 56، العدد: 2، ص: 20–29.

العلاقات الثقافية المصرية الهندية عبر التاريخ

أ.د. أحمد محمد أحمد عبد الرحمن*

{ومن أهم ماتتفق به الحضارتان الهندية والمصرية في اعتقادهما الراسخ في عقيدة التناسخ، فالروح تفارق الجسد عند الممات لتتجسد من جديد في جسم آخر طبقاً لأعماله وأفعاله؛ بمعنى أن الموت وتجدد الحياة عملية متبادلة}

الحقيقة أن الروابط التاريخية بين البلدين تعود جذورها إلى العصور القديمة، وتقف أدلة من التراث الهندي المصري شاهدة على قدم واستمرارية العلاقة بين الشعبين، وذلك تأكيداً لمصالحهما المشتركة وطموحاتهما نحو الحرية والتقدم.

مازال البعض يتصور أن العلاقات المصرية الهندية قد بدأت في الخمسينيات على يد كل من الزعيمين "جمال عبد الناصر" و"جواهر لال نهرو" من خلال حركة عدم الانحياز، ولكن التاريخ يقدم لنا كفايته التي تدل على أن هذه العلاقة قد بدأت وتوثقت قبل ذلك بآلاف السنين منذ أيام الفراعنة.

العصر الفرعوني:

إن التماثل بين الأساطير المصرية والهندية القديمة يجعلنا نؤمن بعمق العلاقة بين الحضارتين. والحقيقة أن الأساطير ليست عبارات مقدسة أو تنزيل سماوى بل إنها صور وحكايات صاغها الإنسان ذاته ليربط بين عالمه الصغير والعالم الكبير أى بين الأرض والسماء، وتأصلت هذه الأساطير في ذهن الإنسان

* أستاذ كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر.

المصري والهندي ومثلت له آمالاً عريضة في المستقبل الذى يتجاوز وجوده المادى والجسدى.

ومن أهم ماتتفق به الحضارتان الهندية والمصرية في اعتقادهما الراسخ في عقيدة التناسخ، فالروح تفارق الجسد عند الممات لتتجسد من جديد في جسم آخر طبقاً لأعماله وأفعاله؛ بمعنى أن الموت وتجدد الحياة عملية متبادلة.

هذا التقارب أو التماثل يعتمد أساساً على ارتباط المجتمعين ارتباطاً وثيقاً بالزراعة، فالبذرة يتم زرعها لتعود من جديد للأرض كما سنرى في أسطورة "أوزوريس" حينما تترعرع من كفنه شجرة تثمر من جديد، وكذلك أسطورة "سيتا" زوجة الإله "رام". مما يجسد بوضوح فكرتى الموت والحياة من جديد، وهكذا تتحول الأسطورة في مصر والهند إلى تعبير بليغ لتاريخ البشر.

والتشابه الثانى ارتبطت الحياة في كل من الهند ومصر بجريان نهر "الجنجا" و"النيل" على التوالى، وازدهرت الحضارة على ضفافها، فلا غرابة إذن أن يضفي أهل البلدين التوقير بل والتقديس على كلا النهرين اللذين يعدان بحق الخلفية التي نسج عليها المصريون والهنود خيوط أساطيرهم.

لقد أدى "الإسكندر الأكبر" دوراً كبيراً في التقاء الحضارات الهندية والمصرية، فكانت مدينة "الإسكندرية" التي بناها "الإسكندر" إحدى نقاط التقاء هذه الحضارات، ومن المؤكد أن أبحاث علماء "الإسكندرية" في الفلك والرياضيات وجدت طريقها بصورة أو بأخرى إلى الهند، فكانت مركزاً ثقافياً وتجارياً مزدهراً يقصدها الكثيرون من كافة أنحاء العالم عبر البحر المتوسط.

وبعد انهيار الإمبراطورية الرومانية انكمش الازدهار التجارى، واستمر هذا الأمر إلى أن جاء الحكم الإسلامى إلى مصر وبالتحديد في عصر الدولة الفاطمية التي كانت تحكم مصر في القرن العاشر الميلادي إذ دلت آثار مدينة "الفسطاط" التي أنشأها "عمرو بن العاص" ببعض الأشكال المعمارية الهندية على مدى التأثير والتأثر بشبه القارة الهندية والبلاد العربية لأن مصر أصبحت جزء من العالم العربى.

لقد استوعبت الحضارتان الهندية والمصرية الكثير والكثير من الثقافات والمفاهيم التي اتضح معناها في التقارب الهائل في العادات والتقاليد، مما أوجد لديهم التصاقاً وثيقاً بالأرض مما كان له الأثر البالغ في تشكيل الشخصية المصرية الهندية اللتين تحملان قدراً كبيراً من السمات المشتركة مثل: الصبر والتسامح ودفء المشاعر والحس الفكاهي.

العصر الإسلامي:

ومنذ تأسيس الدولة الإسلامية في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي بالهند اعترف سلاطين هذه الدولة بسيادة خليفة المسلمين لأن سلطنة "دهلى" كانت من الناحية النظرية امتداداً الخلافة الإسلامية، ومن هنا نجد العملات في زمن حكم المماليك تحمل شعارات ورموز تدل على ولائهم للخليفة، ومن صدف التاريخ تزامن جلوس السلطانة "رضيه" على عرش "دهلى" وجلوس "شجرة الدر" على عرش مصر، ومن هنا ازدهرت العلاقات الهندية العربية لاضطرار عدد كبير من العلماء المسلمين للهجرة إلى الهند عندما تعرضت الإمبراطورية العباسية لغارات التتار في منتصف القرن الثالث عشر الميلادى.

وفي الواقع لم تكن العلاقات بين ملوك "دهلى" وأمراء بعض الدول الإسلامية ومنها بطبيعة الحال مصر علاقات دبلوماسية بقدر ما كانت علاقات ثقافية متجسدة في تبادل الأفكار والمعارف والعلوم التقليدية والعقلية. وبالنظر إلى كتب التاريخ باللغة العربية يتضح مدى اهتمام أهالي الدول العربية بشئون شبه القارة الهندية في أواخر العصور الوسطى.

مما لا شك فيه أن هذه التجربة الفريدة للتفاعل الثقافي في كلا البلدين هي وليدة إطارها الشخصى وظروفها المحلية وبالذات أطرها الثقافية والاجتماعية، على الرغم من أن هذه التحولات الثقافية ارتبطت في الغالب بدوافع سياسية واجتماعية، إلا أن هذا لم يشكل انقطاعاً في المكونات الأساسية للشخصية الوطنية في كلا البلدين، وطوال تاريخ البلدين نجد العنصر الثقافي ليس فقط عاملاً فعّالاً في صياغة

القوانين الحاكمة في المجتمع وفي تحديد شكل العلاقات الاجتماعية والسياسية، بل أنه أصبح عامل تجميع قومى ضد العدوان الخارجى، ولم يستطع الاستعمار أن يغفل عمق هذا التراث فالثورة الهندية عام (1857م) في النضال ضد الاستعمار الإنجليزى كانت نقطة تحول في تاريخ العمل الوطنى، وهذا هو ما حدث في الثورة العرابية عام (1879م) في تاريخ النضال المصري.

العصر الحديث:

أما على صعيد العلاقات المصرية الهندية في العصر الحديث فنجدها أعمق بكثير مما كانت عليه في السابق عندما نكبتا الدولتان بالاستعمار الأجنبى، فقد كان للحركة الوطنية في الهند علاقات قوية مع مصر منذ البداية، ويذكر الجميع القصيدة التي نظمها أمير الشعراء "أحمد شوقي" عن "المهاتما غاندى" أحد دعائم المجتمع الهندي، والتي حظيت أفكاره وآرائه بالقبول داخل الهند وخارجها يصف فيها "غاندى" عندما توقف في طريقه إلى إنجلترا لحضور مؤتمر "المائدة المستديرة" بقوله:

بني مصرَ، ارفعوا الغار وحيُّوا بطلَ الهندِ
وأدُّوا واجباً، واقضوا حقوقَ العلمِ الفرد
أخوكم في المقاساةِ وعركِ الموقفِ النكدِ
وفي التَّضْحِيةِ الكبرى وفي المَطلبِ، والجُهد
وفي الجرح، وفي الدمع وفي النَّفْي من المهدِ
وفي الرحلة للحقِّ وفي مرحَلةِ الوفد
قِفوا حيُّوه من قرْبٍ على الفلْكِ، ومن بُعد
وغَطُّوا البَرَّ بالآس وغَطُّوا البحرَ بالورد
على إفريزِ راجبوتا نَ تمثالٌ من المجد
نبيٌّ مثلُ كونفشيو س ، أو من ذلك العهد
قريبُ القوْلِ والفعلِ من المنتظَرِ المهدي

شبيه الرسْل في الذَّوْدِ عن الحقِّ ، وفي الزهد
لقد عَلَّم بالحقِّ وبالصبر ، وبالقصد
ونادي المشرقَ الأقصى فلبَّاه من اللحد
وجاءَ الأَنفسَ المرْضَى فداوَاها من الحِقد
دعا الهندوسَ والإسلا م للألفةِ والوردِّ
بسحرٍ من قوى الروحِ حَوَى السَّيْفَيْنِ في غِمد
وسلطانٍ من النفسِ يُقوِّي رائِض الأُسْدِ
وتوفيقٍ منَ الله وتيسيرٍ من السَّعد
وحظٍّ ليس يُعطاهُ سِوَى المخلوقِ للخلدِ
ولا يُؤخَذ بالحَوْل ولا الصَّولِ ، ولا الجند
ولا بالنسل والمالِ ولا بالكدحِ والكدِّ
ولكن هِبةُ المولى تعالى الله – للعبد
سلامُ النيل يا غنْدِي وهذا الزهرُ من عندي
وإجلالٌ من الأهرا مِ، والكرْنكِ، والبَرْدِي
ومن مشيخةِ الوادي ومن أشباله المردِ
سلامٌ حالِبَ الشَّاةِ سلامٌ غازلَ البردِ
ومن صدَّ عن الملح ولم يقبل على الشُّهد
ومَنْ يَرْكبُ ساقيْه من الهندِ إلى السِّندِ
سلامٌ كلَّما صلَّي تَ عرياناً ، وفي اللِّبد
وفي زاويةِ السجن وفي سلسلةِ القيدِ
من المائدةِ الخضرا ءِ خُذْ حِذْرَكَ يا غنْدِي
ولاحظْ وَرَقَ السِّيرِ وما في ورق اللوردِ
وكنْ أَبرَعَ مَن يَلعَـ بُ بالشَّطْرَنْجِ والنَّرْد
ولاقي العبقريِّينَ لِقاءَ النِّدِّ للنِّدّ

وقل: هاتوا أفاعيكم أتى الحاوي من الهند!
وعُدْ لم تحفِل الذَّامَ ولم تغترَّ بالحمد
فهذا النجمُ لا ترقى إليه هِمَّةُ النقدِ
وردَّ الهندَ للأم ـةِ من حدٍّ إلى حَدِّ

ومع نهاية القرن التاسع عشر ظهر أول وصف لـ "القاهرة" على أيدى أحد علماء شبه القارة الهندية "شبلى النعمانى" يصف رحلته إلى الشام ومصر، وقد تأثر في ذلك بـ "جمال الدين الأفغانى" هو وبعض معاصريه من أبناء شبه القارة الهندية، وأسسوا جمعية "ندوة العلماء" فكانت تنهج نهجاً وسطاً بين بقية المؤسسات الدينية المتشددة، وقد أدت عملاً رائداً تمثل في إقامة علاقات متصلة مع جماعة التنوير بقيادة الشيخ "محمد عبده" والشيخ "رشيد رضا" من بعده، وقد تأثر "مولانا أبو الكلام آزاد" وغيره من الشخصيات البارزة بهذه المجموعة، والحقيقة أن "مولانا أبو الكلام آزاد" يعد من المفكرين الكبار حيث حاول من خلال كتاباته عن الدين تحرير الفكر الإسلامى في الهند من الأفكار التقليدية التي هي أقرب إلى الأساطير من الحقيقة.

ولا ننسى "إقبال" الشاعر الكبير عندما زار "القاهرة"عام 1931م وأراد أن ينشر فلسفته بين العرب، كما أنه المفكر الإسلامى الوحيد من غير العرب الذى نال مكانة وشهرة واسعة في مصر، وتسابق كبار الأدباء والكُتاب على دراسته دراسة علمية دقيقة أهمهم الدكتور "طه حسين" و"العقاد" والدكتور "عبدالوهاب عزام".

وقد احتوى شعر "إقبال" على العديد من الإشارات حول مصر والشخصيات المصرية، فنجد له قصيدة معروفة يصف فيها أبو الهول وأهرامات مصر.:

إن الطبيعة لم تخلق في رحاب الصحراء الصامتة إلا كثباناً من الرمال
ولكن الأهرام الشامخة تحنو أمام رفعتها الأفلاك
فمن الذي رسم هنا هذه الصورة الخالدة؟
فاجعل الفن متحرراً من الخضوع أمام الطبيعة

يا هل تُرى الفنان صائداً أم فريسة؟

ورسالة إقبال هنا من خلال ترجمة هذه الأبيات هي: أن الإنسان أجل وأكرم من الطبيعة، ولأجل هذا سخرها الله له لكي يغلبها بفنه وذكائه كما فعل بُناة الأهرام.

لقد كان لحزب الوفد المصري علاقات قوية بحزب المؤتمر الهندي إلى أن وصلت إلى ذروتها في عهد الرئيس "جمال عبد الناصر" و"جواهر لال نهرو" وتبنيهما لسياسة عدم الانحياز، وعلاقاتنا مع الهند في الوقت الحاضر أكبر من مجرد علاقات بين دولتين تدعمان الاستقلال وعدم الانحياز وتربطهما صلات ثقافية وطيدة.

لقد حظي جواهر لال نهرو قائد الحركة الوطنية ورئيس وزراء الهند الأول بعد الاستقلال من نيران الاستعمار البريطاني باحترام الشعراء المصريين وتقديرهم، فها هو الشاعر المصري عبد اللطيف النشار يعبّر عن مشاعره قائلا:

معرض من معارض الله في الهند به لوحة تسمى بنهرو
رسم الله صورة العصر فيها فهي عقل بوحى وحب وصبر
رجل العقل والمحبّة والصبر رفعت اللواء من بعد غاندي

والجدير بالذكر أن الكاتب الكبير مرسي سعد الدين، وهو شاهد على تطور العلاقات بين مصر والهند في العصر الحديث يذكرنا بإحدى مواقف الهند في إحدى القضايا الثقافية بقوله:

"....وأذكر مدي التعاون الذي تم بين مصر والهند في نطاق التعليم وذلك التعاون له قصة، فبعد الاعتداء الثلاثي علي مصر قطعت العلاقات بين مصر وبريطانيا ووجدنا أنفسنا في أزمة مرتبطة بتدريس اللغة الإنجليزية. كانت الكتب المقررة في المدارس تأتي من بريطانيا ومن دار نشر لونجمان جرين بالذات وطبعا توقف استيراد تلك الكتب. وكنت في ذلك الوقت في لجنة الكتب التابعة لوزارة التعليم، وكنت أعرف أن لونجمان لهم فرع في الهند باسم أورينت لونجمان، وقد

ساعدتني سفارة الهند في الاتصال بالشركة، وعرفت أن جميع الكتب المقررة موجودة عندهم، وكانت هناك معاهدة دفع بين مصر والهند تتعامل بما يسمي الدولار أو الجنيه الاسترليني الحسابي، وهذا يعني أننا لم نكن ملزمين بالدفع بالاسترليني بل بالمحاسبة. وحين تم توقيع الاتفاق الذي حل لنا المشكلة دعاني المجلس الهندي للعلاقات الثقافية لزيارة الهند ومشاهدة الكتب، وكانت تلك أول زيارة لي للهند ".

وتأكيدا لما قاله الأستاذ مرسي سعد الدين نجد أن البلدان يوليان اهتماماً كبيراً بتنمية وتعزيز المجال الثقافي والأكاديمي، خاصة بعد افتتاح مركز مولانا آزاد الثقافي في قلب العاصمة المصرية القاهرة. أُقيم المركز الثقافي الهندي "مولانا أبو الكلام أزاد" في القاهرة عام 1992، من أجل توسيع نطاق عرض الثقافة الهندية في مصر، ومنذ إنشائه، حظي المركز بصيت رفيع في الدوائر الثقافية والفكرية في مصر، ويضم المركز مكتبة ثرية، بها ما يزيد على 5000 مجلد، يستخدمها المترددون على المكتبة من مصريين وهنود على نحو واسع النطاق، كما ينظم المركز دورات لتعليم اليوجا، وعروضاً سينمائية، ودورات لتعليم اللغة الهندية والأردية، وفنون المطبخ الهندي.

ويُعد المركز الثقافي حجر الزاوية لتنفيذ برنامج التبادل الثقافي بين البلدين الذي يعود إطلاقه إلى عام 1958 ولا يزال سارياً حتى اليوم.

هناك برنامج تنفيذي للتعاون الثقافي بين مصر والهند، يقدم الجانب المصري من خلاله 6 منح للدراسات العليا، و20 منحة لجمع المادة العلمية، بينما يقدم الجانب الهندي 27 منحة للدراسات العليا، كما يتم تبادل 4 الي 6 أستاذة جامعيين لمدة أسبوعين، أستاذان من جامعة الأزهر وجامعة القاهرة والجامعات الهندية المناظرة المتخصصة في اللغة العربية والعلوم الإسلامية والعلوم لمدة 3 شهور.

والحقيقة أن البعد الثقافي بين البلدين هو الذي أدى إلى إقامة الروابط الأولى للصداقة الهندية المصرية في العصر الحديث، كما دعم العلاقات السياسية

والاقتصادية وجعلهما تجربة أبعد ما تكون عن الاستغلال والبحث عن المغانم هدفهما في المقام الأول والأخير هو مصلحة كل الأطراف وحقوق الشعوب في التحرر والسلام والرفاهية.

ولعل الظروف المتشابهة التي عاشها الشعبان جعلت الجانب الثقافي هو أبرز هذه الروابط وذلك لأن الثقافتين تمثلان خليطاً نابضاً بالحياة من خيوط ثقافية متعددة تستوعب الأفضل من كل الثقافات، فنجد الامتزاج الرائع ممثلاً للثقافة الهندية والإسلامية والحديثة، وقد ساعد هذا التفاعل الشعب الهندي على استمرارية واستيعاب هذه الثقافات، ومن هنا نرى أن هذا هو سبب هدوء العقيدة الدينية عند الإنسان الهندي وخلوها من التعصب.

وانطلاقاً من نفس المنظور كان للشعب المصري بفعل تاريخه وبفعل حضارته القديمة شخصيته المتميزة التي عاشت معه عبر عهوده السياسية المختلفة– الفرعونية– المسيحية– الإسلامية والحديثة، ومن هذه اللمحة السريعة نجد أن في كلتا الثقافتين المصرية والهندية ما يسهم في تطور جانب من جوانب الحياة المعاصرة للمجتمعات البشرية قبل التطور المادى والتكنولوجى، مما جعلهم محط أنظار المفكرين الأوربيين لكشف النقاب عن كنوز الشرق من المادية والمعنوية.

ونظراً للتماثل الشديد في طبيعة المشاكل التي تواجهها البلدان، فمن الطبيعى ان يمتد هذا التعاون إلى المجالات الثقافية والفنية، إذ جرى اتفاق بين مسئولي البلدين لإنشاء مركز متخصص للدراسات المصرية في الجامعات الهندية، ومركز آخر متخصص في الدراسات الهندية بالجامعات المصرية.

وبالفعل قامت الجامعات المصرية بإنشاء شعبة للغة الأردية، وهي إحدى لغات الهند، كما أن جامعة عين شمس أدخلت الخط الديوناجري عام 2014م في قسم اللغات الشرقية، كما أن الحكومة الهندية الحالية بصدد تأسيس كرسي للدراسات الهندية بإحدى الجامعات المصرية بحيث يكون التخصص طبقا لما تحتاجه الجامعات المصرية من التخصصات التي تتميز بها الهند في الوقت الحالي.، وهو

أمر في غاية الأهمية من الجانب الهندي لتعزيز التعاون العلمي والثقافي بين البلدين.

بلا شك فإن هناك نغمة لا يستطيع أن ينكرها أحد في التقارب الثقافي والمزاجى للمواطن المصري والهندي، وليس أدل على ذلك من أن الأفلام والموسيقى الهندية تجد قاعدة واسعة من المعجبين بها في مصر، حتى أن المواطن المصري يكاد يعرف أسماء كبار الفنانين والموسيقيين والكتاب الهنود مثلما يعرف أقرانهم المصريين.

نحن شعبان يجمعهما الحب قبل أحداث التاريخ وتوحدهما المودة قبل المصالح، ويمكننا أن نلمس هذا عن قرب من خلال الكم الكبير من الاتفاقيات العلمية والثقافية بين الحكومتين.

تلك هي الأحاسيس التي لمستها خلال فترة دراستي ومشاهداتي بالهند لطبيعة العلاقات المصرية الهندية التي هي انطلاقة رائدة وغير محدودة لقافلة التعاون والتنمية من أجل مزيد من الازدهار في علاقات الصداقة القديمة بين مصر والهند.

شاعر الشعب الهندي "تاغارجون"

د. محمد أيوب الصديقي*

{إن القارئ لكتابات وقصائد "تاغارجون" وحياته الممتدة على 87 عاما، والمتتابع لأحواله وأوضاعه الإجتماعية والثقافية، سيجد تسلية للقلب وغذاء للعقل و للفكر و حرارة في الإيمان، و يقينا في العقيدة بأن الإنسانية والأخوة هي أقوي رسالة في العالم، و ينبغي أن تحتل هذه الرسالة في المرتبة الأولى في حياة كل شخص. هذه هي الفكرة التى جعلته ممثل الشعب، وهو جدير حق الجدارة بأن يسمى شاعر الشعب الهندي}.

إن أرض الهند مهد لإحدى الحضارات العالمية الموغلة في القدم وهي تركت بصمات لا تمحى على سماء الدنيا بمعطياتها القيمة الثمينة في شتى العصور ولا تزال تساهم في تطوير العلوم والثقافة في هذا العالم بأسره، وهي كذلك خصبة في إنتاج الشعراء والأدباء والفلاسفة والفنانين منذ قديم الزمان. إنها لاتزال تربي وتغذي الشعراء في شتى مراحل العصور في مختلف بقاع الهند الذين ساهموا مساهمة ملموسة في إنهاض الشعب الهندي في اللغات المختلفة من الأردية والهندية والبنغالية ولغة تلغو وماليالم وكنارا وماراتا والبنجابية والإنكليزية وغيرها من اللغات المتداولة المنطوقة في أرجاء الهند. إلا أن "اللغة الهندية" لها تأثير كبير على

أستاذ مساعد ، قسم الدراسات العربية، جامعة اللغة الإنكليزية واللغات الأجنبية، حيدرآباد (الهند)

المجتمع الهندي لكونها لغة يفهمها معظم سكان شمال الهند وعدد كبير من سكان جنوب الهند، أما ما عدا "اللغة الهندية" فعدد العارفين للغات الأخرى ومستخدميها لا يتجاوز موطني منطقة معينة. إن "اللغة الهندية" أنجبت عددا ملحوظا من الشعراء الكبار الذين لهم فضل كبير في تقديم المجتمع ودفعه إلى الأمام، والذي يأتي في مقدمتهم الشاعر المعروف "كبير" و"رام دهاري سينغ دينكر" و"هري فنش راي باتشن" و"نرالا"، والحلقة النفيسة لهذه السلسة الذهبية هو شاعرنا الشهير النابغ "ويديا نات ميشرا" المعروف بـ "ناغارجون". ولا يخفي على أحد ما قام به الشعراء الهنود من الإنتاجات الفكرية الحماسية والنضالية لتحرير البلاد من براثن الإنكليز الإستعمارية. و الفضل فيه يعود خاصة إلى شعراء شمال الهند.

مولده و نشأته

ولد الشاعر الكبير "ويديا نات ميشرا" المعروف بـ "ناغارجون" في أسرة برهمنية بقرية "سات لاكا" في مدينة "مادوباني"، "بيهار" الواقعة بشمال الهند في اليوم الثلاثين من شهر يونيو عام 1911م[1]. فقد أمه وهو في الثالثة من عمره. وكان والده "غوكل ميشرا" لا يهتم بعنايته وتربيته، فأصبح مضطرا إلى أن يلجأ إلى الأقارب وأهالي القرية المخلصين الذين مدوا إليه يد العون والمساعدة بين حين وآخر ماليا وخلقيا. ولأقاربه منة عليه في تهذيبه وتثقيفه وتحليه بحلى التعليم والأخلاق الفاضلة.

كان الشاعر ولد على الذكاء والفطانة، فحصل على العلوم الابتدائية في مدرسة قريته، تبلورت فيها موهبته ومقدرته العلمية وتفوقه على أقرانه، ثم نال المنحة التى مهدت له السبيل للسفر إلى خارج المدينة التى كان يقطنها، فشد الرحال إلى"بنارس" و"كلكتا" للأخذ والاكتساب من أساتذة تلك الديار. فتعلم هناك اللغات الهندية القديمة من "سنسكرتية" و"بالي" و"براكيرتي" وغيرها من اللغات بجانب الحضارة الهندية القديمة التي كانت الهند تتمتع بها، وعليها يقوم بنيان الحضارة الهندية الحديثة.

في سبيل حصول العلم والتحلي بالروحانية

بعد أن أكمل الوهلة الأولى للتعليم، اتجه الشاعر إلى مدينة "سهارن فور" حيث عين أستاذا. وفي هذه الأثناء، تزوج من فتاة محترمة صابرة "آبارجيتا" ورزق منها خمسة أولاد. كانت الحياة سائرة على النمط العادي، لا يحدث فيها شيئ جديد، هذا ما أقلق الشاعر وحفز ضميره بأن يترك هذه الحياة الرغيدة الهادئة وأن يواجه طوفانا لا بد أن يزلزل الحياة ويجيئ بتغييرات ملموسة هادفة ويجيب الأسئلة التي لا تزال تجول في خاطره ولا يلجأ للفرار. كانت هذه الأسئلة أسئلة الحكمة والروحانية وفلسفة الحياة بحثا عن إجابات هذه الأسئلة المحيرة، سافر إلى "سرنديب" لينهل من منهل البوذية العذب و يغرف منه ما يشاء من تعاليم بوذا وحكمه والكتب البوذية المقدسة والمخطوطات النادرة.

بعد وصوله إلى سرنديب، آمن الشاعر "البوذية" وتبرأ من ديانة آبائه "الهندوسية". ربما ذلك لأجل كسب الفوائد العلمية، لأن كونه بوذيا يتيح له فرصة أكثر للحصول على المواد العلمية، ولا يستبعد أنه تأثر بالديانة البوذية، فأصبح بوذيا. في عام 1935م أصبح الشاعر ناسكا بوذيا، ومن هنا غير اسمه من "ويديا نات ميشرا" إلى "ناغارجون". ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد أن وجد قبله ثلاث شخصيات بإسم "ناغارجون" وكلهم كانوا نبغاء في مجالاتهم، وواحد منهم كان فيلسوفا بوذيا شهيرا "ناغارجونا". وكان الشاعر معجبا به كثيرا، لذلك سمى نفسه بإسمه.

تعرف الشاعر هناك على شخصيات عديدة من الأساتذة الكبار وهم "راهول سانكريتيان" والمؤرخ الشهير "كاشي براشاد" وكاتب القصة المعروف " مونشي بريم تشاند" وغيرهم من الشخصيات العلمية والفكرية. وكان الشاعر معروفا بينهم لعلمه الغزير وفكرته السائدة وكتابته المبدعة ومن حيث الباحث المتحمس للعلوم والأفكار في معبد "كيلانيا" البوذية تعرف على نظرية الاجتماعية العلمية على لسان الثوار

الذين كانوا ينتمون إلى مدينة "كولكاتا"، وكانوا قد لجأوا إلى المعبد فرارا من الإنكليز الاستعماريين وخوفا من القبض عليهم.

عاش الشاعر في المعبد ثلاث سنوات متتالية ناسكا بوذيا، وقرأ كتابات وأفكار "كارل ماركس" و"لينن" و"استالين" وغيرهم من المفكرين الذين كانت لهم علاقة بالجماعة اليسارية. وكانت هذه الفترة أكثر حاسم في حياة الشاعر حيث أن فكره تجاه الإنسان البائس التعس يأخذ قالبا جديدا في ظل تعليمات ماركس ولينن وبدأ يهيئ نفسه لخدمة طبقة البائسين والفقراء من المجتمع[2]. ففي عام 1938م غادر الشاعر سرنديب وعاد إلى الهند حاملا معه فكرا جديدا وتجربة لا تنسى، وشارك في "المدرسة الصيفية للعلوم السياسية" التي نظمه قائد الفلاحين المعروف "سوامي شاهاجا نند" من حزب "كيسان سابا". لقد جمعت هذه المدرسة كثيرا من العقلاء والمفكرين والاشتراكيين وأعضاء حزب المؤتمر الذين ألقوا محاضرات حول موضوعات مختلفة أحاطت بمعظم جوانب السياسة نظريا وتطبيقيا. بعد شهر كامل من التفاعلات والمحادثات والنقاش في تلك المدرسة، تم إرسال الشاعر إلى مدينة "فيتيا" لأن ينضم إلى جماعة الفلاحين في كفاحهم و نضالهم ضد الأمراء الغاشمين. وكانت هذه بداية قدومه في السياسة العملية.

إن حياة الشاعر السياسية العملية وتحولاته في أفكاره ونظرياته، وتحوله من حزب إلى حزب دليل ناصع على كونه متمسكا بمبادئه وفكرته الأصيلة وهو وقوفه بجانب طبقة الفقراء المضطهدين. إنه بذل قصارى جهوده لاسترداد الحقوق المسلوبة من هذه الطبقة البائسة. انضم الشاعر إلى عدد من الأحزاب السياسية والثورية من الحزب الماركسي وحزب المؤتمر. وحاكى في ذلك أستاذه السياسي السيد "راهول"، وساهم مساهمة كبيرة في حركة "جي بي ناراين" الشهيرة عام 1975-1977، وكان الحزب الأخير الذي انتمى إليه هو الحزب الاشتراكي الهندي" ولكن بعد أن ترك الثوار النضال السلاحي وانضموا إلى صف الحكومة في قضية "تيلانغانا"، ودع الشاعر السياسة العملية الوداع الأخير.

إن السياسة كانت جارية وسارية في عروقه ودمه، فهذه الآثار كانت باقية إلى أن لفظ أنفاسه الأخيرة. إنه كان كاتبا ثائرا، فمن المستحيل أن ينفصل هذا العنصر عن حياته و كتاباته، وهذا هو جره مرة أخرى إلى الثورة ضد الحكومة، وهي ثورة الفلاحين في "بنغال" المعروفة بـ "بثورة ناكسل" وكان هو لذلك متحمسا جدا حتى إنه قرض كثيرا من الشعر لتشجيعهم و ما ستأتي هذه الثورة بفوائد جمة لطبقة البائسين والفلاحين والفقراء. شارك الشاعر في كثير من الحركات لإيقاظ الشعب قبل وبعد استقلال الهند، لقد سجن ما بين 1939–1942 م من قبل الحكومة البريطانية في جريمة تظاهر الفلاحين في ولاية "بيهار"[3]. لم تكن تجربته بعد الاستقلال مع القائدين سارة، وهو لم يكن فرحا على ما كان يسير عليها القائدين وأصحاب الأمور، فظهرت هذه التجربة المريرة في كتاباته و أشعاره. وفي الأخير قضى شوط سفره وطوى بساط حياته في اليوم الخامس من شهر نوفمبر عام 1998 في مدينة "داربانجا" بولاية "بيهار"، الهند.

مسيرته العلمية التأليفية

بدأ الشاعر حياته الكتابية بقرض الشعر في لغة "مايثيلية"[4] بلقب "ياتري" أي المسافر في بداية عام 1930 م. و بدأ يكتب الشعر في "اللغة الهندية" ابتداء من منتصف 1930م. من الجدير بالملاحظة في هذا الصدد بأن معظم إسهاماته كانت في "اللغة الهندية" مع أنه بدأ حياته التأليفية باللغة المايثيلية، وبالإضافة إلى أعماله الشعرية في هاتين اللغتين له رواية في اللغة البنغالية إلى جانب مقدار لا بأس به من الشعر في اللغة البنغالية. وإن أكبر قسط منه يحدثنا عن الطبقة الوسطى التي عاشت في حكومة حزب المؤتمر في حالة بؤس ويأس والفلاحين والعمال والمضطهدين ، و كتاباته متأثرة بالفكر اليساري الماركسي لإيمانه بأن هذا هو السبيل الذي يمكن أن يمهد الطريق للطبقات الضعيفة مثل الفلاحين للتخلص من ظلم وجبروت النظام الذي يديرهم. فكان شعره سلاحا قاطعا للنظام السائد الذي انتقد بها الحكومة بين حين وآخر في أمور شتى.

لقد دبج قلم "ناغارجون" كثيرا من الروايات في الهندية والميثالية والبنغالية. إنه ركز اهتمامه في رواياته على الجانب الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وكانت الشخصيات التي أتى بها لم تكن شخصيات أسطورية بل أنما هي مأخوذة من الجمهور وعامة الناس ، وهي التي مكنته من أن يبين من خلالها المجتمع المعاصر وأوضاعه الراهنة . من أشهر رواياته في الهندية هي "عمة راتي ناث(रतिनाथ की चाची)"، و"بلتشانما (बलचनमा)، و"الجيل الجديد (नयी पौध)"، و"بابا باتيسر نات (बाबा बटेसरनाथ)"، ومكافح الآلام (दुखमोचन)"، و"أبناء فارون (वरुण के बेटे)"، و"أوغور تارا (उग्रतारा)"، و "القمر و النجوم في السماء (आसमान में चाँद तारे)، و"بارو (पारो) وغيرها من الروايات التي حظيت بقبول واسع في الأوساط المثقفة وعند عامة الناس على حد سواء. وروايته في اللغة الميثالية هي " عيد اليوبيل الماسي (हीरक जयंती)، والرواية في البنغالية " أنا فرس الجندي القديم (मैं मिलिट्री का पुराना घोड़ा)"[5]. ولم يغفل ناغارجون الصبيان في هذا الصدد، بل إنه كتب مجموعات قصصية للأطفال، منها "قصص مانجري في جزأين (कथा मंजरी)" و"كرامة بورسوتم (मर्यादा पुरुषोत्तम) و غيرها من المجموعات القصصية.

مساهمته في الشعر الهندي

ذاع صيت ناغارجون في عموم شرقي الهند وغربيها لكونه يمثل الشعب الهندي قاطبة من الأمراء والرواد إلى الفقراء والمساكين البائسين. فكان ناغارجون هو الشاعر الأول بعد الشاعر الكبير "تولسي داس" الذي له جولة وصولة في جميع طبقات الشعب. وذلك لتناوله موضوعات مختلفة في شعره في أسلوب تتجذب إليه القلوب وتندفع منه حرارة الحياة، وتدب فيه أمل الصبح القادم السار. إن الشاعر قد تناول شتى أصناف الشعر من الشعر الطبيعي والسياسي والإجتماعي والهزلي وغيرها من الأصناف، إلا أن لشعره السياسي الثوري جلبة وغلبة في مجموعاته.

شاعر الشعب الهندي "ناغارجون"

في بداية الأمر كان الشاعر يكتب للجرائد و المجلات، إلا أن مجموعته الشعرية الأولى"يوغ دارا(युगधारा)" صدرت عام 1952م وبعدها صدرت مجموعات عديدة بين حين و آخر. ومن مجموعاته الشعرية الأخرى "في حقلي" (अपने खेत में)، و"أسماك البركة" (तालाब की मछलियां)"، و"فتاة ذات ألف يد (हजार-हजार आखिर बाहों वाली)"، و"قلتَ (तुमने कहा था)"، و"ماذا قلت الذي سبب غضبك (ऐसा क्या कह दिया मैंने भूल जाओ पुराने सपने)"، و" إنس الأحلام قديمة (इस गुबार की छाया में)"، وغيرها من المجموعات الشعرية. في ظل هذا الغبار

لقد تناول الشاعر موضوعات شتى في شعره من انتقاد على الأمراء وأعيان البلدة، وإلى تصوير المجتمع تصويرا صادقا، ووصف الطبيعة وصفا دقيقا، والتمسخر بالتقاليد البالية، حتى إلى إطلاق النداء للقضاء على المستبدين والظالمين من الطبقة البورجوازية. يتحدث الشاعر في قصيدته الشهيرة "رأيت السحاب تغيم على السماء (बादल को घिरते देखा है)" عن سفر الإنسان في عالمنا هذا في أسلوبه المعروف، والتي مطلعها:

शिखरों पर, अमल धवल गिरि के
बादल को घिरते देखा है।
छोटे-छोटे मोती जैसे
उसके शीतल तुहिन कणों को,
मानसरोवर के उन स्वर्णिम
कमलों पर गिरते देखा है,
बादल को घिरते देखा है।

"على قمم الجبال الشامخة البيضاء
رأيت السحب تغيم في السماء.
رأيت ذرات الثلج الدقيقة الباردة
مثل اللآلي الصغيرة
تسقط على زهرة اللوتس الذهبية الواقعة

في بحيرة "مان ساروفر"
رأيت السحب تغيم في السماء".

وفي إحدى قصائده هو صوّب سهام النقد اللاذع إلي رئيس الوزراء حينذاك السيدة "انديرا غاندي[6]" لترحيبها المفرط الذي أبدتها عندما قامت ملكة بريطانيا "إليزابيث" بزيارة الهند. لم ينل هذا الترحيب الحار المفرط القبول والإعجاب من الشاعر، فأعرب الشاعر عن عدم رضاه عن طريق شعره اللاذع .

"यह तो नयी-नयी दिल्ली है, दिल में इसे उतार लो
एक बात कह दूँ मलका, थोडी-सी लाज उधार लो
बापू को मत छेडो, अपने पुरखों से उपहार लो
जय ब्रिटेन की जय हो इस कलिकाल की!
आओ रानी, हम ढोयेंगे पालकी!
रफ़ू करेंगे फटे-पुराने जाल की
यही हुई है राय जवाहरलाल की
आओ रानी, हम ढोयेंगे पालकी!"

"هذه دلهي الجديدة ، افهمي جيدا،
يا أيتها الملكة! هل أقول لك شيئا، إقترضي قليلا من الحياء
لا تضايقي "أبو الأمة "(المهاتما غاندي[7])، خذي النصيحة من آباءك
لتحيى بريطانيا وليحيى هذا العمل.
تعالي أيتها الملكة، نحمل محفتك على عواتقنا
سنرقع الشبكة العتيقة الخرقة
هذا هو رأي "جواهر لال[8]"
تعالي أيتها الملكة، نحمل محفتك على عواتقنا".

بالإضافة إلى القصائد حول المجتمع والسياسة والطبيعية، إنه قرض عددا من القصائد حول الشخصيات الكبيرة مثل "المهاتما غاندي" و"لينن" و"ويديا باتي" و"كالي داس" و"راما" و"استالين" وغيرهم من الشخصيات المعروفة من ذوي السمعة

العالمية. يعرف الشاعر أيضا لتجاربه الجديدة في عالم الشعر ومن تجاربه التي قام بها في الموضوعات الشعرية نظم الشعر حول وصف الخنزير الأنثى، وأسمى هذه القصيدة "صاحبة الأسنان الجميلة" وكذلك قصيدته في مدح فاكهة "الجاكية" الناضجة. أكثر قصائده من نوع الشعر الحر الذي رآه مناسبا للتعبير عما يجول في خاطره، وأجاد في استخدامه في غالب الأحيان. إن الكلمات السنكسرتية تتغلب على قصائده.

وفيما يتعلق بلغة الشاعر وأسلوبه، فإنه لم يتخذ لغة وأسلوبا واحدا في جميع قصائده، بل كان متباينا في استخدام الألفاظ حسب موضوع القصيدة، تارة يلجأ إلى ألفاظ صعبة متكلفة، ومرة أخرى كانت لغته سهلة جدا للغاية يفهمها البسط المثقف. إلا أن معظم قصائده مع كونها مملوءة بالكلمات السنسكرتية كانت سهلة الفهم، لها رنة على السمع، ووقع في القلب. وهذا كان سر قبوله لدى عامة الناس وإعجابهم به. لقد قرأوه ونقلوه و استشهدوا به في المجالات الأدبية والاجتماعية والفلسفية. إن أسلوبه في كثيرمن شعره هزلي، ينتقد تقاليد ورسوم المجمتع البالية التي لا تضيف إلى المجتمع إلا الفساد والضيم.

إن القارئ لكتابات وقصائد "ناغارجون" وحياته الممتدة على 87 عاما، والمتتابع لأحواله وأوضاعه الاجتماعية والثقافية، سيجد تسلية للقلب وغذاء للعقل وللفكر وحرارة في الإيمان، ويقينا في العقيدة بأن الإنسانية والأخوة هي أقوي رسالة في العالم، و ينبغي أن تحتل هذه الرسالة في المرتبة الأولى في حياة كل شخص. هذه هي الفكرة التى جعلته ممثل الشعب، وهو جدير حق الجدارة بأن يسمى شاعر الشعب الهندي.

الهوامش:

[1]नागार्जुन रचनावाली 1, शोभाकांत, राजकमल प्रकाशन, नई दिल्ली,पहलासंस्करण,2003.पृष्ठ 5.

[2] Indian Poetry in English: Roots and Blossoms, Part 1, SK Paul & Amar Nath Prasad, Publisher: Sarup& Sons, New Delhi, First Edition, Page No. 229.

[3] Indian Poetry in English: Roots and Blossoms, Part 1, SK Paul & Amar Nath Prasad, Publisher: Sarup& Sons, New Delhi, First Edition, Page No. 229.

[4]اللغة المايثيلية (Maithili) يتحدث بها سكان إقليم مايثيلا في نيبال وإقليم مايثيلا في الهند. ويقطن المتحدثون بها الأصليون في جنوب شرقي نيبال وبيهار. وهي ثاني أكثر اللغات انتشارًا في نيبال.

[5]नागार्जुन का उपन्यास साहित्य समसामयिक सन्दर्भ सुरेन्द्र कुमार यादव ,वाणी प्रकाशन नई दिल्ली, पृष्ठ.200.

[6]سياسية هندية،شغلت منصب رئيس وزراء الهند لثلاث فترات متتالية (1966-1977) والفترة الرابعة (1980-1984).

[7] شخصة هندية معروفة لمبدأ اللاعنف في حرب الاستقلال .

[8] أول رئيس وزاء الهند بعد الاستقلال، مؤلف عدد من الكتب، منها إكتشاف الهند.

المصادر و المراجع

1. नागार्जुन की कवित, अजय तिवारी,वाणी प्रकाशन नई दिल्ली.

2.नागार्जुन का उपन्यास साहित्य समसामयिक सन्दर्भ,सुरेन्द्र कुमार यादव, वाणी प्रकाशन नई दिल्ली.

3.नागार्जुन रचनावाली 1, शोभाकांत, राजकमल प्रकाशन, नई दिल्ली, पहला संस्करण,2003.

4. नागार्जुन का उपन्यास साहित्य समसामयिक सन्दर्भ, डॉ. सुरेंदर कुमार यादव, वाणी प्रकाशन नई दिल्ली.

5. प्रतिनिधि कविताएँः नागार्जुन, नामवर सिंह, प्रकाशन, नईदिल्ली, दसवां संस्करण,2007.

6. Indian Poetry in English: Roots and Blossoms, Part 1, SK Paul & Amar Nath Prasad, First Edition 2007,Sarup& Sons, New Delhi.

7. Studies in Indian English Fiction and Poetry, Amar Nath Prasad &U S Rukhaiyar, 1st Edition, 2003, Sarup& Sons, New Delhi.

ترجمة كتب السيرة النبوية من اللغة الأردية إلى اللغة العربية وعلى العكس

د. محمد أنظر*

{إن سيرة النبي الأكرم محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم كانت من أكثر سِير الرجال اعتناء على الإطلاق وتداولاً على مرّ التاريخ، فانبرى لسيرته الشريفة المآلف والمُخالف، والعالم والمتعلم، فسطر فيها ما لا يحصى من الأسفار، وأفنى الرجال فيها زهرة الأعمار. ومن المبدوء أن اللغة الأردية هي ثاني أكثر اللغات خدمة وتأليفاً ونشراً للسيرة النبوية، وتمتاز بالدقة، والجودة، وتنوع المؤلفات فيها وأن اللغات الأخرى التي ازدهر فيها التأليف في السيرة النبوية كاللغة الإنجليزية، والبنغالية، استفادت كثيراً من مؤلفات السيرة النبوية باللغة الأردية، ونقلت ترجماتها إلى لغاتها وأن كتب السيرة النبوية باللغة الأردية ذخيرة كبيرة ينبغي الاستفادة منها، وأنها تحتاج إلى خدمة أكبر}.

حظيت السيرة النبوية، والرسالة المحمدية بالخلود، والبقاء والدوام إلى يوم الحساب، فلقد تضاعفت الكتابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أضعافاً مضاعفة من القرن الماضي، ولا تزال في سمو وازدياد، وجرت أقلام المؤلفين، والباحثين من العرب والعجم، ومن المسلمين وغير المسلمين بألوان من البحوث،

أستاذ مساعد ، قسم الدراسات العربية، جامعة اللغة الإنكليزية واللغات الأجنبية، حيدرآباد (الهند)

وأصناف من الكتب بلغات شتى، ومكتبات العالم أجمع تزخر بالجهود المباركة التي بذلها علماء الأمة المسلمة لخدمة هذا الكنز المبارك وتحقيق حال نقلته والتصنيف فيه، كما هي تحفل بكتب مطبوعة ومخطوطة، وأما المفقود من ذلك فهو كثير.

وشبه القارة الهندية كان لها قصب السبق في ميدان العلم والمعرفة، ونشر الدعوة إلى الحق، وخدمة الحديث النبوي، والسيرة النبوية بلغات عديدة، وخصوصاً اللغة الأردية وهي لغة أكثر سكان شبه القارة الهندية من المسلمين.

ازدهرت ثقافة التأليف في السيرة النبوية باللغة الأردية في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وبلغ التأليف والكتابة بهذه اللغة عصره الذهبي في القرن العشرين الميلادي، وكثرت الكتب والمؤلفات في هذا القرن الميلادي؛ بحيث يمكننا القول بتفوق علماء شبه القارة الهندية في خدمتهم وتأليفهم في السيرة النبوية على غيرهم من علماء الأقاليم الأخرى في تلك الفترة. وقد شارك في الكتابة في السيرة غير المسلمين أيضاً؛ من الهندوس، والنصارى، والسيخ، وبلغت كتبهم بالعشرات.

ترجمة كتب السيرة النبوية من اللغة الأردية إلى اللغة العربية:

بسبب جودة الكتب التي ألفت في السيرة النبوية باللغة الأردية تم ترجمة بعضها إلى اللغة العربية، كما اعتمدت على هذه الكتب المؤلفة بالأردية اللغاتُ الأخرى في تأليف كتبها، واهتموا بترجمتها إلى لغاتهم؛ كاللغة البنغالية، والإنجليزية، والفرنسية، ومن هذه الكتب التي ترجمت من الأردية إلى العربية ما يلي:

رحمة للعالمين

كتاب "رحمة للعالمين" للعلامة القاضي محمد سليمان سلمان المنصورفوري (من بنجاب، الهند)، المتوفى عام 1930م، وهذا الكتاب عده كثير من العلماء والباحثين بأنه أحسن، وأدق ما كتب في السيرة النبوية باللغة الأردية مطلقاً، وقيده بعضهم باللغة الأردية خاصة، والكتاب مترجم إلى اللغة العربية.

وأكبر ميزة لهذا الكتاب أنه مع احتوائه على وقائع السيرة يتضمن الرد على مطاعن الأديان الأخرى، والمقارنة بين القرآن، والصحف السماوية، وخاصة الرد على اليهود والنصارى في أباطيلهم وأكاذيبهم، وبما أن المؤلف كان مطلعاً تمام الاطلاع على التوراة والإنجيل، وعلى أساليب النصارى في الجدل والمناظرة فقد جاء كتابه مخزناً للمعلومات، وردَّ على مطاعن غير المسلمين رداً قاطعاً، وشرح تعاليم الإسلام وقارن بينها وبين تعاليم الأديان الأخرى مقارنة عادلة دقيقة، وهكذا انتهى إلى إبراز سمو الإسلام، وكماله، وخلوده. وقد حظي هذا الكتاب بمكانة رفيعة؛ فتقرر ضمه إلى في المناهج الدراسية لكبرى المدارس والجامعات الإسلامية في الهند وباكستان؛ كالجامعة الإسلامية بدكن، وندوة العلماء في لكهنؤ، ودار العلوم بديوبند، وحماية الإسلام بلاهور، وجملة المدارس الثانوية الإسلامية تجعل تدريسه لازماً. وظهرت الطبعة الأولى للجزء الأول عام 1912م أي قبل الحرب العالمية الأولى بعامين، وله بذلك قدم السبق على الكتب الأخرى التي عدت أنها من أحسن، وأدق ما ألف في السيرة بالأردية. وقد أثنى على هذا الكتاب العلماء كثيراً، واعتمدوا عليه كثيراً في تأليف كتبهم. فقال العلامة سليمان الندوي" كان العلامة المنصورفوري جامعاً بين العلم والعمل، والزهد والكمال، والفضل والورع، متمتعاً بتوقد الخاطر، ووفور العقل، معتدلاً في نظرته إلى القديم والجديد، ذا بصيرة تامة وإدراك واسع باللغة العربية وعلوم الدين، مطلعاً على محتويات العهد القديم، والعهد الجديد، اطلاع الناقد البصير الخبير، راغباً في الحوار مع غير المسلمين، ملتزماً بالرزانة والوقار في المناظرات مع أصحاب الديانات والفرق، وكان يحترم كثيراً الأئمة، والمجتهدين، ويقدر جهودهم وأعمالهم العلمية".

ترجمة رحمة للعالمين إلى اللغة العربية

زار سعادة الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري المرحوم (من قطر) الهند و رأى تأليف القاضي محمد سليمان سلمان المنصورفوري (رحمة للعالمين) فاختاره ودفع به إلى مولانا مختار أحمد الندوي المدير العام للدار السلفية في مومباي وحثه

على نقله إلى العربية، ففوض واجب الترجمة من الأردية إلى العربية لهذا الكتاب على طلب سعادة الشيخ عبد الله إبراهيم الأنصاري المرحوم إلى العالِمَين الكبيرين الدكتور مقتدى حسن الأزهري وكيل الجامعة السلفية ببنارس ومولانا عبد السلام عين الحق السلفي رئيس قسم الترجمة بالدار السلفية في مومباي فعرّبا هذا التأليف كاملا، وقد قام الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري بالإشراف على مراجعة الترجمة والمساهمة في طباعتها.[1]

ثم قام الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم أستاذ اللغة الأردية وآدابها بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بترجمة "رحمة للعالمين" بأجزائه الثلاثة إلى العربية مرة ثانية على طلب الشيخ عبد المالك مجاهد المدير المسئول بمكتبة دار السلام بالرياض، وبرزت الطبعة الأولى في عام 1418هـ / 1998م.

سيرة النبي

"سيرة النبي"(صلى الله عليه وسلم) للعلامة شبلي النعماني (ت1915م)، والسيد سليمان الندوي (ت1952م) في سبعة مجلدات؛ الأول والثاني للنعماني، وبقية الأجزاء لسليمان الندوي، وهذا الكتاب يعتبر موسوعة للسيرة النبوية من جميع نواحيه، وهو يذكر بالإضافة إلى أحداث السيرة النبوية، ووقائعها الرد على المستشرقين، خصائص الإسلام، وما يمتاز به في العقائد، والغيبيات، والعبادات، والمعاملات وحقوق العباد، ومكانة الأخلاق، وتفصيل هذه الأخلاق التي تحلى بها النبي صلى الله عليه وسلم، وقارن بين أخلاق المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات، وكان قد وضح في الجزء الرابع أن الشريعة الإسلامية تقوم على أربعة أركان وهي العقائد، والعبادات، والأخلاق، والمعاملات؛ لذا كتب عن كل ركن على حدة في جزء خاص به بتفصيل ودقة متناهية، وقد رجع المؤلف إلى كثير من المصادر العربية والإنجليزية والألمانية والفرنسية والأردية.

وعن مصادر السيرة النبوية عند شبلي النعماني، تقدم د. جلال سعيد الحفناوي عضو لجنة الترجمة بدراسة نقدية مؤكداً فيها، بأن كتاب "سيرة النبي" لشبلي

النعماني يعد من الكتب المهمة التي كتبت بعد سيرة ابن هشام، وأنهم ما يميز هذا الكتاب أنه لا يدور حول سيرة النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم فحسب مثل باقي كتب السيرة النبوية بل يتناول العقائد والمعاملات والعبادات والسياسة في عرض رصين مدعم بالبحوث العلمية والدراسات الدقيقة والتحفظ في الروايات التي يوردها، وعرضها بقوة منطقية كَذّب ما يكتبه أعداء الإسلام في مناحي السيرة المختلفة.

ترجمة "سيرة النبي" إلى اللغة العربية

نال كتاب "سيرة النبي" حظا وافرا من عناية رجال الأدب والفكر والدعوة، وقد حاول كثير من الكتّاب ترجمة هذا المؤلَف القيم إلى اللغة العربية، وكان سيد سليمان الندوي هو الآخر يبغي ترجمة سيرة النبي ونقلها إلى اللغة العربية فأراد الرحلة إلى جمهورية مصر العربية في هذا الصدد ليقيم هنالك مدة من الزمن ويشرف على أعمال (إمكانيات) طباعة سيرة النبي ونشرها [2] ولكنه لم يقدر على ذلك وما أثمرت تمنياته.

وقام بترجمتها من الأردية إلى العربية: الأستاذ الدكتور يوسف السيد عامر أستاذ بقسم اللغة الأردية وآدابها، كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر. ويشتمل هذا الكتاب على سبعة أجزاء، نشرت في سبعة مجلدات، وجاء الكتاب في 1800صفحة مع تعليق وتحقيق الأحاديث الشريفة والنصوص العربية.

ترجم أحمد محمد أحمد عبد الرحمن المعروف بأحمد القاضي "سيرة النبي" (الجزءان: الثالث والسادس) لسيد سليمان الندوي بالاشتراك مع المترجمين الآخرين من الأردية إلى العربية والتي طبعت بين أعوام 2006 . 2004م. وأحمد القاضي، أستاذ في قسم اللغة الأردية بكلية اللغات والترجمة في جامعة الأزهر، القاهرة والمتخصص في الأدب المقارن و فن الترجمة بين العربية والفارسية والأردية كتب مؤلفات متعلقة بدراسة وتاريخ الأدب الأردي بالاشتراك مع الكتاب الآخرين.

صدر، حديثا، ترجمة ودراسة معمقة بعنوان «فَنُّ السيرة النبوية .. تاريخ وأصول»، للدكتور محمد علي غوري، عن مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدُبي(سلسلة آفاق الثقافة والتراث2011). وهي تبحث في مضمون ورؤى كتاب (سيرة النبي صلى الله عليه وسلم) للعلامة محمد شبلي النعماني، حيث يقدم غوري ضمن منهج تناوله، ترجمة للمؤلف ودراسة للكتاب، مستعرضا دوره في الوقوف بوجه هجمات المستشرقين الشرسة على الإسلام والرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم)، وشارحا كيفية تلخيص النعماني بمقدمة كتابه، للقضايا التي ناقشها، ومنها: الفرق بين فن السيرة وعلم التاريخ.

ترجمة مقدمة سيرة النبي إلى العربية و نشرها

يضم الكتاب المذكور آنفا أي "فنّ السيرة النبوية – تاريخ وأصول" مقدمة العلامة شبلي النعماني لكتابه "سيرة النبي صلى الله عليه وسلم"، وترجمة ودراسة الدكتور محمد علي غوري، بصفحاته الـ 134 صفحة من القطع الاعتيادي. ويشير الكتاب إلى أن العلامة شبلي قدم لكتابه مقدمة نفيسة فريدة، حيث كان أهل اللغة الأردية الذين كتب الكتاب بلسانهم يشبهون هذه المقدمة في فن السيرة بمقدمة ابن خلدون في علم التاريخ والاجتماع وما كان لها من الشهرة، وهو النص الذي نشره مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بـ دُبي، بعد ترجمته إلى اللغة العربية على يد الدكتور محمد علي غوري. وعالجت هذه المقدمة مسائل مهمة، منها: الفرق بين فن السيرة وعلم التاريخ، والفرق بين كتب السيرة وكتب الحديث، والفرق بين الدراية والرواية ومفهومها عند المحدثين وكتاب السيرة، كما ناقش قضايا عدة، مثل: قضية اختلاف مراتب الرواة، وبأي معنى اعتبر الصحابة كلهم عدول، بجرأة وصراحة نفتقدها في أكثر كتب السيرة النبوية.

الرسالة المحمدية

هذا الكتاب في الحقيقة مجموع ثماني محاضرات قيمة في السيرة النبوية" ألقاها العلامة سليمان الندوي سنة 1344هـ / 1925م باللغة الأردية علَى جماعات

من الشباب المسلمين المثقفين، وطلبة الكليات والجامعات في مدينة مدراس بجنوب الهند؛ وذلك تجاوبا لطلب جمعية "اسلامي تعليمي نجمن" بمدراس. ثم طُبِعَت ونُشِرَت هذه المحاضرات باسم "خطباتِ مَدْرَاسْ" بالأردية عدة مرّات، و ذلك في 194 صفحة ، وأُدخِلَت في مناهج التعليم في بعض الولايات. وهذه المحاضرات كلها تتعلق بصميم موضوع السيرة النبوية. وأنقل هنا بعض العناوين البارزة التي ميزت هذا الكتاب من المؤلفات الأخرى، ألا وهي: سيرة الأنبياء هي الأسوة الحسنة للبشر، والسيرة المحمدية من الناحية التاريخية، والسيرة المحمدية من ناحية كمالها و تمامها وشمولها، والسيرة المحمدية من ناحيتها الجامعة، والسيرة المحمدية من الناحية العلمية.

قال الشيخ علي الطنطاوي: في تقديمه لكتاب "في مسيرة الحياة" لأبي الحسن الندوي: "سيد سليمان الندوي كان من أعاظم من كتب في السيرة" ونقل صاحب "الرسالة المحمدية" (ترجمة الأستاذ محمد ناظم الندوي) عبارة الأستاذ علي الطنطاوي عن سيد سليمان الندوي (ص 1): "سليمان الندوي أعلم علماء السيرة في هذا العصر، وأحد أعاظم المؤلفين فيها على مدى العصور".. وقال الشيخ الألباني: "الرسالة المحمدية: هي ثماني محاضرات في السيرة النبوية، ورسالة الإسلام كان ألقاها – أي : العلامة السيد سليمان الندوي – في جامعة مدراس الهند وهي ذات فوائد هامة تدل على غزارة علم المؤلف رحمه الله تعالى وجزاه خيرا".

ونَقَلَ هذا الكتاب بعض المترجمين (الأستاذ سعيد الحق الديسنوي) إلَى الإنكليزية باسم Living Prophet ؛ كما نقله أحد من المترجمين إلى الإنكليزية بعنوان آخر أيضا وهو "The Ideal Prophet".

وترجمها إلى العربية مولانا محمد ناظم الندوي المرحوم (المولود بـ بيهار شريف، بتنه) باسم "الرسالة المحمدية"، بأسلوب علمي رشيق. قد تكررت طبعاته في الهند والقاهرة و دمشق. كما قام الأستاذ محمد رحمة الله حافظ الندوي بترجمة

"خطباتِ مدراس" للعلامة سيد سليمان الندوي من الأردية إلى العربية تحت مسمى "محاضرات مدراس".

فضائل الصلوات على النبي الكريم صلى الله عليه وسلم

ألف فضيلة شيخ الحديث مولانا زكريا الكاندهلوي هذا الكتاب باللغة الأردية تحت مسمى "فضائل الصلوات على النبي الكريم صلى الله عليه وسلم". وهو كتاب ذات معلومات مهمة وبحوث قيمة بشأن خطورة الصلوات على النبي الكريم عليه الصلاة والتسليم، ونال هذا الكتاب قبولا واسعا وتقديرا كاملا من أهل العلم والعرفان في القطر الهندي وغيره. قام الأستاذ سيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي بنقل هذا الكتاب المهم من اللغة الأردية إلى اللغة العربية.

تحقيق معنى السنة

كتب العلامة سيد سليمان الندوي مقالة قيمة بالأردية تحت عنوان: "تحقيق معنى السنة" ونشرها في مجلة معارف العلمية الشهيرة الصادرة من دار المصنفين بأعظم جره، الهند. وفي الحقيقة، كتب سيد سليمان الندوي هذه المقالة العلمية ردا على الطائفة التي سمّت نفسها بـ أهل القرآن، وتدّعي هذه الطائفة أن مصدر التشريع الإسلامي هو القرآن وحده وأن السنة النبوية إنما كانت أحكاما مؤقتة لمعاصري النبي المكرم صلى الله عليه وسلم فحسب. والمقالة تتحدث عن أهمية السنة النبوية في ضوء آيات القرآن الكريم وروايات الحديث النبوي الشريف وآثار الصحابة رضوان الله عليهم، كما إنها تقر أن السنة النبوية موافقة للأحكام الإلهية والأصول القرآنية والحكم الدينية، وأن القرآن والسنة هما مصدران مهمان للتشريع الإسلامي، والسنة النبوية بمنزلة القرآن الكريم من ناحية وجوب العمل.

ترجم هذا البحث القيم الأستاذ عبد الوهاب بن عبد الجبار الدهلوي من الأردية إلى العربية لإفادة أهل العرب. وقام بنشر هذا الكتاب المطبعة السلفية بمصر عام 1377هجرية.[3] نال هذا الكتاب قبولا واسعا وإعجابا كبيرا من لدى الأوساط العلمية والثقافية في الهند خاصة والبلاد العربية عامة.

فضل البعثة المحمدية على الإنسانية

ألقى سماحة الشيخ سيد أبو الحسن علي الحسني الندوي محاضرة قيمة وبحثا جامعا بعنوان "فضل البعثة المحمدية على الإنسانية" باللغة الأردية في عام 1975م بمدينة لكناؤ، الهند، وأثبت من خلالها فضل البعثة المحمدية على الإنسانية وأهميتها وفلسفتها في تاريخ الإسلام بالدلائل العقلية والبراهين النقلية. قام بنقلها الأستاذ سيد محمد الحسني صاحب "الإسلام الممتحن" إلى العربية بأسلوب علمي متين، وأدّى حق الترجمة، لا يشمّ القارئ رائحة الترجمة فيه.

محمد رسول الله

قام السيد منير البعلبكي بترجمة كتاب "محمد رسول الله" للمفسر الشهير محمد علي اللاهوري إلى اللغة العربية من اللغة الإنكليزية. تم تأليف الكتاب "محمد رسول الله" باللغة الأردية أصلا، ثم ترجمه إلى اللغة الإنكليزية الأستاذ محمد يعقوب خان، إمام مسجد ووكنغ Woking بإنجلترا.) [4]

ترجمة كتب السيرة النبوية من اللغة العربية إلى الأردية

وهذا النوع من الاهتمام زاد في العصر الحاضر حين انتشرت المكتبات، والمطابع، وكثر الباحثون، والمترجمون، وضعف الاهتمام باللغة العربية في شبه القارة الهندية مقارنة بما كان عليه الحال في القرون الماضية.

السيرة النبوية

ألف سيد أبو الحسن علي الندوي كتابه المهم تحت مسمى"السيرة النبوية" في أسلوب عصري جديد. وقد ترجمه من العربية إلى الأردية/ ابن أخيه المرحوم الأستاذ سيد محمد الحسني (المؤسس ورئيس التحرير الأسبق لمجلة "البعث الإسلامي" الصادرة من دار العلوم ندوة العلماء، بلكناؤ) باسم "نبيِ رحمتْ" بأسلوب سلس رشيق، وأدى الأستاذ محمد الحسني حق الترجمة في هذا الكتاب، حيث نال الكتاب قبولا واسعا وتقديرا وافيا من أهل العلم. ولد المترجم محمد الحسني سنة 1935م، وتوفي عام 1979م، ولم يعش إلا أربعة وأربعين عاما. كان له مهارة كاملة

وقدرة فائقة باللغتين العربية والأردية. يكتب سيد أبو الحسن علي الحسني الندوي عن ميزة السيد محمد الحسني قائلا: "والصحافي محمد الحسني، هو في الحقيقة شخصية نادرة في اللغة والأدب، ولقد أحب اللغة العربية منذ طفولته وأجادها كل الإجادة نطقا وكتابة، وانفرد بأسلوبه العربي بين معاصريه، فله أسلوب قوي ملتهب، ورافقته القدرة البيانية، وقلم سيال رشيق، وثروة لغوية".[5]

الطريق إلى المدينة:

ألف الشيخ أبو الحسن علي الندوي كتابا آخر باسم "الطريق إلى المدينة"، وهو في الأصل مجموعة محاضرات ومقالات في عرض جميل وأسلوب أدبي أنيق في حبّ محمد الرسول صلى الله عليه وسلم. وسجل فيه المؤلف انطباعاته القلبية وعاطفته الإيمانية وحبه للرسول العربي صلى الله عليه وسلم. قد تكررت طبعاته في الهند والبلاد العربية. ترجم الأستاذ سيد محمد الحسني هذا الكتاب من العربية إلى الأردية باسم "كارْوانِ مدينه" (ركب المدينة). كما نقل هذا الكتاب إلى لغتين أخريين بالإضافة إلى الأردية، وهما اللغة التركية واللغة الإنجليزية.

اعترف الأستاذ الكبير علي الطنطاوي بقيمة هذا الكتاب في تقديم له للكتاب قائلا: "لقد كدت أفقد ثقتي بنفسي ولكن لما قرأت كتابك يا أخي أبا الحسن "الطريق إلى المدينة" أحسست بالشوق يعود فيعتلج بنفسي ، فعلمت أن قلبي ما خلا من جوهر الحب، ولكن هموم العيش وطول الألفة قد غطياه بالغبار، فأزاح كتابك".[6]

محمد لتوفيق الحكيم:

الأستاذ توفيق الحكيم هو من كبار أدباء العربية في هذا العصر، وهو رائد الأدب التمثيلي الذي بدأه على سننه القويمة، فاختط طريقا واضحا لمن جاء بعده، ومثله في ألمعيته الأصيلة جدير بما يساق إليه من الثناء الجميل.

نقلت السيدة عطية خليل عرب كتاب "محمد" لتوفيق الحكيم إلى اللغة الأردية السلسة في عام 1962م، وأضافت عديدا من المشاهد كما حذفت بعضا منها، ورجعت إلى التاريخ الإسلامي الصحيح في عديد من الأمور ليكون الكتاب

صالحا للاعتماد والاستناد، وقد سجل سماحة الشيخ أبو الحسن علي الندوي تقديما لها في الترجمة الأردية. وقد أشار عليها مولانا سيد أبو الأعلى المودودي ومولانا أمين أحسن الإصلاحي والسيد نياز الفتح بوري والسيد محمد أحمد السبزواري بمناسبات مختلفة في صدد الترجمة و المراجعة وغيرها، كما اعترفت المترجِمة نفسُها في تقديم الترجمة الأردية، وقامت مطبعة ناز ببلشنك هاؤس في دلهي بالطبع والنشر.

ترجم السيد افتخار الأعظمي هو الآخر هذا العمل التمثيلي لتوفيق الحكيم من العربية إلى الأردية. وطبعت ترجمته مكتبَهْ جديدْ في لاهور.

وترجم عبد الرزاق المليح آبادي رواية "محمد" لتوفيق الحكيم المصري عام 1942م، وطبعت الترجمة في مطبعة هند بريس بكولكاتا.

الرحيق المختوم:

صنف مولانا صفي الرحمن بن عبد الله بن محمد أكبر المباركفوري الأعظمي العالم الشهير (1943 . 2006م) كتابا علميا نادرا باللغة العربية في السيرة النبوية باسم "الرحيق المختوم" (المطبوع أولا في عام 1980م بمكة المكرمة)، وكان هذا بحثا فاز بالجائزة الأولى لمسابقة السيرة النبوية التي نظمتها رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة لما قام به المؤلف بإيفاء جميع الشروط التي اشترطتها الرابطة على الباحثين. تمت ترجمة "الرحيق المختوم" للشيخ صفي الرحمن المباركفوري، وهو باسم "الرحيق المختوم"، لكن في الترجمة الأردية حذف وزيادات ليست موجودة في النسخة العربية، ولذا فإن هذا الكتاب في الأردية أكثر منه فائدة في العربية، والله أعلم. ومؤلف الكتاب كان من المتكلمين باللغة الأردية و يجيدها، وأسلوبه يتصف بالسهولة والخلو من التعقيد اللفظي والمعنوي وزينة العبارات بالضروب. فقام بترجمته هو نفسه، وبحكمه مؤلفا ومترجما كان يعرف جيدا عن دقة المعاني وحساسية الجمل فصارت ترجمته كأصل الكتاب، ويتمتع الناطقون باللغة الأردية بنفس الحلاوة التي يتمتع بها الناطقون بلغة الضاد، وهذه الميزة قلما توجد في

الترجمة بوجه العموم. تم نشرها وطباعتها في المكتبة السلفية في لاهور بباكستان. ترجم هذا الكتاب لأكثر من خمس عشرة لغة مختلفة.

صحيفة همام بن منبّه:

وفي السيرة نشر الدكتور محمد حميد الله الحيدر آبادي الهندي (1908م . 2002 م) "صحيفة همام بن منبه" عن مخطوطة برلين بعد أن حققها وعلق عليها مع مقدمة في تاريخ تدوين الحديث وطُبعت في "بيروت". و تحتوي هذه الصحيفة على أحاديث كتبها أبو هريرة الصحابي الشهير عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وتعرف بالصحيفة الصحيحة، ثم نقلها عنه تلميذه "همام بن منبه". وهذا أقدم ما وصل إلينا كتابةً عن النبي. وقد عثر الدكتور حميد الله على مخطوطاتها ببرلين في أثناء دراسته في ألمانيا. ثم دله الدكتور زبير أحمد الصديقي على نسخة أخرى للصحيفة في المكتبة الظاهرية بدمشق، فحقق الدكتور هذه الصحيفة وقارن بين نسختيها، وكتب مقدمةً ضافيةً في تدوين الحديث وكتابته في العهد النبوي وأثبت بالبراهين الساطعة والحجج القاطعة أن الحديث كان يُكتب في أيام الرسول، كما أن النبي كتب كتابًا للمهاجرين والأنصار واليهود للتعامل بينهم. وهو يعتبر أول وثيقة دستورية للدولة الإسلامية التي كان رئيسها النبي صلى الله عليه وسلم . هكذا فند الدكتور حميد الله المزاعم الباطلة التي ينشرها أعداء الدين، إذ يقولون: إن الأحاديث لم تُكتب إلا بعد القرن الثالث الهجري. وخرج أحاديثها التي يبلغ عددها 138 حديثًا. وهذه الصحيفة ترجمت إلى الأردية والفرنسية والإنجليزية والتركية.

الاهتمام بترجمة المصادر المهمة من العربية إلى الأردية:

ترجمت بعض كتب السيرة النبوية الشهيرة من اللغة العربية والفارسية إلى اللغة الأردية في المنتصف الثاني للقرن التاسع عشر الميلادي، وفي هذه القائمة مؤلفات القدماء والمتأخرين على حد سواء، وتزداد أهمية الكتب من حيث الترجمة الجيدة وتنقص أهميتها من حيث الترجمة الناقصة كما ترجمت بعض الكتب كاملا وبعضها جزئيا، كما ترجمت بعضها عدة مرات .

وقد اهتم علماء شبه القارة الهندية بترجمة المصادر المهمة من العربية إلى الأردية، وترجمت خلال السنوات الأخيرة مؤلفات عديدة، ولا يزال العمل في ازدياد، وهنا نذكر بعض التراجم الأردية في السيرة النبوية في السطور الآتية:

1. "مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم" لعروة بن الزبير المتوفى سنة 94هـ، ترجمه إلى الأردية محمد سعيد الرحمن العلوي.
2. "سيرة النبي صلى الله عليه وسلم" لابن هشام، ترجمه إلى الأردية سيد على الحسني النظامي الدهلوي.
3. وقد ترجم المولوي بشارت علي خان هو الآخر كتاب المغازي للواقدي إلى الأردية باسم "مغازي الصادقة" عام 1289هـ / 1872م، وقد طبع من مطبعة نول كشور بلكناؤ،
4. وترجم سيماب أحمد التونكي (من راجستان) كتاب المغازي للواقدي من اللغة العربية إلى اللغة الأردية باسم "مغازي آنحضرت صلى الله عليه وسلم / شوكت إسلام" ، وقد طبع مجلده الأول في مطبعة نظامي بكانبور عام 1291هـ وطبع مجلده الثاني في المطبعة نفسها عام 1289هـ [7] وترجم نواب مصطفى خان شيفته بعض الأجزاء من كتاب زاد المعاد للحافظ ابن القيم الجوزي، وهو مطبوع من لكناؤ.
5. نشرت ترجمة رسالة فارسية موجزة باسم "سرور المحزون" للشاه ولي الله الدهلوي إلى اللغة الأردية عام 1879م بلكناؤ [8] وهذه الرسالة تلخيص للكتاب "نور العين في تلخيص سير الأمين والمأمون" الذي هو ملخص "لعيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير" لابن سيد الناس.[9]
6. قام البروفيسور نثار أحمد الفاروقي (المولود سنة 1934م بأمروهة ، أترابرديش) بنقل "الرسالات النبوية" البالغ عددها 99 رسالة إلى الأردية باسم "رسول الله صلى الله عليه وسلم كى خطوط كا انتخاب"، ونشرت هذه الترجمة في عدد ممتاز لمجلة "نقوش" المعروفة بـ "رسول نمبر" المجلد 2،

عام 1982م الصادرة من لاهور، باكستان. البروفيسور نثار أحمد الفاروقي المرحوم يعتبر من كبار أساتذة العربية المترجمين القديرين، وله مساهمة فعالة في حقل الترجمة.[10]

7. كتاب "المغازي الأولى ومؤلفوها" للأستاذ جوزيف هورونس، نقله الأستاذ حسين نصار إلى العربية، ونقله إلى الأردية الأستاذ نثار أحمد الفاروقي باسم "سيرت نبوي كي أولين كتابين اور انكى مؤلفين"، ونشرت هذه الترجمة في البداية في مجلة "اسلام اور عصر جديد"، ثم خرجت في شكل الكتاب، و هو يتضمن أكثر من 250 صفحة، نشر الكتاب من إدارة أدبيات دلهي.[11] و من الجدير بالذكر أن الأستاذ الفاروقي تحمل عبء مقارنة الترجمتين الأوليين باللغة الأردية لرسائل النبي صلى الله عليه وسلم ، و بعد أن وجد فيهما بعض ما يستوجب التصحيح فأعاد ترجمتها بأسلوب يلائم ترجمة النصوص القديمة.
8. "سيرة محمدي" للشيخ محمد بن إبراهيم جوناكرهي الغجراتي (1890م – 1941م) وهو ترجمة لكتاب "خلاصة السير في أحوال سيد البشر" للشيخ محب الدين الطبري.
9. "خصائص محمدية" للشيخ أبو الكلام آزاد (1305هـ – 1377هـ) وهو ترجمة لكتاب جلال الدين السيوطي: "أنيس اللبيب في خصائص الحبيب".
10. ترجم الحافظ محمد إسماعيل الكاندهلوي كتاب "الشفاء" للقاضي عياض الأندلسي باسم "شميم الرياض" في مجلدين عام 1913م، وطبع في مطبعة نولكشور بلكناؤ، وترجم نذير أحمد الجعفري (المتوفى سنة 1352هـ / 1933م) "الشفاء" باسم "الشفاء لتعريف حقوق المصطفى"، كما ترجمه أحمد علي شاه (المتوفى سنة 1926م) باسم "كتاب الشفاء بتعريف حقوق المصطفى" وطبع بلاهور عام 1914م.

11. ترجم مولانا عبد الجبار خان الآصفي كتاب "الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية" للعلامة يوسف بن إسماعيل النبهاني عام 1921م.
12. وترجم مولانا عبد الرزاق الندوي المليح آبادي ملخص كتاب "زاد المعاد في هدي خير العباد" لابن القيم إلى الأردية باسم "أسوه حسنه" عام1924م، وهذا الملخص كان للعالم المصري الشيخ محمد أبي زيد باسم "هدي الرسول".
13. وترجم سيد محمد إبراهيم الندوي المجلدين الأولين لتاريخ الطبري عام 1926م وطبعت الترجمة في دار الطبع للجامعة العثمانية بحيدرآباد.
14. ونقل عبد الله العمادي "طبقات ابن سعد" إلى الأردية باسم "طبقات كبير" عام 1944م.
15. حظي مولانا المفتي محمد شفيع بتأليف كتاب في السيرة باسم "آداب النبي" عام 1949م، وبيّن المؤلف فيه أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وعاداته وآدابه وشمائله. وفي الحقيقة إن الكتاب المذكور ترجمة حرة لرسالة "آداب النبي" للإمام الغزالي، وهذه الرسالة جزء من أجزاء الربع الثاني الأخيرة لـ "إحياء العلوم" للغزالي.[12]
16. ترجم علي الجونبوري المعروف بـ كرامت علي ترجمة حرفية لـ "شمائل الترمذي" للعلامة محمد بن عيسى الترمذي إلى اللغة الأردية باسم "أنوارِ محمديْ" عام 1212هـ مع تعليق وشرح للكلمات الصعبة.[13]
17. ترجم المفتي كفيل الرحمن نشاط القاسمي (من مواليد عام 1942م ببلدة ديوبند ولا يزال يشتغل أستاذا و مفتيا بدار العلوم ديوبند) "شمائل الترمذي" للعلامة محمد بن عيسى الترمذي من العربية إلى الأردية باسم "درس حديث"، والكتاب مشتمل على 240 صفحة ونشر من إدارة درس حديث ديوبند. و للمترجم كفيل الرحمن القاسمي مساهمات في ترجمة الكتب من

المقررات الدراسية في منهج الدرس النظامي السائد في كافة المدارس الإسلامية في أرجاء الهند.[14]

18. ترجم الأستاذ غلام محمد جعفر الصديقي (1310هـ / 1892م) "شمائل النبي" للترمذي إلى الأردية باسم "فضائل النبي".[15]
19. كتب العلامة ابن حجر المكي (909هـ . 974هـ / 1504م . 1567م) رسالة في المولد النبوي باسم "النعمة الكبرى على العالم في مولد سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم"، وهو يشتمل على 71 صفحة. وترجمها السيد سالك فضلي من العربية إلى الأردية في 87 صفحة، وسماها بـ "نعمتِ كبرى"، وطبع من سيالكوت عام 1398هـ. [16]
20. ترجم مولانا عبد الحليم شرر (1860 . 1926م)"مولد النبي" للعلامة عبد الرحمن ابن الجوزي (510هـ . 597هـ / 1116م . 1200م) إلى اللغة الأردية على طلب مولانا محمد عين القضاة وسماها بـ "ولادتِ سرورِ عالمْ" وطبعها في مطبعة دلكداز بلكناؤ، عام 1923م، وجاءت تلك الرسالة في 48 صفحة أو في 48 صفحة [17].
21. ألف إبن الجوزي كتابا آخر باسم "الوفا في فضائل المصطفى" واهتم بروكلمان بطبعه، وترجمه إلى اللغة الأردية العلامة محمد أشرف السيالوي باسم "الوفاء بأحوال المصطفى (سيرت سيد الأنبياء)" ، وطبع في مطبعة فريد بُوك اِيستالْ لاهور، وجاء في 861 صفحة.[18]
22. ترجم محمد جان شاه كتاب العلامة ابن الجزري إلى الأردية باسم "ميلاد النبي" الذي جاء في 100 صفحة، وطبع في لكناؤ، عام 1308هـ /1890م.[19]
23. ترجمت رسالة الإمام الغزالي إلى الأردية باسم "ادب و اخلاقِ نبي كريم"، وطبع هذا الكتاب بلاهور عام 1893م.[20]

24. ترجم مولانا محمد أسلم الرمزي "السيرة الحلبية" من العربية إلى اللغة الأردية.[21]
25. ترجم الأستاذ محمد أسلم القاسمي بن حكيم الإسلام المقرئ محمد طيب القاسمي(من مواليد عام 1938م) كتابا في السيرة النبوية خلال فترة تتراوح ما بين 1969م إلى 1980م، وهو كتاب "إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون" المعروف بالسيرة الحلبية للشيخ علي بن برهان الدين من حلب، إلى اللغة الأردية باسم "سيرة حلبية"، وأضاف إليه معلومات قيمة، ونشرت هذه الترجمة في 5 مجلدات ضخمة من المكتبة القاسمية بديوبند، ونالت هذه الترجمة إعجابا و قبولا لدى أهل العلم و الفضل.[22]
26. نقل الأستاذ محمد أسلم القاسمي بن حكيم الإسلام المقرئ محمد طيب القاسمي (من مواليد عام 1938م) كتاب "مجموعة سيرة الرسول" للأستاذ محمد مرافق من العربية إلى اللغة الأردية، وأضاف إليه بعض الأشياء المهمة، ونشره في 25 جزء باسم "مجموعه سيرت الرسول صلى الله عليه وسلم"، وطبع الكتاب عام 1966م من المكتبة القاسمية بديوبند، والترجمة سهلة ممتعة ، تم إدخالها في المقررات الدراسية في كشمير وحيدرآباد.[23]
27. ترجمة كتاب "مختصر زاد المعاد في هدي خير العباد"؛ للشيخ محمد بن عبد الوهاب ترجمه الدكتور مقتدى حسن الأزهري.
28. ترجمة "زاد المعاد" لابن قيّم الجوزية، ترجمه رئيس أحمد الجعفري.
29. ترجم ظهور الوجداني "بطل الأبطال" لعبد الرحمن عزام بك المصري باسم "تاجدارِ دو عالمْ" عام 1946م.
30. ترجم محمد صاحب جوناكرهي (غجراتي) "خلاصة السير في أحوال سيد البشر" لجعفر الظهيري باسم "سيرت محمدي" المطبوع بمومباي.
31. ترجم المجلد الأول لكتاب "دروس التاريخ" لمحيي الدين خياط المصري إلى الأردية باسم "باني اسلام".

32. ترجم مولانا سليم تبعين مجموعة انطباعات تالستائي والعديد من المؤلفين الأوربيين من اللغة الإنجليزية إلى العربية باسم "حكم النبي محمد" ثم قام المولوي محمد فيض الحسن بنقل هذه الترجمة العربية إلى الأردية عام 1914م امتثالا لأمر المولوي محبوب عالم ثم طبعها المؤلف باسم "بيغمبرِ اسلام" (ص56) عام 1920م [24]

33. ألف فضل علي فضلي كتابه باسم "كَرْبَلْ كَتَّها" قبل عام 1210هـ / 1795م. بيّن المؤلف في بداية الكتاب حياة الرسول صلى الله عليه وسلم الأخيرة بالأسلوب الحزين في 12 صفحة، واجتهد بسرد الأحداث في ضوء روايات كتب السير والتاريخ، ثم إنه تحدث عن حوادث كربلا و وقائعها. وهذا الكتاب ترجمة أردية في الواقع لملخص "روضة الشهداء" لملّا حسين الواعظ الكاشفي (المتوفى عام 910هـ) [25]. أعد المؤلف مسودته الأولى في عام 1145هـ / 1732 . 1733م ، ثم أكمله بعد ستة عشر شهرا عام 1161هـ / 1748 . 1749م بعد إعادة النظر فيه.[26]

34. ترجم الشيخ جميل أحمد "الشمامة العنبرية من مولد خير البرية" لنواب صديق حسن خان إلى اللغة الأردية عام 1305هـ / 1887م، وطبع الكتاب في سيالكوت، وجاء في 126 صفحة.[27]

35. استفاد المؤلف مولانا أشرف علي التهانوي (1863م . 1943م) من رسالة عربية باسم "شيم الحبيب" للمفتي إلهي بخش الكاندهلوي في تأليف كتابه "نشر الطيب في ذكر النبي الحبيب"، كما اعترف المؤلف نفسه بأن كتابه هذا ترجمة لها، وقد طبع نشر الطيب على حدة باسم "حبيبِ خدا".[28]

36. ترجم الشيخ أبو يحيى محمد إمام خان النوشهروي (المتوفى سنة 1966م) كتاب "حياة محمد صلى الله عليه وسلم" لمحمد حسين هيكل المصري، عام 1923م.

37. ترجم محمد حسين عرشي مقدمة "حياة محمد" لمحمد حسين هيكل المصري باسم "مقدمه زندكي محمد" عام 1940م.
38. "رسالت كے سايے ميں" وهو ترجمة لكتاب الشيخ عبد الحليم عويس "في ظلال الرسول صلى الله عليه وسلم" ترجمه إلى الأردية الدكتور مقتدى حسن الأزهري.
39. ترجمة "نور اليقين في سيرة سيد المرسلين"، للشيخ محمد الخضري، وترجمه إلى الأردية الشيخ عزيز الرحمن السلفي.
40. ترجم مولانا زكريا المائل كتاب العلامة محمد الخضري في السيرة النبوية إلى الأردية باسم "نور اليقين في سيرة سيد المرسلين" المطبوع في مطبعة تاج كمبني بلاهور.
41. ترجم الشيخ عبد الرزاق المليح آبادي مؤسس جريدة "آزاد هند" الأردية في كلكته، كتاب "الوحي المحمدي" للإمام محمد رشيد رضا المصري منشئ المنار، إلى الأردية وهو تلميذ الإمام.[29]
42. حرر الشيخ أحمد رضا خان القادري الحنفي الماتريدي (من مواليد مدينة بريلي بالهند عام 1856م) كتابا باسم "تجلى اليقين بأن نبينا سيد المرسلين" ردا على استفتاء يسأل سائل فيه ما إذا كان محمد رسول الله سيد المرسلين؟ وهل تثبت سيادته بالكتاب والسنة؟ أم لا. قام بترجمته من الأردية إلى العربية الشيخ نعمان الأعظمي الأزهري.[30]
43. ألف الشيخ أحمد رضا خان كتابا باسم "الأمن والعلى لناعتي المصطفى بدافع البلاء" باللغة الأردية إثر السؤال الذي وجّه إليه حول الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم، بل نظمها بعض أهل العلم والمعرفة، وفيها كلمة "دافع البلاء والوباء"، وهذه الصلاة على النبي مشهورة بين أهل الهند وباكستان باسم "درودِ تاج". ترجمه الشيخ محمد إسحاق الرضوي

الرامفوري من الأردية إلى العربية الذي طبع بمطبعة مركز أهل السنة بركات رضا في غجرات، الهند.

44. ألف الشيخ أحمد رضا خان المؤلفات الكثيرة في رد "القاديانية"، ومنها:" المبين في خاتم النبيين"، ترجمه الشيخ محمد إسحاق الرضوي من الأردية إلى العربية. "محمد خاتم النبيين" قام بترجمة هذا الكتاب من الأردية إلى العربية الشيخ منظر الإسلام الأزهري والشيخ نعمان الأعظمي الأزهري بالاشتراك تحت مسمى "جزى الله عدوه بآبائه ختم النبوة".[31]

45. كان الشيخ أحمد رضا خان ينظم الشعر في اللغة الأردية، وقد طبع ديوانه الأردي الموسوم بـ "حدائق بخشش" في ثلاثة أجزاء، وقام بترجمته الدكتور محمد مبارز مَلِكْ إلى العربية، وتم ترجمته ما يقارب من مائتي بيت. و لعل أشهر ما نظمه في المديح النبوي الشريف، وتعد أعظم قصائده قصيدته الطويلة المسماة بـ "قصيدة سلامية". هذه القصيدة السلامية المعروفة بـ"المنظومة السلامية في مدح خير البرية" ترجمها من الأردية إلى العربية نثرا الأستاذ الحازم محمد أحمد محفوظ، وقام بشرحها ونقلها إلى العربية شعرا الأستاذ الدكتور حسين مجيب المصري عميد الأدب الإسلامي المقارن من مواليد عام 1916م اشتهر لعمله الدؤوب في التعريف بالشعراء و الأدباء الهنود في مصر، وله ديوان آخر من مختارات شعر الشيخ أحمد رضا خان المعروف بـ"صفوة المديح في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وآل البيت والصحابة والأولياء"، ترجمه من الشعر الأردي إلى النثر العربي الأستاذ حازم محمد أحمد، ونقله إلى الشعر العربي الدكتور حسين مجيب المصري [32] (نقل المصري من ديوان محمد إقبال شاعر الهند وباكستان "زبور العجم"(زبورِ عجم) و"رسالة الخلود"(جاويد نامه) و"هدية الحجاز" (اَرمغانِ حجاز) إلى العربية شعرا. و وضع عنه أحد عشر كتابا منها:

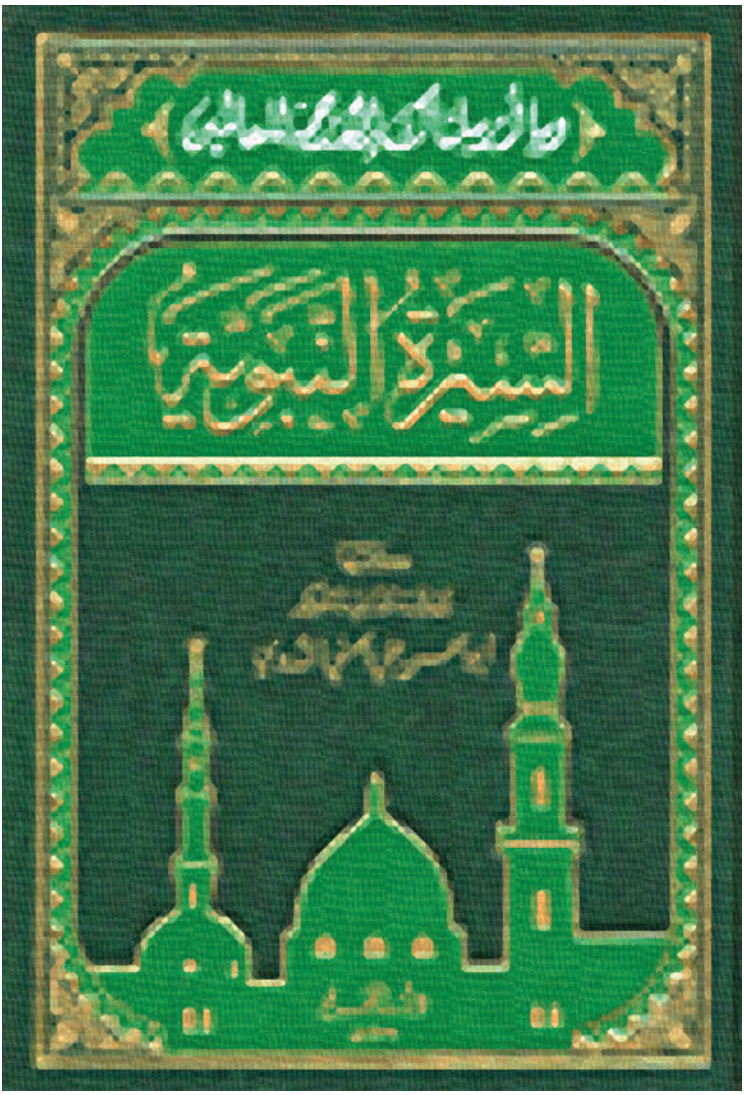
السيرة النبوية

"إقبال بين المصلحين الإسلاميين"، و"إقبال والعالم العربي"، و"الأندلس بين شوقي وإقبال"، و"إقبال والقرآن").

46. قام الدكتور فيضان الله الفاروقي المترجم البارع بترجمة "الرسائل النبوية" للدكتور عبد اللطيف كانو تحت مسمى "رسول الله صلى الله عليه وسلم كى خطوط . ايك تنقيدي جائزه".[33]

47. ترجم الأستاذ الدكتور محسن عثماني الندوي قصائد الأستاذ أمين حسيني الكتبي في المدائح النبوية المعروفة بنفح الطيب في مدح الحبيب من العربية إلى الأردية باسم "أمين حسيني كتبي كا نعتيه كلام". فهذه الترجمة ترجمة رائعة نالت قبولا واسعا بين الأوساط العلمية الأدبية. والدكتور محسن عثماني الندوي عميد كلية الدراسات العربية الأسبق بجامعة اللغة الإنكليزية واللغات الأجنبية بحيدرآباد يعد من كبار أساتذة اللغة العربية الذين أجادوا فن الترجمة وأغنوا المكتبة العربية والأردية بترجماتهم ومؤلفاتهم. [34]

48. ترجم الأستاذ مولانا محمد وثيق الندوي (وهو المدرس بدار العلوم لندوة العلماء لكناؤ) كتابا ألفه الكاتبُ الإسلاميُ الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي (مدير الشؤون التعليمية بدار العلوم لندوة العلماء، لكناؤ)، من العربية إلى الأردية باسم "محسن انسانيت". وطبع الأصل والترجمة في مطبع دار الرشيد بلكناؤ، الهند، عام 2010م. وكتاب واضح رشيد الندوي في الحقيقة مجموعة مقالات بالعربية تحت مسمى "لمحات من السيرة النبوية والأدب النبوي". يهدف هذا الكتاب إلى دراسة السيرة النبوية (على صاحبها ألف سلام) من ناحية أخلاقه وسلوكياته، ومن ناحية منهج تعليمه وتربيته. يعالج المؤلف جوانب الرحمة والعفو في السيرة النبوية، ويقوم بتفنيد ما روّجه أعداء الإسلام من أباطيل ومحاولات متكررة ومستحدثة للإساءة إلى ذات الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنه في الأصل مجموعة من المقالات التي كتبها المؤلف بعدة مناسبات يستهدف بها رد حملة الأقلام

في أوربا ودهائهم ضد الإسلام والنبي الكريم بحيث أعداء الإسلام والمسلمين في الغرب يكررون الإساءة إلى ذات خاتم النبي صلى الله عليه وسلم. كتب المؤلف هذه المقالات تجاوبا لدعوة غيرته الإيمانية. وهو يقول:"صدرت في هذا العصر للمواجهة العارمة للهجوم على الإسلام وذات رسول الله صلى الله عليه وسلم، كتب في السيرة والتاريخ الإسلامي ورد شبهات المستشرقين وتفنيد افتراءاتهم. وليست هذه المقالات إضافة علمية إلى هذه الكتابات القيمة إنما هي بمثابة التعبير عن الشوق والرغبة في الإسهام في محاولة عرض الجوانب اللافتة في سيرة الرسول الكريم التي ظهرت فيها الرحمة والعفو والتربية والتعليم وملامح الأسوة الحسنة والدلالة على طرق الاقتباس من مشكاة نبوته وأسوته الحسنة."[35] يشتمل هذا الكتاب على خمسة أقسام، ويقع في 223 صفحة في الحجم المتوسط، قامت بطبعه ونشره دار الرشيد لكناؤ الهند عام 1431هـ 2010م.

ومن أشهر الكتب المترجمة من العربية إلى الأردية مما ألف في السنوات القريبة الماضية، واشتهرت في أيامنا هذه، بعض ما يلي[36]:

1. "السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث: دروس وعبر" للدكتور علي محمد الصلابي، ترجمه الشيخ محمد يونس بت، والشيخ محمد إدريس السلفي، والشيخ محمد نديم شهباز.
2. "السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية" للدكتور مهدي رزق الله، ترجمه إلى الأردية شيخ الحديث حافظ محمد أمين.
3. "أطلس السيرة النبوية" للدكتور شوقي أبو خليل، ترجمه إلى الأردية شيخ الحديث حافظ محمد أمين.
4. "النبي الأمي" وهو كتاب مترجم إلى الأردية؛ للعلامة الشيخ أحمد بن حجر القاضي في المحكمة الشرعية في قطر بعنوان: "الرد الشافي الوافر على

من نفى أمية سيد الأوائل والأواخر". قام بترجمته إلى الأردية الشيخ مختار أحمد الندوي.

5. "مسيحي يدافع عن محمد" للدكتور نبيل لوقا بباوي، ترجمه من العربية إلى الأردية الأستاذ الدكتور يوسف عامر(اسم الشهرة: د. يوسف عامر، تاريخ الميلاد: 1964/10/31م)، أستاذ بقسم اللغة الأردية وآدابها، كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر.
6. فقه السيرة النبوية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي العالم الديني السوري الشهير، ترجمه من العربية إلى اللغة الأردية السلسة الرائعة الدكتور محمد رضي الإسلام الندوي باسم "سيرت رسول صلى الله عليه وسلم – دروس اور نصائح". لم يكتف المؤلف بسرد وقائع السيرة النبوية وأحداثها فحسب، بل قام بإفادة الأحكام والفوائد والدروس والنصائح التي تضمرها تلك الوقائع في طيها، وذلك بعناوين مستقلة، والكتاب حافل بالأبعاد الأدبية والتدريسية و التذكرية التي تأثر القراء وتثير العواطف الوجدانية في نفوسهم. وقام بنشر هذه الترجمة "مركزي مكتبه إسلامي ببلشرز، نيو دلهي".

الاهتمام باختصار الكتب المطوّلة في السيرة النبوية:

قام العلماء والباحثون بتهذيب بعض المطولات في السيرة واختصارها؛ لتقريب وتيسير الاستفادة منها ومن هذه الكتب [37]:

1. "الشمامة العنبرية من مولد خير البرية باللغة الأردية"، تلخيص نواب صديق حسن خان القنوجي (1248هـ – 1307هـ)، وهذا الكتاب تلخيص لكتاب "نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار"، لمؤمن بن حسن الشبلنجي المصري، المتوفى بعد عام 1308هـ.
2. "تهذيب وتلخيص كتاب دلائل النبوة" لأبي نعيم الأصبهاني، باللغة العربية، لخصه الشيخ أبو المكرم (1383هـ – 1425هـ).

3. قام المولوي إنشاء الله خان رئيس تحرير "وطن" الصادرة من لاهور (1870 . 1928م) بترجمة موجزة لسيرة ابن هشام باسم "سيرت الرسول" في ثلاثة مجلدات عام 1913م / 1914م، وقد عاونه المولوي محمد حليم ردولوي، وهذا الكتاب ليس ترجمة أو ملخصا فحسب بل شرحه المؤلف وأفاد بحواشي نافعة في كثير من المواضع، وترجم قطب الدين أحمد المحمودي الحيدرآبادي سيرة ابن هشام إلى الأردية، وطبعت الترجمة في مجلدين من دار الطبع للجامعة العثمانية بحيدرآباد.

مسك الختام

وفي الختام أقول إن سيرة النبي الأكرم محمّد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم كانت من أكثر سِير الرجال اعتناء على الإطلاق وتداولاً على مرّ التاريخ، فانبرى لسيرته الشريفة المآلف والمُخالف، والعالم والمتعلم، فسطر فيها ما لا يحصى من الأسفار، وأفنى الرجال فيها زهرة الأعمار. ومن المبدوء أن اللغة الأردية هي ثاني أكثر اللغات خدمة وتأليفاً ونشراً للسيرة النبوية، وتمتاز بالدقة، والجودة، وتنوع المؤلفات فيها وأن اللغات الأخرى التي ازدهر فيها التأليف في السيرة النبوية كاللغة الإنجليزية، والبنغالية، استفادت كثيراً من مؤلفات السيرة النبوية باللغة الأردية، ونقلت ترجماتها إلى لغاتها وأن كتب السيرة النبوية باللغة الأردية ذخيرة كبيرة ينبغي الاستفادة منها، وأنها تحتاج إلى خدمة أكبر.

يقول الأستاذ علي الطنطاوي عن الهند في إحدى مقالاته تحت عنوان "الفردوس المفقود في شبه القارة الهندية": "ولئن كان فردوس في الأندلس، فلنا الفردوس الأكبر في شبه القارة الهندية". وليس الطنطاوي مبالغا فيما قاله، و قد سجل التاريخ الإسلامي صفحات مشرقة من الحضارة الإسلامية على أرض الهند زهاء عشرة قرون. وفي هذه الفترة الطويلة كان اهتمام المسلمين الهنود بالثقافة العربية والإسلامية كبيرا، وقاموا بتقديم إسهامات جبارة في مضمار الدراسات العربية والإسلامية.

ولا يشك أحد في الأمر أن أكبر اهتمام المسلمين كان بترجمة القرآن الكريم وتفسيره إلى اللغات الهندية. فتفيدنا المصادر الموثوق بها أن عدد تراجم القرآن الكريم إلى اللغات الهندية تربو على مائتي (200) ترجمة وتفسير، منها فقط إلى اللغة الأردية 50 ترجمة، كما اعتنى الهنود بترجمة الأحاديث الشريفة إلى اللغات الهندية، وحظيت الأردية بنصيب أوفر فيها حيث يتجاوز عدد ترجمات الأحاديث فيها عن 70 ترجمة ما بين صغيرة وكبيرة. [38]

وأما عناية علماء شبه القارة الهندية بالترجمة لكتب السيرة النبوية وجهودهم المخلصة في حفظها ونشرها عن طريق النقل من العربية إلى الأردية و على العكس فهي من ثوابت التاريخ الإسلامي. و لجودة الكتب التي ألفت في السيرة النبوية باللغة الأردية والعربية تم ترجمة كثير منها إلى العربية والأردية، كما اهتم هؤلاء العلماء من شبه القارة الهندية بترجمة المصادر المهمة من العربية إلى الأردية، وترجمت خلال الأعوام الأخيرة مؤلفات عديدة في موضوع السيرة النبوية، ولا يزال عمل النقل والترجمة في هذا المضمار في ازدياد مستمر.

الهوامش:

[1] . الدكتور سعيد الرحمن الأعظمي الندوي: أسوه حسنه كى آئينه مين، مطبعة باريكه آفسيت برنتنك بريس، شارع ندوة العلماء، لكناؤ، عام 2000م، ص 227.

[2] . عبد العزيز الميمني: أبو العلاء ما له وما عليه، المقدمة، ص 5، مطبعة السلفية، القاهرة عام 1344هـ.

[3] . الدكتور محمد أكرم الندوي: السيد سليمان الندوي أمير علماء الهند في عصره و شيخ الندويين، دار القلم بدمشق، عام 2001م، ص 136.

[4] . www.neelwafurat.com، والحافظ توقير أحمد: هندوستان مين عربي سيرت نكاري، مجلة معارف الأردية، مارس 1997م، ص 215.

[5] . من تقديم الشيخ سيد أبي الحسن علي الندوي للكتاب "الإسلام الممتحن" للأستاذ سيد محمد الحسني، ص 16 . 17.

[6] . مقدمة كتاب "الطريق إلى المدينة" لسيد أبي الحسن علي الندوي، مطبعة المجمع الإسلامي العلمي، لكناؤ، الطبعة السادسة، عام 2000م.

[7] . قاموس الكتب اردو ج1 ص 683 ، فهرست بنجاب ببلك لائبريري لاهور، عام 1936م ص 29.

[8] . خطبات كارسان دتاسي: ص 93، قاموس الكتب اردو ج1 ص 723.

[9] . الدكتور أنور خالد محمود: اردو نثر مين سيرت رسول الله، الطبعة الأولى عام 1989م، اقبال أكادمي باكستان، لاهور، حمايت اسلام بريس، لاهور، ص 364، فهرس مكتبة انجمن ترقي اردو، جامع مسجد دلهي، ص 26، قاموس الكتب اردو، ج1 ص 727.

[10] . الدكتور محمد حسان خان: الأستاذ المعظم نثار أحمد الفاروقي ومساهمته في فن الترجمة، مقالة منشورة في مجموعة مقالات قسم اللغة العربية بالجامعة العثمانية عام 2010م بعنوان "دور الترجمة في تعزيز العلاقات العربية الهندية في العصر الحديث" ص 39 . 40.

[11] . المصدر نفسه.

[12] . الدكتور أنور خالد محمود: اردو نثر مين سيرت رسول الله، ص 701.

[13] . فهرست اردو مخطوطات، الجامعة العثمانية، ص 21.

[14] . الدكتورة عائشة رئيس: خدمات دار العلوم ديوبند في حقل الترجمة، مجموعة مقالات الندوة الوطنية الثالثة لعام 2010م بعنوان "دور الترجمة في تعزيز العلاقات العربية الهندية في العصر الحديث" تحت رعاية وإشراف قسم اللغة العربية بالجامعة العثمانية بحيدرآباد، نقلا عن: د. حبيب الله خان: الترجمة العربية في الهند بعد الاستقلال، دار سليمان للطباعة والنشر دلهي الجديدة، الطبعة الأولى 1997م، ص:139.

[15] . الدكتور محمد أنظرالندوي (كاتب هذه الأسطر): رسالة الدكتوراه بعنوان "دراسة مقارنة ونقدية بين كتب السيرة النبوية التي ألفت باللغتين: الأردية والعربية في مصر والهند خلال

القرن العشرين"، تم تقديمها إلى المعهد المركزي للغة الإنجليزية واللغات الأجنبية (جامعة إيفلو حاليا) بحيدرآباد، عام 2006م، ص 116.

[16] . الدكتور أنور خالد محمود: اردو نثر مين سيرت رسول الله، ص 444 . 449.

[17] . المصدر نفسه.

[18] . اردو دائره معارف إسلاميه ، باكستان، ج1 ص 467 . 472، 482 . 484.

[19] . الدكتور أنور خالد محمود: اردو نثر مين سيرت رسول الله، ص 294 . 301.

[20] . الدكتور محمد أنظر(كاتب هذه الأسطر): رسالة الدكتوراه بعنوان "دراسة مقارنة ونقدية بين كتب السيرة النبوية التي ألفت باللغتين: الأردية والعربية في مصر والهند خلال القرن العشرين"، ص 116.

[21] . الدكتور أنور خالد محمود: اردو نثر مين سيرت رسول الله، ص 669.

[22] . د. حبيب الله خان: الترجمة العربية في الهند بعد الاستقلال، دار سليمان للطباعة والنشر دلهي الجديدة، الطبعة الأولى 1997م، ص:141.

[23] . المصدر نفسه.

[24] . تالستائي: بيغمبرِ اسلام، ترجمة: المولوي محمد فيض الحسن، عام 1920م ، كارخانه بيسه أخبار، خادم التعليم ستيم بريس، لاهور.

[25] . الدكتور أنور خالد محمود: اردو نثر مين سيرت رسول الله، ص 240.

[26] . فضل علي فضلي: كربل كتها، اداره تحقيقات اردو، بتنه، 1965، ص 16.

[27] . الدكتور أنور خالد محمود: اردو نثر مين سيرت رسول الله، ص 294 . 301.

[28] . أشرف علي التهانوي: نشر الطيب في ذكر النبي الحبيب، تاج كمبني لاهور، كراتشي، ص 6، 330. اردو نثر مين سيرت رسول الله، ص 499.

[29] . رشيد رضا: مجلة المنار، العدد: 10 / أبريل عام 1933م.

[30] . أحمد رضا خان: تجلي اليقين بأن نبينا سيد المرسلين، تعريب وتحقيق:الشيخ نعمان الأعظمي الأزهري، ص 7، مركز أهل السنة بركات رضا، غجرات، عام 2006م.

[31] . الشيخ أحمد رضا خان: "إزاحة العيب بسيف الغيب حول علم النبي صلى الله عليه وسلم" تعريب: الشيخ إسحاق الرضوي مركز أهل السنة، نقلا عن المقالة بعنوان مؤلفات

الشيخ أحمد رضا خان المترجمة إلى العربية، مجموعة مقالات الندوة الوطنية الثالثة لعام 2010م المنشورة من قسم اللغة العربية بالجامعة العثمانية بحيدرآباد بعنوان "دور الترجمة في تعزيز العلاقات العربية الهندية في العصر الحديث.

[32] . أحمد رضا خان والعالم العربي: مجلة معارف رضا (في العربية)، ص 4، 149، عام 2006م، نقلا عن المقالة بعنوان مؤلفات الشيخ أحمد رضا خان المترجمة إلى العربية، مجموعة مقالات الندوة الوطنية الثالثة لعام 2010م المنشورة من قسم اللغة العربية بالجامعة العثمانية بحيدرآباد بعنوان "دور الترجمة في تعزيز العلاقات العربية الهندية في العصر الحديث.

[33] . الدكتور مظفر عالم: دور الجامعات الحكومية الهندية في النهوض باللغة العربية وآدابها، مقالة منشورة في مجلة كاليكوت الصادرة من قسم العربية، جامعة كاليكوت، كيرالا، العدد الأول من المجلد الثالث، أغسطس 2012م.

[34] . المصدر نفسه.

[35] . محمد واضح رشيد الندوي: لمحات من السيرة النبوية والأدب النبوي، دار الرشيد، لكناؤ، عام 1431هـ/ 2010م، ص6.

[36] . عبد الأحد بن عبد القدوس نذير: جهود علماء شبه القارة الهندية في خدمة السيرة النبوية، مقالة قدمت إلى المؤتمر الدولي الأول للسيرة النبوية الشريفة الذي أقامته جامعة إفريقيا العالمية، عام 1434هـ / يناير 2012م.

[37] . المصدر نفسه.

[38] . شاهجهان مادامبات حسن: ورقة بحثية قدمت في ندوة عربية تحت عنوان "العرب يتجهون شرقا" – الكويت . يناير/كانون الثاني 2011 م.

البروفيسور محمد سليمان أشرف معلما و كاتبا

د. نعيم الحسن الأثري*

{كان الأستاذ أشرف عالما كبيرا ومعلما مثاليا، وكاتبا متضلعا، صادقا في قوله، مجتهداً دؤوباً في العمل. أتقن عدة لغات نطقا وكتابة. وجدت له قدرة فائقة في مجال التعليم والتربية. كان يحافظ على المواعيد ويواظب على الدروس. ويحب تلاميذه حبا جما. أشفق عليهم كأب كريم، فلم يراجعه أحد إلا وقد أفاده ونفعه بنور علمه. وكان يساعد الباحثين ويراجع بحوثهم بغاية العناية والاهتمام ولو كانت البحوث تحت إشراف أي أستاذ كان، فقد أشرف على عشرات الرسائل والبحوث حول موضوعات عديدة. ولقد كان قدوة حسنة للأساتذة والطلاب، والدارسين والباحثين، كان بمثابة جامعة تُشَدّ إليها الرحال. كان مخلصا متواضعا جدا. كان يكرّم الضيوف ويحترم كل صغير وكبير، فلم يسأله أحد عن أي شيء إلا أجابه بطلاقة الوجه. وكان محبا للكتب، مشغوفا بها. جمع في مكتبته الشخصية كتبا قيمة نادرة في كل موضوع وفي عدة لغات حتى أصبحت مكتبة شاملة تلبي حاجة من يتقصد إليها، ولله دره}.

هو الأستاذ البروفيسور محمد سليمان أشرف رئيس قسم اللغة العربية وآدابها الأسبق بجامعة دلهي، من قلائل علماء الهند الأفذاذ والأساتذة البارعين المخلصين الذين أناروا في الهند مصابيح العلم، وأفنوا حياتهم في سبيل التعليم والتربية. كان ذا صفات يندر أن تجتمع لسواه من العلماء وأهل الفضل. أكب على

---

* أستاذ مشارك ، قسم اللغة العربية، جامعة دلهي، الهند.

العلم وشُغِل به واجتهد فيه وآثره على الزَواج، فكان الأستاذ عالما كبيرا، ومحققا عظيما، حاد الذكاء ودقيق النظر. وكان له باع طويل في مختلف العلوم والفنون. ألف عددا من الكتب النافعة وله مقالات ودراسات علمية قيمة. شارك في عدة ندوات وطنية ومؤتمرات دولية على مستوى العالم. وانتُخِب عضوا لعديد من المجامع العلمية والأدبية. ونال جائزة رئيس الجمهورية التقديرية (Presidential Award) سنة 2000م لخدماته الجليلة لترويج ونشر اللغة العربية في الهند.

وكان معروفا لدى عامة الناس وفي الأوساط العلمية باسم الأستاذ أشرف (وبالأردية أشرف صاحب) بدل اسمه الكامل أي محمد سليمان أشرف بن يوسف علي، ومن سمع اسمه ظن أن كلمة "أشرف" إما جزء لا يتجزأ لاسمه أو لقبه بالنسبة إلى والده أو جده، فلما سئل عنه أجاب قائلا بأن تسميته بهذا الاسم (يعني أشرف) ليس إلا بسبب تأثره بأستاذه الفاضل سيد سليمان أشرف الذي كان من كبار أساتذة قسم العلوم الشرعية بجامعة علي جراه الإسلامية واشتهر لتبحره في العلوم العقلية والنقلية، فلازمه وبدأ يكتب اسمه محمد سليمان أشرف. وأما اسم والده فهو السيد يوسف علي من سكّان مدينة عليجراه التاريخية.

نشأته ودراسته:

ولد الأستاذ أشرف في مدينة عليجراه بولاية أترابراديش في 17/ يونيو سنة 1934م. وتلقى التعليم الابتدائي في إحدى الكتاتيب بالمدينة، ثم التحق بالمدرسة اللطفية الشهيرة آنذاك الواقعة بالمسجد الجامع بمدينة عليجراه. وقرأ على كبار أساتذتها كتبا متداولة في التفسير والحديث والفقه والأصول والمنطق والفلسلفة، وتخرج فيها سنة 1953م، كما حصل على شهادة العالمية بدرجة ممتازة من هيئة الامتحانات باللغة العربية والفارسية بإله آباد، أترابراديش (الهند). ولم يقتنع بما تعلم من العلوم النقلية والعقلية في المدرسة اللطفية فالتحق بجامعة عليجراه الإسلامية للحصول على التعليم العالي المعاصر على أيدي أساتذتها الكبار أمثال المحقق

الشهير والناقد الكبير العلامة عبد العزيز الميمني[1] رحمه الله صاحب سمط اللآلي، وحصل على شهادة الماجستير بالدرجة الممتازة سنة 1960م.

واستفاد كثيرا من العلامة الميمني رحمه الله كلّما سنحت له الفرصة، كما ذكر في إحدى محاضراته في الفصول التدريسية أنه كان يرافقه ذهابا وإيابا إلى السوق راكبا على الدراجة وهما كانا يحاوران ويتداولان الكلام في اللغة والأدب نثرا وشعرا. وكان العلامة الميمني في تلك الأيام يفضّل ركوب الدراجة لاشتراء حاجاته اليومية من السوق كما أشار إليه الأستاذ أشرف في كتابه "دراسات تاريخية وأدبية": "وكان (العلامة الميمني) يحب أن يشتري بنفسه حاجاته اليومية من السوق وكان يركب الدراجة إلى المدينة لشرائها. وقال لي مرة: "إني لا أحب أن أترك طريقة النبي صلى الله عليه وسلم[2] لعدم استحباب الناس بها"[3]. فكان الأستاذ أشرف يسأله عن شيء والعلامة كان يجيبه ويردّ عليه مهما كانت الأسئلة من نوعها. فاغتنم هذه الفرصة الذهبية وحاول أن ينتفع به أكثر فأكثر، واكتسب من ورائه خيرا كثيرا، فأصبح ذلك الوقت أكثر نفعا وقدرا من قراءة الكتب جالسا في المكتبات العامة، وهو لم يكن من الطلبة المسّجلين لدى الشيخ بحثا أو دراسة.

ثم التحق بجامعة دلهي كمحاضر ولكنه كان يرغب في مواصلة الدراسة العليا فلنيل المرام وتحقيق أمنيته المنشودة غادر إلى مصر سنة 1966م للبحث والتحقيق خارج البلاد، والتحق بكلية دار العلوم بالقاهرة. وحصل على شهادة الدكتوراه على أطروحته العلمية والنقدية حول "تأثير الشعر الإنجليزي على الشعر العربي الحديث[4]" التي أعدها تحت إشراف الأستاذ حمدي سكّوت. والجدير بالذكر هنا أنه حين التحق بجامعة دار العلوم بالقاهرة تم تسجيله أولا تحت إشراف البروفيسور شكري محمد عياد[5] ولكنّه لسبب من الأسباب التقنية اضطر إلى إكمال بحثه تحت إشراف الأستاذ حمدي السكّوت. فنال درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى سنة 1970م.

اشتغاله بالتدريس والتربية:

تنقل الأستاذ أشرف في عدة وظائف التدريس والتربية فتم تعيينه أولا كمدرس في المدرسة اللطفية بعليجراه التي تخرج فيه وحصل على شهادة الفضيلة، وقام بأداء مهام التدريس بكل نشاط وحماسة نحو ثماني سنوات(1953–1960م)، ثم ارتحل إلى دلهي وعُيّن محاضرا في كلية ذاكر حسين المعروفة بدلهي كالج آنذاك سنة 1960م وعمل حتى عام 1966م.

ثم سافر إلى مصر ومكث هناك ما يربو على خمس سنوات (من 1966م إلى 1972م) ثم عاد إلى الهند وعيّن أستاذا مشاركا في قسم اللغة العربية بجامعة دلهي (1972م)، ثم تم ترقيته إلى درجة البروفيسور في نفس الجامعة سنة 1986م. وأحيل إلى المعاش في عام 1999م. ولكن علاقته بالجامعة لم تنقطع بعد تقاعده بل ازداد انتماؤه ورغبته في تربية الطلاب والباحثين فاستمر في التدريس حتى لفظ أنفاسه الأخيرة.

وفاتـه:

عاش رحمه الله حياة طيبة ورُزِق علما وافرا استفاد منه الخلائق وانتفع به الطلاب والباحثون وكَثُر نفعه فبقي بنفعه في أعماق القلوب كقوله تعالى ﴿وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض[6]﴾. وقام بالتدريس نحو خمسين سنة أو أكثر بالمواظبة والدوام، حتى جاء إلى جامعة دلهي يوم الخميس وألقى محاضرة قيمة نافعة جدا انتفع بها الطلبة وقابل جميع الأساتذة والباحثين بطلاقة الوجه وبعد المحاضرات اليومية رافقناه للوداع إلى سيارته الواقفة بباب الجامعة في الانتظار للمغادرة إلى بيته وودعنا بقلب حزين، قائلا: "هذا فراق بيني وبينكم" فأصبح ذلك اليوم اليوم الأخير في رحاب الجامعة. وفوجئنا صباح يوم الأحد الموافق الثاني من شهر أكتوبر سنة 2011م بنبأ حزين أن الأستاذ قد لبى نداء ربه في بيته بشقة شاكسارا بباشم فيهار، دلهي الجديدة عن عمر ناهز السابعة والسبعين، ونُقِل جثمانه

إلى بتلا هاؤس، جامعة ناجر حيث دفن في مقبرة المسلمين بالقرب من الجامعة الملية الإسلامية بنيو دلهي، تغمده الله بواسع رحمته وأدخله فسيح جنانه.

من تلامذته البارزين والمتفوقين على أقرانهم:

كان رحمه الله كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا فاستفاد منه كثير من الناس وأخص بالذكر هنا عددا كبيرا من الطلبة والباحثين الذين كانوا تحت رعايته وإشرافه خلال أيام الدراسة أو أثناء إعداد بحوثهم الجامعية تحت إشرافه منذ قام بمهام التدريس في عهد شبابه وطال به الزمن في وظيفة التدريس فطال فهرس التلامذة الذين انتفعوا به واستفادوا منه ومدّ إليهم يد الشفقة وهذّبهم أحسن التهذيب وقام بتربيتهم ونقّاهم غاية التنقية وصقّلهم وجلاهم ولمّعهم حتى زاد لمعانهم وارتفع صيتهم فهم يتألقون في سماء الدنيا كالنجوم المتألقة أمثال:

1. المرحوم البروفيسور نثار أحمد الفاروقي رئيس قسم اللغة العربية وآدابها الأسبق بجامعة دلهي.
2. والبروفيسور زبير أحمد الفاروقي رئيس قسم اللغة العربية الأسبق بجامعة دلهي.
3. والبروفيسور سيد إحسان الرحمان رئيس مركز الدراسات العربية والإفريقية الأسبق بجامعة جواهر لال نهرو ورئيس التحرير للمجلة "ثقافة الهند" الصادرة من المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، نيو دلهي حاليا. وكان أيضا المستشار الثقافي بسفارة الهند في القاهرة ومدير المركز الثقافي الهندي في القاهرة خلال الفترة يونيو 1995 حتى يناير 1999م.
4. والمرحوم البروفيسور عبد الحق شجاعت علي أستاذ مركز الدراسات العربية والأفريقية بجامعة جواهر لال نهرو بنيو دلهي.

5. والبروفيسور ذكر الرحمان رئيس المركز الثقافي العربي الهندي بالجامعة الملية الإسلامية ومدير مجلة "ثقافة الهند" سابقا. وكان أيضا دبلوماسيا كبيرا في القنصلية العامة الهندية لدى فلسطين.
6. والبروفيسور رفيع العماد فينان أستاذ اللغة والأدب العربي بالجامعة الملية الإسلامية بنيو دلهي.
7. والبروفيسور محمد نعمان خان رئيس اتحاد أساتذة وعلماء اللغة العربية لعموم الهند، ورئيس قسم اللغة العربية بجامعة دلهي سابقا.
8. والمرحوم الدكتور شفيع الرحمان أستاذ الأدب العربي بجامعة دلهي.
9. والسيد أنيس الرحمان رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بكلية ذاكر حسين سابقا.
10. والسيد عتيق أحمد أستاذ قسم اللغة العربية وآدابها بكلية ذاكر حسين بجامعة دلهي.
11. والسيد شبيه الحسن أستاذ قسم اللغة العربية وآدابها بكلية ذاكر حسين بجامعة دلهي.
12. والدكتور شمس كمال أنجم رئيس قسم اللغة العربية بجامعة بابا غلام شاه بادشاه براجوري، ولاية جامو وكشمير.
13. وهذا الباحث المتواضع[7] الذي تشرف لحسن حظه بإكمال دراسته تحت إشرافه وسنحت له الفرصة أن ينتفع به خيرا كثيرا من تبحر علمه في الأدب واللغة والترجمة من الإنجليزية إلى العربية وبالعكس، وما إلى ذلك.

وهناك عدد كبير من الأساتذة والباحثين لايمكن إحصاء أسماءهم جميعا في هذا البحث المتواضع ولكلٍ أعمالٌ جليلة وإسهامات قيمة بارزة في اللغة العربية وآدابها والثقافة الإسلامية.

إسهاماته العلمية في الندوات والمؤتمرات

شارك الأستاذ أشرف في عدة مؤتمرات وندوات وطنية ودولية على مدى الحياة وقدّم دراساتٍ وأبحاثا علمية قيمة، أهمها:

1. المؤتمر الشعري الثامن، بالمربد، بغداد ، قدم البحث بعنوان:
"Influence of the English poetry on the poetry of Egyptian Poet al-mazni"
2. المؤتمر التاريخي الثالث برأس الخيمة، الإمارات العربية المتحدة، عام 1990م، قدم البحث بعنوان: "Relationship between Arabian Gulf and the Sub-Continent of India"
3. الكونغريس الدولي الثالث والثلاثون للدراسات الآسيوية والإفريقية عام 1990م، قدم مقاله بعنوان: "India nd Arabic Literature"
4. ندوة سلسلة المحاضرات البروفيسور خورشيد أحمد فارق التذكارية، قدم محاضرة قيمة بعنوان: "الهند والهنود في الأدب العربي"

وبالإضافة إلى ذلك شارك في عدة ندوات وطنية ودولية انعقدت في الجامعات الإسلامية والجامعات للعلوم العصرية في الهند وخارجها وقدم مقالات ومحاضرات قيمة حول موضوعات شتى.

مؤلفاته

كان الأستاذ أشرف عالما كبيرا وكاتبا بارعا، متقنا عددا من اللغات وكانت له مَلَكَة تامة في الكتابة والتحرير بالعربية والإنجليزية، والفارسية والأردية. ظل يكتب دراسات وأبحاث علمية قدمها في الندوات والمؤتمرات على مدى حياته كما كان يلقي محاضرات عن طريق إذاعة الراديو لعموم الهند وترك تراثا علميا لا بأس به ولو أنه بدأ نشر كتاباته القيمة في آخر حياته. وله مؤلفات عديدة ومقالات قيمة شيقة نشرت في مجلات علمية وأكاديمية عديدة. ومن أهم مؤلفاته:

1. Islamic Society in the Shadow of Justice ترجمة إنجليزية لكتاب "المجتمع الإسلامي في ظل العدالة" للدكتور صلاح الدين المنجد.
2. دراسات تاريخية وأدبية (مجموعة الدراسات والأبحاث العلمية)
3. حالي والأدب العربي (بالعربية)
4. دراسة مقارنة بين الشعر العربي والشعر الإنجليزي (بالعربية)

أما **كتابه الأول** Islamic Society in the Shadow of Justice فهو ترجمة علمية وفنية باللغة الإنجليزية لكتاب "المجتمع الإسلامي في ظل العدالة" للكاتب الشهير الدكتور صلاح الدين المنجد. وكانت بينهما علاقة وطيدة وصداقة وثيقة. وعند زيارته للهند التمس منه المؤلف أن يترجم هذا الكتاب من العربية إلى الإنجليزية فقام بترجمته إلى الإنجليزية. وطبع الكتاب أول مرة من بيروت ثم من دلهي عام 2005م.

ومن ميزات هذا الكتاب أنه يلقي ضوءً كاملا على المجتمع الإسلامي ويقدم صورة صافية لكافة مقومات المجتمع الإسلامي سياسيا واقتصاديا وثقافيا. ويقدم للعالم ما يعلمه القرآن والأحاديث النبوية من مبادئ الشرعية الإسلامية السمحة. وفي الحقيقة ليس هذا الكتاب إلا ترجمة فنية رائعة تدل على إتقان المترجم اللغتين العربية والإنجليزية وبراعته في الترجمة حتى لايحس القارئ أهي ترجمة كتابٍ مكتوب باللغة العربية أم نص كتاب منشور بالإنجليزية البحتة لغاية الدلالة على معاني الكلمات وسهولة البيان ودقة التعبير.

ونقدم هنا على سبيل المثال فقرتين من ترجمة الكتاب بالإنجليزية:

"Anyone who studies the Islamic system through the Islamic society, which we have described, he will find that its principles are not found in any early religion in such complete and subtle way. Likewise it is also not to be found with such perfection in any contemporary economic system such as Marxism, Communism, or various kinds of socialism or capitalism"[8].

كما يقول:

"Verily the Islamic system encompasses everything, the religion, world, politics, economics, education and social life. It did not neglect any aspect of human life. As the man understands it more and as he applies its principles, he sticks to it and gets more benefits…… It is sufficient that it kept the individual away from all the evils like malice, revolt, shedding blood, disturbances, falsehood, accusing, defaming, usurping the money, disgracing, spying and treading on other's rights"[9].

البروفيسور محمد سليمان أشرف (١٩٣٤- ٢٠١١م)

والكتاب الثاني "دراسات تاريخية وأدبية" طبع في عام 2004، ويشتمل على 119صفحة. وهو كما يترشح من اسمه مجموعة خمس مقالات رائعة قدمها في المؤتمرات والندوات الوطنية والدولية، حول الموضوعات التالية:

1. "العلاقات التاريخية القديمة بين الخليج العربي وشبه القارة الهندية مع ظهور الإسلام وانتشاره"،
2. "عبد العزيز الميمني الراجكوتي الأثري وأسلوبه في كتابة اللغة العربية"،
3. "الأستاذ خورشيد أحمد فارق كمحقق
4. تأثير الشعر الإنجليزي على شعراء مدرسة الديوان
5. شعر المقاومة والثورة في الهند والعالم العربي (دراسة مقارنة)

وهذه بحوث علمية قيمة ودراسات قدمت في الندوات العلمية والحلقات الأكاديمية المختلفة.

فالبحث الأول كما أشار إليه المؤلف: "يتناول العلاقات التاريخية القديمة بين الخليج العربي وشبه القارة الهندية. وهذه العلاقات كانت متنوعة من تجارية وثقافية وسياحية. وقد ورد ذكر الهند وفولادها وعقاقيرها في الكتب العربية حتى في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، يروي أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن ملك الهند أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم جرة فيها زنجبيل فأطعم أصحابه وأطعمني قطعة. وكتاب الحكمة المعروف للهند "بنج تنترا" لم يوجد إلا في الترجمة العربية لابن المقفع. والكاتب العربي الكبير الجاحظ ملأ عدة صفحات في وصف حكمة الهند وفلسفتها. والعرب منذ قديم الزمان كانوا يحبون الروائح، والمسك الهندي والعود والعنبر والصندل كانت من أحبها لهم. والسواح العرب مثل المسعودي والبيروني وابن بطوطة زاروا الهند ووصفوها وصفا دقيقا. وكانت بعض الأجناس الهندية مثل الأحامرة والبياسرة والتكاكرة والأساورة تسكن في البلدان العربية. والعرب أيضا هاجروا إلى البلاد الهندية وعاشوا فيها"[10].

وخلال بحثه قد استشهد الأستاذ أشرف من كتب الأدب العربي وكتب الرحلات وكتب تاريخ البلدان لإثبات العلاقات وتوطيدها بين البلدان العربية والبلاد الهندية. وقد تصفح كتبا عديدة وأمعن النظر فيها كباحث جامعي يقدم أطروحته إلى جامعة ما للحصول على درجة الدكتوراه، فنراه قد راجع في إعداد هذا البحث العلمي إلى أمهات كتب التاريخ والأدب قديما وحديثا مثل نهاية الأرب للنويري، وصبح الأعشى للقلقشندي، والمسالك والممالك لابن خرداذبه، وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي، وآثار البلاد وأخبار العباد للقزويني، والأخبار الطوال للدينوري، ومعجم البلدان لياقوت الحموي، ومروج الذهب للمسعودي، وتقويم البلدان لأبي الفداء، ونزهة المشتاق للشريف الإدريسي، والتكملة لأبي زيد السيرافي، وكتاب الأزمنة والأمكنة للمرزوقي، ورحلة ابن بطوطة، ورحلة سليمان التاجر، و العلاقات العربية الهندية للدكتور مقبول أحمد عرب وهند کے تعلقات (العلاقات بين العرب والهند) للسيد سليمان الندوي.

والبحث الثاني كما يقول الكاتب حول شخصية هندية فذة – و هو العلامة عبد العزيز الميمني رحمه الله. وهذا المقال يحيط بعبقرية العلامة الميمني إحاطة تامة، وقد جمع الكاتب فيه معلومات نادرة لاتوجد في كتب أخرى وحاول كشف القناع عن بعض الجوانب غير المعروفة في الأوساط العلمية عن حياة العلامة الميمني. وأسلوبه رائع جدا في بيان صفاته وخلقه ومميزاته بدقة وأناقة مثلا يكتب: "وكان الميمني متواضعا جم التواضع، ومع سعة علمه وغزارة معلوماته وتدقيقه وتحقيقه وتمحيصه كان يكتب دائما مع اسمه "العاجز" و"خادم العلم". وكان مقتصدا في نفقاته ولم يحب أن ينفق فلسا في غير محله ومن ثم اختلق الطلبة حكايات وحكايات حول بخله وهي أقرب إلى الكذب منها إلى الحقيقة. وما يكذب الشائعات عنه هو منحه آلافا من الروبيات لندوة العلماء بلكهنؤ ومجمع اللغة العربية بدمشق وبعض المعاهد في لاهور، ومنحه ذخيرة كتبه النادرة والمخطوطات القيمة التي تقدر بمئات الألوف من الروبيات الهندية لجامعة السند في حيدرآباد السند (بباكستان).

وكان يحب أن يتبع السنن النبوية قدرما استطاع في أعماله الدينية والدنيوية. وكان يحب أن يشتري بنفسه حاجاته اليومية من السوق وكان يركب الدراجة إلى المدينة لشرائها. وقال لي مرة: إني لا أحب أن أترك طريقة النبي صلى الله عليه وسلم لعدم استحباب الناس بها. وكان يعتز بالكلمات "الأثري والسلفي والراجكوتي" التي يكثر ورودها في كتبه وبحوثه ومقالاته"[11]. وقام بدراسة مؤلفات العلامة الميمني ويعبر عن رأيه عن أسلوب العلامة الميمني: "وعندما كان يحرر الميمني العربية يبدو كأن الكلمات تتدفق وتنزل عليه من السماء. ومن الصعب أن تدرك معانيها ومفاهيمها بدون أن يراجع إلى القاموس"[12].

وأضاف قائلا: "يبدو من أول نظرة أن الميمني يتصنع ويتكلف في أسلوبه ولكن نظرا إلى غزارة علمه وبعد نظره ودقة اختياره وقوة حافظته نجد أن أسلوبه قد أصبح أسلوبا عاديا طبيعيا"[13].

والمقال الثالث في هذا الكتاب حول: "الأستاذ خورشيد أحمد فارق كمحقق". وهذا المقال بحث علمي شامل، قام فيه الأستاذ أشرف بتحليل نقدي للكتب التي ألفها البروفيسور خورشيد أحمد فارق رئيس قسم اللغة العربية بجامعة دلهي سابقا. وقد استعرض مؤلفاته سواء كانت محققة أو مؤلفة أو مترجمة وقدم صورة ناصعة للتصوير الفني الذي رسمه الأستاذ خورشيد أحمد فارق بقلمه السيال. وقد خص بالذكر كتابه المهم حول التعليقات الأدبية والنقدية على أمهات الكتب التي جمعها في سلسلة من الكتب باسم . "جائزے" باللغة الأردية. وقد أحاط جيمع جوانب شخصية الأستاذ فارق نقدا وبحثا فيقول: "للأستاذ فارق رحمه الله تخصصات عديدة، فكان محققا ومؤرخا ومترجما ومدرسا. وترك بصمة أصابعه على كل هذه المجالات. قضى طول حياته في التحقيق والتدقيق. ولم يترك القلم أصابعه إلا قبيل وفاته. له نحو خمسة وثلاثين كتابا تدل على غزارة علمه وسعة أفقه. وكان ميدان دراساته وبحوثه الذي كان يطمئن إليه ويجول ويصول فيه بكل دقة وتعمق وأمانة، هو التحقيق والتاريخ للعهد الإسلامي الأول أي عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء

الراشدين والأمويين (1–132هـ) فلم يأخذه لومة لائم فيما كان يصل إليه من النتائج بعد بحوثه الجادة والعميقة"[14].

ويذكر ميزة كتابته وأسلوبه في تأليف الكتب فيقول: "ومراعاة لمبادئ التحقيق وقواعده قد كان يعد الفهارس للأشخاص والقبائل والأماكن والكتب وما إليها في جيمع ما تناوله للتحقيق والبحث. كتبه التاريخية تحتوي الخرائط التي كثيرا ما يرسمها بقلمه. وشكل جميع الكلمات الغريبة التي تطرقت إلى كتبه... ولكثرة التصحيف والتحريف وإخلاف الميعاد والتسويف والتأجيل من قبل الناسخين (الخطاط) قد أخذ الملل بمجامع قلبه وتضايق جدا فبدأ ينسخ بنفسه. فجميع مجلدات كتابه "جائزے" التي يبلغ عددها ثمانية عشر في نحو تسعة آلاف صفحة كتبها الدكتور المرحوم (الأستاذ فارق) بخط يده"[15].

وقد ذكر في مقدمة الكتاب: "والأستاذ رحمه الله كان دائم القراءة والكتابة، ولم يكن له شغل شاغل إلا الخوض في الكتب. وكل كلمة حررها بشكلها الخاص فلانجدها في بطون الكتب إلا بهذا الشكل. وجنبا إلى جنب تحقيقاته الدقيقة، هو بارع في الترجمة الأردوية من النصوص العربية"[16].

والبحث الرابع حول: "تأثير الشعر الإنجليزي على شعراء مدرسة الديوان" قام فيه المؤلف بمقارنة نقدية بين الشعر العربي والشعر الإنجليزي ويقول :"إن الأدب العربي قد أثر كثيرا على الآداب الأوروبية فنجد أن المعلقات السبع وألف ليلة وليلة ورسالة الغفران للمعري كانت معروفة بين أهل أوروبا واستفادوا منها في آدابهم وقصائدهم. ولكن الشعر العربي والنثر العربي قد أصبحا ركيكا وضعيفا في عهد الأتراك العثمانيين (932–1213هـ). فبالرحلات العربية إلى البلدان الأوروبية وبانتشار اللغات الفرنسية والإنجليزية تأثر الشعر والنثر في البلدان العربية بالكتاب والشعراء الرومانسيين مثل وردسورث وكولردج وشيلي وبيرون، ثم بالشعراء الرمزيين مثل لامارتين ومارميه و ويتمان و تي. إس أيليوت"[17].

والمؤلف في هذا المقال قد أثبت بعدة شواهد أن مدرسة الديوان كانت متأثرة جدا بالشعراء الإنجليز فهو مثلا يتناول شعرا للمازني بمقطوعة رائعة عنوانها "فتى في سباق الموت" فأولا يذكر شعر المازني التالي:

نعد أنفاسه ونحسبها والليل فيه الظلام يلتطم
إذا خروج الحياة أجهده تساقطت عن جبينه الديم
صدركصدرالخضم مضطرب حجافل الموت فيه تزدحم[18]

ثم يقدم ما تتشابه به هذه الصورة الشعرية من الشعر الإنجليزي الذي قد عرض فيه الشاعر الإنجليزي توماس هود صورة فتاة كادت تلفظ أنفاسها الأخيرة بعنوان "The Death Bed" أي سرير الموت، فهو يقول:

"We watch'd her breathing thro' the night,
Her breathing soft and low,
As in her breast the wave of life
Kept heaving to and fro,
So silently we seem'd to speak
So slowly move about
As we had lent half our powers
To eke her living out[19]"

وبعد ذلك قام بترجمة المقطوعات الإنجليزية بالعربية الفصحى في قالب شعري عربي كأنه هو شاعر عربي يقرض الشعر. نقدّم هنا على سبيل المثال ترجمة المقطوعة الإنجليزية المذكورة أعلاه:

رأيناها تتنفس في الليل
وكانت أنفاسها ناعمة
كأن موج الحياة في صدرها
يعلو وينخفض جيئة وذهوبا
وتكلّمنا عندها بهدوء

و تحركنا ببطء تحركنا
كأنما أعرناها نصف قوانا
لنضيف في حياتها[20]

والكتاب الثالث "حالي والأدب العربي" طبع عام 2006م، ويشتمل على 128 صفحة بحجم متوسط. وهو في الحقيقة كتاب رائع جدا، يحيط جميع جوانب حياة الشاعر العبقري والناقد الشهير في اللغة الأردوية مولانا ألطاف حسين حالي ومساهماته في الأدب العربي.

وبهذا الكتاب قد عرّفه المؤلف في الأوساط العربية وعلّم العالَم ما لم يعلم عن مهارة الشاعر الأردوي وبراعته وعلو كعبه في الكتابة باللغة العربية وسعة اطلاعه على الأدب العربي نثرا وشعرا.

كما كتب المؤلف في مقدمة الكتاب: "وبالصدفة عثرت على ضميمة أردو لكليات حالي التي تشتمل على نتائج قريحته في الفارسية والعربية. وبعد دراسة قصائده والتحريرات النثرية وجدت أنه كان يتقن اللغة العربية كل الاتقان مع أنه بتواضعه الطبيعي لم يكن مطمئنا إلى ما كتب في اللغة العربية"[22].

وقام بإخراج وتخريج وتصحيح الأخطاء المطبعية، وشكل جميع آثاره الشعرية والنثرية" والكتاب في ثلاثة أجزاء. في الجزء الأول قد تناول حياة حالي وآثاره وفي الجزء الثاني استعرض كتابه "مقدمة شعر وشاعري" وفي الجزء الثالث قام باستعراض شعره ونثره.

والكتاب الرابع : "دراسة مقارنة بين الشعر العربي الحديث والشعر الإنجليزي" كتاب قيم جدا في فنه وأسلوبه المنفرد. وهو أصلا أطروحة الدكتوراه قدمت إلى قسم اللغة العربية في دار العلوم بجامعة بالقاهرة، لنيل درجة الدكتوراه. طبع الكتاب للمرة الأولى سنة 2009م، ويحتوي على 482 صفحة في قطعة متوسطة.

ولقد استعرض فيه الكاتب أسباب تأثير اللغة العربية في اللغات الأوروبية استعراضا شاملا ويقول: "بهذا الاستعراض نجد أن اللغة العربية وآدابها قد تركت أثرا ملموسا في الآداب الأوروبية ومع ذلك لايمكن أن ينكر أثر الآداب الأوروبية على جميع أصناف الأدب العربي: الشعر والنقد والقصة والرواية والمقالة وما إليها في العهد الحديث"[23].

أما الكتاب فهو يحتوي على ثلاثة أبواب وعدة فصول: ففي الباب الأول قام المؤلف باستعراض الأحوال السياسية والثقافية والأدبية للبلدان العربية من نهاية القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين. والباب الثاني يلقي ضوءً كاملا على الشعراء الذين قاموا بالتجديد وتأثروا بالآداب الأوروبية: إما بالآداب الإنجليزية أو بالآداب الفرنسية. وفي الباب الثالث يبحث عن تأثير الشعر الإنجليزي في الشعراء المجددين والمقارنة بين الشعر الإنجليزي وبين شعرهم.

وقد تناول المؤلف أسباب تطور الشعر والأدب العربي الحديث ويسلّط الضوء على فن الشعر عند شعراء البعث وما حققوه في ميدان تطور الشعر العربي. وقام بمقارنة دقيقة بين عدد من القصائد العربية والإنجليزية، كما يقارن بين التصوير الشعري والأساليب والمعاني والأفكار والخيال وموسيقى الشعر في الأدبين.

وخير دليل على ذلك مقارنته على سبيل المثال بين الشعر العربي لإبراهيم عبد القادر المازني وشعر شيلي، يذكر فيها:

"رأي المازني وردة ذابلة فَرَقَّ قلبه لها وألهمته ما ألهمته من أفكار وذكريات عندما كانت تفوح منها الرائحة الطيبة كأنفاس الحبيب والآن ذبلت وزالت نضرتها. فحاول الشاعر أن يحييها بكل وسيلة ممكنة – بمدامعه، وآهاته وزفراته – ولكن بدون جدوى ورماها رغم أنفه.

ولشيلي أيضا مقطوعة رائعة "بنفسجة ذابلة" (*On the faded violet*) صور فيها زهرة بنفسجة فقدت نضارتها الآن وكانت تنتشر فيها روائح كلّها عطر وشذى مثل الأنفاس العطرة للحبيب عند تبادل القبلات:

"The odour from the flower is gone
Which like thy kisses breathed on me;
The colour from the flower is flown
Which glowed of thee and only thee"[24]

بدأ المازني مقطوعته بذكر روائح الورد المنعشة كأنفاس الحبيبة وقد رواها الغمام حتى اكتملت رونقا وبهاءً، يقول:

أَرَجٌ كأنفاس الحبيــبة حين تدني منك فاهــا
وغلائل بات الــغمام يجودها حتى رواهـــا

ثم يذكر ذبولها وفقد نضارتها:

ذَبُلَتْ وأخلق حسنُهـا يا ليت شعري ما دهاها[25]

(من بحر الكامل المجزوء المذيل)

ومن خلال دراسة هذا الكتاب نجد أن الأستاذ البروفيسور محمد سليمان أشرف قد قام بالمقارنة الشاملة بين عدد من الشعراء العرب والشعراء الإنجليز وقام بدراسة تحليلية ونقدية بدقة وأناقة وقدم نتاج بحثه في صورة واضحة بل نقد في كثير من المواضع أن الشعراء العرب وبالخصوص شعراء مدرسة الديوان وجماعة أبولو كانوا متأثرين جدا بالشعر الإنجليزي. وقد أثبت أنهم استفادوا في الصورة الشعرية، والخيال والمعنى من الشعر الإنجليزي. وبيّن أنهم كيف تصرفوا فيها وكيف لوّنوها باللون العربي. ويقول إن التشابه في الصورة الشعرية بين الشعر المازني والشعر الإنجليزي أكثر وأوضح، فإن عدد قصائده في هذا الباب أكثر من الشعراء الآخرين. وكان على إلمام تام بفن البحور الشعرية فقام بتقطيع الأشعار وذكر البحور وأصنافها في نهاية كافة القصائد والمقطوعات المذكورة في الكتاب، كما اهتم بالمراجع والمصادر والأعلام وأحاط بجميع أطرافها.

وبالإضافة إلى الكتب الأربعة التي سبق ذكرها، للأستاذ أشرف مقالات قيمة ودراسات وأبحاث علمية رائعة غير مطبوعة، وله كتاب ممتع لم يطبع، كان يذكره في أكثر الأحيان وكان يريد أن يطبعه، وهو كتاب "المقامات الهندية"، الذي

حققه وراجعه وقام بشكله بدقة وعناية. وحاولنا بعد وفاته أن نجد مخطوطة الكتاب بخط المؤلف لكى ندبّر طبعها فلم نفز ولم يتحقق هدفنا المنشود. والجدير بالذكر هنا أنه كان صارم العزم أن يتعلم كيفية تشغيل الكومبيوتر والقيام بعملية الطباعة لينضّد الكتاب بيده ويقوم بطباعته شخصيا لا بمساعدة الآخرين. وقال ذات يوم لكاتب هذه السطور أن يرافقه لشراء اللاب توب من السوق فرافقته وذهبنا إلى سوق قريب من بيته، واشترى اللاب توب من طراز أتش بي (HP) مع آلة طباعة، والقرص المدمج وغيره من الأشياء اللازمة ولم يترك شيئا يعوق طباعة الكتاب، وبذل قصارى جهوده في تعلّم طرق تشغيل الكومبيوتر حتى تمكن منه، ولكن المنية حالت بينه وبين طباعة الكتاب. ولسوء الحظ لم ير الكتاب ضوء النهار لا في حياته ولابعد وفاته واختفى في ظلام الملفات المجهولة.

خلقه معلما ومربيا:

كان الأستاذ أشرف عالما كبيرا ومعلما مثاليا، وكاتبا متضلعا، صادقا في قوله، مجتهداً دؤوباً في العمل. أتقن عدة لغات نطقا وكتابة. وجدت له قدرة فائقة في مجال التعليم والتربية. كان يحافظ على المواعيد ويواظب على الدروس. ويحب تلاميذه حبا جما. أشفق عليهم كأب كريم، فلم يراجعه أحد إلا وقد أفاده ونفعه بنور علمه. وكان يساعد الباحثين ويراجع بحوثهم بغاية العناية والاهتمام ولو كانت البحوث تحت إشراف أي أستاذ كان، فقد أشرف على عشرات الرسائل والبحوث حول موضوعات عديدة.

ولقد كان قدوة حسنة للأساتذة والطلاب، والدارسين والباحثين، كان بمثابة جامعة تُشَدّ إليها الرحال. كان مخلصا متواضعا جدا. كان يكرّم الضيوف ويحترم كل صغير وكبير، فلم يسأله أحد عن أي شيء إلا أجابه بطلاقة الوجه. وكان محبا للكتب، مشغوفا بها. جمع في مكتبته الشخصية كتبا قيمة نادرة في كل موضوع وفي عدة لغات حتى أصبحت مكتبة شاملة تلبي حاجة من يتقصد إليها، ولله دره.

استحوذ الأستاذ محمد سليمان أشرف على قلوب الناس بأخلاقه وحسن معاملته معهم، واشتهر لعلو كعبه في مجال التعليم والتربية. وإسهاماته البارزة في اللغة والأدب والثقافة خير دليل على تبحر علمه وسعة اطلاعه. قد أعطى الكثير وأغدق على من كان يستحق ومن لم يستحق. يندر أمثاله في هذا الزمان كأن المتنبي نظم هذا البيت في مدحه:

مضت الدهور وما أتين بمثله

ولقد أتى فعجزن عن نظرائه

الهوامش:

[1]. هو عبد العزيز بن عبد الكريم بن يعقوب الميمني الراجكوتي الأثري. ولد في راجكوت وإليها انتسب، وتوفي في مدينة كراتشي يوم الجمعة 26 من ذي القعدة 1398 هـ الموافق 27 من تشرين الأول 1978م. التحق بالكتّاب، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم، ثم استكمل دراسته العالية في "لكهنو" و "رامبور" و"دلهي"، والتقى بشيوخ كثيرين من أمثال الشيخ حسين بن محسن الأنصاري الخزرجي السعدي، وقد أجازه برواية الحديث النبوي، ونذير أحمد الدهلوي، ومحمد طيب المكي. وبدأ الميمني حياته بالكلية الإسلامية ببيشاور، حيث قام بتدريس اللغتين العربية والفارسية، ثم انتقل منها إلى الكلية الشرقية بمدينة لاهور عاصمة إقليم البنجاب، ثم استقر بالجامعة الإسلامية في عليجراه، وظل يتدرج بها في المناصب العلمية حتى عين رئيساً للأدب العربي بالجامعة، ومكث بها حتى أحيل إلى التقاعد، لكنه لم يركن للراحة فلبى دعوة جامعة كراتشي بباكستان، ليتولى رئاسة القسم العربي بها، وأسندت إليه مناصب علمية أخرى، فتولى إدارة معهد الدراسات الإسلامية لمعارف باكستان، وظل يعمل في هذه الجامعة حتى وفاته. ومن تحقيقاته البارزة: الطرائف الأدبية، وسمط اللآلي في شرح أمالي القالي لأبي عبيد البكري، ورسالة الملائكة لأبي العلاء المعري وما إلى ذلك.

[2]. سئلت عَائِشَة رضي الله عنها : " مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟ فقَالَتْ: كَانَ بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ يَفْلِي ثَوْبَهُ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ. " رواه أحمد

(26194) ، وصححه الألباني في "الصحيحة" (671). وفي رواية له أيضا (24903) : " كَانَ يَخِيطُ ثَوْبَهُ ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ " وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (4937).

[3]. البروفيسور محمد سليمان أشرف: دراسات تاريخية وأدبية ، ملتزم الطبع والنشر كوخ العلم، 94 شقق ساكشارا باشام فيهار، دلهي 63، بدون تاريخ الطبع ص 35.

[4]– طبعت هذه الرسالة العلمية للمرة الأولى في شكل الكتاب باسم "دراسة مقارنة بين الشعر العربي الحديث والشعر الإنجليزي" من كوخ العلم، سنة 2009م.

[5]. وُلد بقرية كفر شنوان بمحافظة المنوفية بمصر. تلقى تعليمه الابتدائي في أشمون، وحصل على الثانوية عام 1936م، ثم ليسانس الآداب من كلية الآداب بجامعة القاهرة عام 1940م، ودبلوم المعهد العالي للتربية بالقاهرة عام 1942م والماجستير عام 1948م والدكتوراه عام 1953م. وعمل مدرساً بمدارس وزارة التربية والتعليم، ثم انتقل إلى مجمع اللغة العربية محرراً به عام 1945م. وانضم إلى هيئة التدريس بجامعة القاهرة عام 1954م، ثم عُين أستاذاً لكرسي الأدب الحديث في قسم اللغة العربية عام 1968م، ثم عميداً لمعهد الفنون المسرحية عام 1969م، ثم وكيلاً لكلية الآداب بجامعة القاهرة عام 1971م. وهو من النقاد القلائل الذين مارسوا الكتابة الإبداعية، ومن كتاباته الأدبية: ميلاد جديد، و طريق الجامعة، رباعيات، وكهف الأخيار. إلى جانب كتابته الكثير من القصائد. ومن دراساته النقدية: البطل في الأدب والأساطير(1959م، ط2 1971م)، وطاغور شاعر الحب والسلام، وموسيقى الشعر العربي، و الحضارة العربية (1967م)، وتجارب في الأدب والنقد (1967م، ط2 1994م)، والقصة القصيرة في مصر: دراسة في تأصيل فن أدبي (1968م، ط3 1994م)، والأدب في عالم متغير(1971م) والرؤيا المقيدة: دراسات في التفسير الحضاري للأدب(1978م) ومدخل إلى علم الأسلوب (1982م) واتجاهات البحث الأسلوبي: دراسات أسلوبية (1985م) ودائرة الإبداع: مقدمة في أصول النقد (1986م)، واللغة والإبداع: مبادئ علم الأسلوب العربي (1988م)، وعلى هامش

النقد (1993م)، والمذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين (1993م)، وبين الفلسفة والنقد (1990)[1] .

[6] . سورة الرعد 17

[7]. أي كاتب هذا المقال الدكتور نعيم الحسن الأثري الأستاذ المشارك في قسم اللغة العربية بجامعة دلهي

[8] . Prof. M.S. Ashraf: *Islamic Society in the Shadow of Justice* (English translation of المجتمع الإسلامي في ظل العدالة by Dr. Salahuddin al-Monajjid) P. No. 102, Kukh-al-Ilm, 94 Saakshara Apartments, A-3 Block, Paschim Vihar, New Delhi-110063, Second Edition 2005.

[9] . ibid pp 103.

[10]. البروفيسور محمد سليمان أشرف: دراسات تاريخية وأدبية، (مقدمة الكتاب) ص 1.

[11]. نفس المرجع ص 35

[12]. المرجع السابق ص 38

[13]. نفس المرجع ص 39

[14]. المرجع السابق ص 44

[15]. نفس المرجع ص 44-45

[16]. مقدمة الكتاب ص 2

[17]. نفس المرجع ص 3

[18] . ديوان المازني ص 34

[19]. Palgrave: The Golden Treasury, P. 281

[20] الأستاذ محمد سليمان أشرف: دراسات تاريخية وأدبية ص 88

[22] . الأستاذ محمد سليمان أشرف : مقدمة حالي والأدب العربي ص 5

[23] . البروفيسور محمد سليمان أشرف :"دراسة مقارنة بين الشعر العربي الحديث والشعر الإنجليزي" ص 6

[24] . The Complete Poetical Works of Shelley p. 549

[25] . ديوان المازني ص 49

المصادر والمراجع

1. المازني، إبراهيم عبد القادر: ديوان المازني، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب الاجتماعية، 1961م.
2. البروفيسور محمد سليمان أشرف: دراسة مقارنة بين الشعر العربي الحديث والشعر الإنجليزي، كوخ العلم، 94 شقق ساكشارا، باشام فيهار – 3 بلوك، دلهي–63، 2009
3. البروفيسور محمد سليمان أشرف: حالي والأدب العربي، كوخ العلم، 94 شقق ساكشارا، باشام فيهار – 3 بلوك، دلهي–110063، بدون تاريخ الطبع.
4. البروفيسور محمد سليمان أشرف: دراسات تاريخية وأدبية، كوخ العلم، بدون تاريخ الطبع
5. الدكتور شمس كمال أنجم: حديث عرب وعجم، (مجموعة مقالات) ايجوكيشنل پبليشنگ هاؤس، دهلى –6، الطبعة الأولى 2013.
6. Prof. M.S. Ashraf: *Islamic Society in the Shadow of Justice*, Kukh-al-Ilm, 94 Saakshara Apartments, A-3 Block, Pashim Vihar, New Delhi - 63, 2nd Ed. 2005.
7. Palgrave Francis T.: *The Golden Treasury*, Macmillan Company, New York 1947.
8.

الزهرة الساقطة ـ إبداع الحِكَم والإلهام

د. جمال الدين الفاروقي*

{هذه المقالة تستهدف دراسة تحليلية لقصيدة "الزهرة الساقطة" للشاعر العظيم كوماراناشان، العبقري الفذ الذي جادت به ولاية كيرالا في القرن الماضي. ترك الكثير والمثيرَ بقصائده المليالمية تأملا للباحثين ومتعةً للمتفرجين. وقد استلهم الشاعر أفكاره في صناعة الشعر من الواقع الحي ومن الفيوضات الإلهية، وصاغها في قالب شعري بايقاعها وأنغامها. وقصيدة "الزهرة الساقطة" تحتل مكانة ملحوظة من بين أعماله الشعرية. وهي تبلور سر الكون والكائنات وتقدم للوجود درسا جديدا للبقاء والخلود. وتم ترجمة هذه القصيدة إلى العربية، مما استطاع به الأدب المليالمي أن يرتقيَ مدارج الآداب العالمية. كما أنها إضافة ثرية إلى الأدب العربي الهندي.}

كيرالا ـ الولاية المعروفة بتراثها وعاداتها المتميزة ، ذات الجذور العريقة في التاريخ، أنجبت عددا من الشعراء والمبدعين في اللغة المليالمية الذين تسجل أسماؤهم بمداد الفخر والاعتزاز. قام هؤلاء بدورهم في الأعمال الإبداعية التي أدت إلى الإصلاح الاجتماعي والتطور الثقافي والحضاري . والسيد كومارناشان الملقب بـ "الشاعر العظيم" يشغل حيزًا كبيرًا في الأوساط الثقافية والحضارية بأعماله الإبداعية التي تصبو إلى إصلاح التدهور الاجتماعي والإسفاف الخلقي في

---

* عميد كلية WMO وبناد ـ كيرالا

المجتمع الهندوسي . وقد ذلل الشعر الماليالمي وبدأ يرتقي به إلى الآفاق الوطنية مما قوبل باحترام الأدباء والزعماء وتقديرهم.

نبذة من حياته:

ولد الشاعر العظيم كومار ناشان عام 1873 في جيراين كيز Cherayinkeezhu، وتعلم السنسكريتية وعلم الحساب من أساتذة القرية المعروفين باسم" غورو". ثم مارس التدريس برهة من الزمن ، وتدرج إلى مجال التجارة ، وتدرب على القرض والنظم تحت رعاية السيد مانامبور غوفيند آشان، واتصل بالسيد سري نارايانا غورو المصلح الهندوسي الكبير في ذلك الوقت، وتأثر بشخصيته وأفكاره. وبإيعاز منه انصرف عن الإبداعات الغزلية وانقطع إلى الدراسات والتأملات الروحانية. ومال إلى النسك والتقشف. وارتحل وتجول في البلاد، وتعمق في السنسكريتية وآدابها بمساعدة من الدكتور بلبو الذي كان في خدمة حكومة ميسور وقتئذ. ونال الدراسات العليا في السنسكرتية والإنجليزية من بنكلور، وذهب إلى كلكتا في الخامسة والعشرين من العمر وواصل دراساته في معهد القانون، وسنحت له الفرصة في خلال ذلك للاتصال بزعماء الفكر والإصلاح الديني من أمثال سامي فيفيكاندا ورافيندرنات طاغور والدكتور أمبيدكار وغيرهم. مما شحذت به أفكاره. وامتطى متاعب الحياة وتعاستها ليبلغ أسرارها ويدرك كنهها. وفي سنة 1900 انتشر في كلكتا وما حولها وباء الطاعون مما اضطر إلى الرجوع، والطموحات المختلفة ملؤ نفسه. ومارس تحرير صحيفة فيفيكودايام Vivekodhayam، وفي خلال ذلك نظم قصيدته " الزهرة الساقطة "[1]

وقد كان ذا نفس عالية ومشاعر جامحة . ما وقعت عيناه على شيء إلا وقد مس عواطفه اللطيفة وجعلها مرهفة حادة ، ويتناوله بشيء من النقد والتحليل ، ثم لم يلبث أن صاغه في قالبه الشعري الرصين. وكان له بجانب الزهرة الساقطة، عدة قصائد مثل: ليلا (Leela) دوراوستا(Duravastha) وجاندالا بيكشوكي (Chandala Bikshuki) كارونا (Karuna) جندا وشيشتياي سيدا

(Chindavisistayaya Seetha) وقصائده تعتبر فاتحة عهد جديد في الشعر الملیالمي في كيرالا. إذ قام الرجل بإحداث تغيير جذري في السلوك والاتجاهات الشعرية ، مما جعله شمسا مشرقا في أدب القرن العشرين بكيرالا. مات غريقا عام 1924 وهو في رحلته في الزورق من كولام إلى آلابوزي ، وحدث أن انقلب الزورق وهلك جميع الركاب.

خصائصه الفكرية والإبداعية

يتميز شعر كومارناشان بصدق تعبيره . وقد كانت الأيام التي عاشها فترة ظلمة حالكة في المجال الثقافي. خيمت التقاليد الباطلة والعادات غير الإنسانية على المجتمع، وكان الناس في الطبقات السفلى والمنبوذون يرزخون في براثن التمييز العنصري والتفرقة الطائفية. وقام بدوره بإيجاد النزعات الإنسانية وتكثيفها بين هذه الطبقات وحاول أن يغرس فيهم القيم الأخلاقية التي استلهمها من تجاربه وتفاعله بزعماء الفكر الهندي. ومما قال بهذا الصدد:" ليس " بولايان" كالأعشاب المهملة"[2]. والنظرة الروحانية هي العنصر الهام البارز الذي تتسم به قصائده، وهي في رأيه الحمية الأدبية التي تجعل الأدب مخلدا محببا إلى الناس وتجعل فيه شفاء لما يحس المجتمع من الآلام والأسقام. ومن كلامه المأثور: " غيّروا عاداتكم وتقاليدكم ، وإلا فهي تغيّركم[3] " وقد أعلن قيمة الحرية والمساواة بين الناس وناداهم ليكونوا محافظين عليها وهو يقول: " الحرية هي ماء الحياة "[4] .

أما الرموز التي عمد إليها الشاعر فهي ذات حركة مستمرة ، تجعل شعره يجمع بين التفاؤل والتشاؤم وبين الاعتراف والإنكار في وقت واحد. وكان يرى الأدب ذخيرة علمية خالدة ولم يجد له بديلا ، والإبداع الأدبي عمل من الأعمال الاجتماعية التي تعود فائدتها على الجميع إلى الأبد. ورموزه الإبداعية تبقى شعارًا للحب الساذج الذي هو أغلى وأنقى من بين النزعات الإنسانية، وغنى به وأنكر نوازع الحب المبني على الشهوانية البهيمية. وفي مقابل هذا الحب نراه يرسم ملامح

کومارا ناسان

الزهد والتقشف الذي استقاها من الأساطير المقدسة ومن ملازمة زعماء الفكر والحكمة.

الزهرة الساقطة:

هذه القصيدة ملؤها الرومانسية يغمرها الخيال الرائع والوصف الدقيق، وألبسها الشاعر ثوبا قشيبا من العواطف والمشاعر. وقد رسم فيها خواطره في نزعتين : الاكتفاء بالنسك والزهد ، والاهتداء إلى الحياة الروحانية التي تحلو بها معيشة الإنسان المادية. وهي كذلك تبلور خلجات الشاعر حين بدا أمامه زهرة ذابلة ساقطة على الأرض. ثم جعلها رمزا لتردي الإنسان في حياته المادية بعد أن صار صاحب التيجان والوسام. والإنسان في أواخر أيامه حين يفقد سلطنته وهيمنته على الآخرين يبقى مثل هذه الزهرة الساقطة ، لا يبالي به أحد. هذه الحقائق يقدمها الشاعر مصحوبة بالنصائح الفلسفية والعبر التصوفية. والقصيدة في غنائها وترنيمها تمثل فيضا داخليا لذبذبات نفسه وإيثاره للحياة السرمدية [5] . والشاعر في هذه القصيدة وفي غيرها يفضل البحور السنسكريتية المقصرة التي تتوسم بتوازنها وثباتها ودقتها. ومن الملحوظ في أعماله الشعرية أنه كان يميل إلى الأنغام الإبداعية حين يعروه الهيام والحب. وشكله النظمي لا يمكن إشباعه غناء ولا ترنيما لما يعروه وقع داخلي يهز الضمير والوجدان.

والشاعر كومارناشان مع هذا كله، قد أخطأ في بعض تصوراته وخصوصا فيما يتعلق بشخصية المسلمين. وحين نشبت الثورة الملبارية في مطلع القرن العشرين وذهب المئات ضحية لها ، اتهم الشاعر المسلمين وأمطرهم بالمسبة والملامة وهو يقول: " دماء الهندوس التي كان يريقها المسلمون القساة ، احمرت بها أرض مليبار"[6] . غير أن ذلك كان مخالفا للواقع. ولم يحدث من قبل المسلمين ما يسيئ إلى إخوانهم الهندوس، فضلا عن إراقة الدماء. مما أنكره زعماء المسلمين وقتئذ. والمصلح الكبير وكام عبد القادر مولوي (Vakkom Abdul Kader Moulavi) قد أطلعَه على هذا الخطأ الجسيم . وأقسم له الشاعر أنه سيصححه

في قريضه المقبل. ولكن القضاء المحتوم سبق ذلك . ولم يستطع الأدب المليالمي أن يغسل عنه ذلك العار الذي عَلِق به منذ مطلع القرن العشرين .

ترجمته العربية:

حظيت العربية بشيء من الطرائف من الآداب المليالمية رواية وقصة وشعرًا. وهذه الآداب تشهد إقبالا ملموسا من قبل القراء العرب. يتناولونها بالاعتراف والثناء. ومنها " رواية شمين " والمحراث الناطق " ومثل ترنيمة ، بجانب مجموعة الشعر المترجم إلى العربية الموسومة بـ " قصائد من كيرالا. ومن هذا القبيل يعد " الزهرة الساقطة " التي قام بترجمتها السيد أبو بكر مولوي نانمندا. وكان متخرجا من كلية روضة العلوم بفاروق حاملا شهادة أفضل العلماء العربية. ثم اشتغل مدرسا في المدرسة الحكومية الثانوية في قرية " نانمندا". وكان من ذوي القدرة العالية في قرض الشعر العربي، وقد أتقن صناعته وأبدع فيه. وبذل جهودا مخلصة في نقل هذه القصيدة بقلبها وقالبها إلى العربية. وأضفى عليها روحها وجمالها ، ولا يعروها ركاكة العجمة ولا تكلف الصناعة . والقارئ يشعر حين يقرأها وكأنها هي الأصل. والقصيدة الأصلية تجري مجرى البحور السنسكريتية ، وقد أتى المترجم في مقابلها البحر " البسيط" لتنسجم القصيدة المترجمة مع أصلها[7] .

وفيما يلي هذه القصيدة بأبياتها السبع والثمانين بيتا.

آها أزهرة كم قد كنت زاهرة — مثل المليكة في رأس الذرى العالي
نعيم الأرض فنا لا ريب أين غنا — كِ اليوم أو أثر في ذكر ذي الحال
قد لاطتفك حنانا نجمة وضعت — وفي الأكمة ربت في الصبا الخالي
وحرك النسم المُهيد يا زهرة — حفيف الأوراق غنت للكرى الغالي
قضيت ذاك الصبا فيه البراعم قد — لاعبت يوما فيوما لعب أطفال
تضحين تلعابة تمراحة بحرو — ر الضحو من دون هم القلب في حال
وتستحمين في مثل الحليب من الـ — قمراء راضية في نيل الآمال
قد اختلطت تدربتِ الأغاني مع — طير الصباح بإصغاء لمختال

ثمت تلقيتِ سرا لكون راقبة ليلا كواكب في صمت وإقبال
بعد التربي كما يرجى فذاتك قد أبدت جواذب أزيانا لدى الخال
حال الملامح يزهو الخد فيه سرى يا زهر بسم أنيق وفق جمال
حسن بهيج نقاء لينة نضر دموثة ، ما بذي الدنيا من أمثال
زين بديع بلين الجسم ذال فحـ ق أن يرى وقفكِ الفتان للبال
لما تفتحت تهتزين عل ذو والـ أعيان عندك قاموا ناظري الحال
أيا يكن:عالما زهادا أو يك جبانا فمُهزما من فتك نزال
فاح الشذا جله مهلا فحين به تسخرين جميع االكون كالوالي
هل كان حرص بغاة للتمتع قلا لا ، فلا غرو إذ كانت لإعلال
فليس من أحد هذي النعوت له كذا وفي الجوف شهد مثل عسال
وكل جذابة نفسا مجانسة وكل ما جانست زينا من أمثال
لكن لعلك في عين العشيق بسع د أي سعد جمال ذات إفضال
عصر الشباب وإن أيامه قصرت طويل شأن وإن يكثر ببلبال
طيب النفوس مضى وفق الرجاء نزيـ يها جسمك الناعم المرحوم ذو القال
إذ ذاك على فراش من محسانه وافاك يرجو زواجا دون إملال
بل ماهر ملك الجُعلان من بعد متيما عله آتيك في الخالي
يا ريب يا ذي بعلتِ السيد الجُعل الـ آتي لحسن فراش دون إجلال
لولاه لم يصح الآن الصياحة ذي الـ عظمى لديك بدور دور جوال
ألم تردى جميع العاشقين وقلـ . تِ إن نفسك قد ملكتها لي
حبيب لا تدعيني اليوم ويحك هـ لا هكذا الجعل الهاذي بإعوال
آه ذا سعيد متاعا بالمحاسن مجـ ذوبا محببة الرهبان ذو فال
ولأذهبن معك ميتا إنه عبث دمَ الهموم حياة طول أحوال
لا ريب قط فهذا لو رأيته حـ ق بالممات من الأحزان في الحال
أليس الآسف ذا آه رأسه علنا يدق دقا على صخر وآثال

إذا تؤمل كانا ناشئين بعشـ ق ناظرين زواجا دون إمهـال
إذ جا يرى الجعل الأشقى المصيبة ذي يبكي فإنك قاس يا قضـا قـالي
أوّلا فيا زهرًا فناك الهمو بأنـ ي من لجوج خدعت اليوم ختال
أثنيته بفسيح القلب من جعـل بزهرة عنك منهوم بإغفـال
ها أنتِ يا جعل الآسي فالإثم عليـ ك أن يك الرأي حقا دون إشكال
قبل ارتكاب المساوي الموبقات تفـ كر للجريئ متـاب مثل ذي الحال
دعى أزهرُ فمن يدري سرائرعا لم الشباب بذي الدنيا بإكمـال
فالقذف يحزن حتى الناطقين فهـ ذي البهم لعنتها هلا من إبسـال
يروح ذاعن هنا مع ما ارتأى الجعل الـ طيار حيث يشا في جوه العالي
أليس مسلك روح الزهرة التزمـت فوحا يتابع حسرانا بتجـوال
آه وازهيرَا وهل إليك قد بسطـت عديمة الرحم ويحا يدّ عـزرال
وهل لصائد غاب في القتيل حمـا م أو عقاب وقتل كل أشغـال
غاب انتشار بهاء الجسم في عجـل واسود والنضر من وجه بإقلال
دهن السراج جديدا جف آه دخن إنـ ضنى انطفا بغتة . ماذا من أقوال
لما سقـطت وقـد بان العلاقة آه مريحة بنسيم الفجر من عال
حقا رأى . زهر. الإيقاظ كوكبا لو روحا هوى عن نعيم الله بإعجال
فالأرض حارت لدى أن أبصرت يصل الـ جسم المليح مع اقشعرار الأوصال
إذا برعشتها من حولها اعترفـت بالصرح أشطاء أعشاب وأبقال
وإن سقطت كذا في الأرض خالية عن سر روح نزيه لأم إجـلال
يغير نور كخالي الدر من صـدف لكن يرى الحد لماعا إلى الحال
واها سريعا عنيكبات اصطنعـت للجسم كفن دمقس خير سربال
فالفجر حلاكِ حنانا بختـم قـلا د قطر ثلج نقي آخـر النـال
والطير من شجر الأعشاش تسقط تبك كي من حوالك إخلاصا بأعوال
شمائل مستطابات بك التأمـت بغير هم بسوء أو أذى خـال

برحمة شملت بها حييت فمـــن لذكرها ليس يبكي وأهي البال
إذ ما رأى الضحر آه آه ذي المصيبة ذا يذوب والكون يدجو جي كاليال
والشمس تليث في الوادي على حسر تنفس الصعداء ريح شمـــلال
لم لاطفا وضع التقدير عقد معـا ليه عليك ولم أفني بإعجـال
من ذا بفكر بسر الخلق فالبـرره في الأرض . ماالطوق آه قل آجال
ولينتقل من هنا الأبرار إنهـمو حق النشوء وفوامن دون إهمـال
أليس عاجل عيش البرق أرغب من صخر يصادم ليلا رجل رجـال
لكن لـي أسفا من ذكر بينك مـع أني أرى السقطة المرحومة الحال
ألا أزهر ألسنا واحدا أخويـــ ن كلنا بيد صنع بمـنـوال
ذا حالكِ اليوم روحي فأت بعدك كلٌ واحدا واحدا تبـعا بإدلال
لا لا بقاء لشيء شاهقا جبـــلا أو بحرا كان يوما . لو نرى . بال
وذات نيلوفر تأتي إليك تـمـد ذا يديها لباقي حسنك الغـالي
والريح تسلبك الطيب الشذى فذا تقسم إرثك ويحا تم في الحـال
تفني الحوادث والذرات باقيـة والروح عندئذ عن جسمها جـال
أيضا فيبعث ذا يقضي كذلك هـ هنا المعارف بعثا وفق أعمـال
لا نفع من حسر وليس ذاك لنـا لعل الآفة للسراء في التـالي
فالروح عله ممتزج بجثتـه من قدرة الله في حال من أحوال
وحينما يبلغ النجم الغيوب ببحـ ر الغرب أزهى إلى شرفي أجبال
زهراء علك من بعد الغروب هنا تفتحين على غصن لمغيـــال
غصن من الشجر الخيري على جبل سمير من جبل الجنات في العالي
تدنو إذا جُعليات العقاص ســرو را إذ يرينك أبهى منك في الخالي
زينا لهن فشوقا مطربا لشبـــا ب القدس علك احظى دهر طوال
أولا فرهرة نســك الأولياء ذوي نور التجلي بتنوير وإجـلال
مجتازة عالم الجنات قاطعـة علاقة بذي الدنيا بإجمـــال

لك الوصال بلا حجب لمرتبة الـ كشف الإلهي ظلما جهل جهال
ألا اللام فيجدينا به حكم الســ فر المقدس لا غير بمفضــال
فالحزن إن يك تعذيب النفوس فجه ل في الحقائق نلقي كل آمالي
ثم اذكرى أن كل الأمر يا زهره يأتي كما شاء ربي دون إخلال
يا عين عودي فيغدو الآن ذي الزهره حرقا فذوبا ثرى نسيا بإعجال
لو عد هذا مآل الكل ما هو نفــ ع الدمع رؤيا حياة الأرض آه حالي [8]

والعاطفة الأساسية التي تخيم على القصيدة هي الشجو والتحسر ، يسلي الشاعر منها نفسه ويطمئنها قائلا: ثم اذكرى أن كل الأمر يا زهرة . يأتي كما شاء ربي دون إخلال. وقد نجح الشاعر أيما نجاح حين تدرج في قرضه إلى آفاق الوصف الرائع محافظا على القيم والإبداع على حد سواء. وهذه الترجمة تشتمل أيضا على ترجمة إنجليزية للزهرة الساقطة قام بها الدكتور/ كي. سري نواسان.

الهوامش:

[1] نيلني / كومارناشان ص: 07

[2] , Kumanarashan Kavithakal Page 173,

[3] من قصيدة " دوراوستا " مجموعة أشعار كومارناشان ص: 41

[4] كومارناشان : التحرير : سنديباني ص : 12

[5] Soorya Thejas . Page 92

[6] , Kumanarashan Kavithakal . Duravasth . Page 81,

[7] الزهرة الساقطة : الترجمة العربية / أبو بكر مولوي ص:8

[8] الزهرة الساقطة ، ترجمة : أبو بكر مولوي ص: 34

المصادر والمراجع:

1. Soorya Thajas (Malayalam) – A Study of Ashan's Anthology. Edited by EK. Purushothaman. Ashan Memorial Association, Chennai 1999

2. Kumaranahan Kavithakal (Malayalam) Nashagandi Publicatons. Trissur 2001
3. Kumarashan. Edited by Sandeepani. Poorna Publication 1989, Calicut
4. Nalini (Poems of Kumaranashan) Edited by Sandeepani, Poorna Publication 1988, Calicut
5. Karuna Poems of Kumaranashan) Edited by Sandeepani, Poorna Publication 1989, Calicut
6. الزهرة الساقطة ، ترجمة عربية للسيد أبو بكر مولوي ، منشورات عرفة ، كالكوت ، 1989 .

الأنشطة الثقافية العربية في العاصمة الهندية

أ. د. حبيب الله خان*

بمناسبة معرض نيودلهي الدولي للكتاب 2015، أقامت الملحقية الثقافية بسفارة المملكة العربية السعودية بنيودلهي حلقة نقاشية بالتعاون مع اتحاد أساتذة وعلماء اللغة العربية لعموم الهند والمركز الثقافي الهندي العربي وقسم اللغة العربية بالجامعة الملية الإسلامية حول **موضوع** " **آفاق وإمكانيات التعاون بين الجامعات السعودية والجامعات الهندية**" في قاعة مبنى المركز الثقافي الهندي العربي بالجامعة الملية الإسلامية بنيودلهي **في 2015/2/16م**، تكوّنت الحلقة من الجلستين: الجلسة الافتتاحية والجلسة النقاشية، وشارك فيها الأساتذة والباحثون من الجامعات الهندية المختلفة وبالتحديد من جامعة دلهي وجامعة جواهرلال نهرو وجامعة على غر الإسلامية والجامعة الملية الإسلامية والمركز الثقافي الهندي العربي، والدبلوماسيون من سفارة المملكة العربية السعودية.

الجلسة الافتتاحية

رئيس الجلسة : البروفيسور طلعت أحمد، مدير الجامعة الملية الإسلامية.

ضيف الشرف : سعادة الدكتور محمد الساطي، سفير المملكة العربية السعودية، بنيودلهي

ضيف الجلسة : الأستاذ محمد الغامدي، سفارة المملكة العربية السعودية.

مدير الجلسة : البروفيسور حبيب الله خان

---

*أستاذ، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الملية الإسلامية ، نيو دلهي.

بدأت الجلسة الافتتاحية بتلاوة آي من الذكر الحكيم تلاها الأخ عظمت الله الندوي، ثم قدّم مدير الجلسة البروفيسور حبيب الله خان كلمة ترحيبية، رحّب فيها على وجه الخصوص بمدير الجامعة الملية الإسلامية البروفيسور طلعت أحمد، وسعادة سفير خادم الحرمين الشريفين الدكتور محمد الساطي، والأساتذة والباحثين والمشاركين والمساهمين في الحلقة النقاشية كما أعرب لهم عن بالغ شكره وامتنانه لحضورهم ومشاركتهم في الحلقة النقاشية، وقدّم تعريفاً موجزاً للجامعة الملية الإسلامية ودورها في تدريس اللغة العربية وآدابها. ثم ألقى البروفيسور زبير أحمد الفاروقي المستشار الأكاديمي لدى الملحقية الثقافية السعودية كلمة الملحقية، واستعرض فيها تاريخ العلاقات السعودية الهندية قديماً وحديثاً. وقدّم شرحاً وافياً لأنشطة الملحقية الثقافية التى خرجت إلى حيّز الوجود نتيجة متابعة القضايا المدرجة على مذكرة التفاهم التي تم توقيعها خلال زيارة الملك المرحوم عبد الله بن عبد العزيز عام 2006م، فإن الملحقية منذ تأسيسها تسعى جاهدة إلى توطيد العلاقات الثقافية بين البلدين، وتولي اهتماماً كبيرا بمعرض الكتب الدولي الذي يُقام سنوياً في نيو دلهي، وتشارك فيه الجامعات والمؤسسات السعودية المعنية بنشر الكتب وتوزيعها، تنتهز الملحقية هذه المناسبة لإقامة مختلف البرامج الثقافية منها المحاضرات التي يلقيها الأساتذة السعوديون الذين يحضرون من السعودية خصيصاً لهذا الغرض، وعقدت الملحقية فيما مضى مؤتمرين مهمين: أحدهما بعنوان "الأرشيفات والمكتبات الهندية مصدر من مصادر دراسة تاريخ الجزيرة العربية" في الجامعة الملية الإسلامية، والثانية بعنوان، "كتب رحلات الحج الهندية مصدر من مصادر دراسة تاريخ الجزيرة العربية وثقافتها"، وكذلك تدعم برامج إقامة المحاضرات والندوات في الجامعات الهندية المختلفة، وإضافة إلى ذلك تسعى إلى ترجمة الكتب العربية إلى اللغات الهندية وبالعكس. واليوم تحاول الملحقية من خلال هذه الحلقة النقاشية اكتشاف آفاق وإمكانيات التعاون بين الجامعات السعودية والهندية، فعسى أن تكون مداولات الحلقة نبراساً ينير طريق التعاون في المستقبل.

رحبّ الدكتور محمد جاويد خان مدير المركز الثقافي الهندي العربي– في معرض حديثه– بكل المشاركين والمتحدثين في الحلقة النقاشية، وقال نحن نجتمع اليوم في رحاب هذه الجامعة لنناقش السبل والإمكانيات المتاحة لتحقيق التعاون بين الجامعات السعودية والهندية في المستقبل، وما من شك في أن الجامعة الملية الإسلامية ستلعب دوراً كبيراً في هذا المجال، لأنها تحتضن قسماً متميزاً لتدريس اللغة العربية وآدابها، وإضافة إلى ذلك يوجد فيها عددٌ من مراكز البحوث وخصّ بالذكر مركز دراسات غرب آسيا، الذي يجري عدداً من البحوث الأكاديمية في مختلف أبعاد العلاقات الهندية السعودية، والمركز الثقافي الهندي العربي مكرّسٌ لإجراء الدراسات والبحوث فيما يتعلق بحضارة البلدين وثقافتيهما، وفي الأخير أعرب عن تفاؤله أن هذا الاجتماع سيكتشف مجالات جديدة للتعاون في المجال الأكاديمي بين البلدين.

ألقى سعادة سفير المملكة العربية السعودية الدكتور محمد الساطي حفظه الله كلمةً بليغةً مؤثّرةً أعرب فيها عن سعادته على المشاركة في هذا الاجتماع الذي يبحث إمكانيات التعاون بين الجامعات السعودية والهندية، ثم تناول تاريخ التفاعل الثقافي بين الهند والبلدان العربية الذي يرجع إلى القرون، وفي سياقه ذكر إسهامات البيروني والعلامة أبي الحسن علي الندوي والشيخ أبي العلاء المودودي في إثراء التفاعل الثقافي، لقد شدّد سعادته على ضرورة وضع برامج مشتركة للتعاون والتنسيق في المجالات الأكاديمية بين الجامعات السعودية والهندية، وأشار إلى مذكرة التفاهم التي تم توقيعها لتشجيع التعاون الأكاديمي بين البلدين، كما أشار إلى وجود المنح الدراسية للطلبة وأضاف قائلا إن أبواب الجامعات السعودية مفتوحة لكلّ من يريد دراسة علم التاريخ واللغة العربية والدراسات الإسلامية، وبهذا الخصوص نصح الطلبة بتقديم طلباتهم عبر الإنترنت.

وفي الملاحظات الرئاسية هنّأ مدير الجامعة البروفيسور طلعت أحمد القائمين بتنظيم الحلقة الدراسية، وشجّع المتحدثين من مختلف الجامعات الهندية

على اكتشاف إمكانيات ومجالات جديدة للتعاون الأكاديمي، وأضاف قائلاً: إن علاقاتنا مع المملكة العربية السعودية قديمة يرجع تاريخها إلى قبل تولّيه منصب مدير الجامعة، واستشهد بتكريم الجامعة الملك المغفور له عبدالله بن عبد العزيز رحمه الله عام 2006م، وخادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز حفظه الله عام 2010م بالشهادة الفخرية. وأضاف المدير قائلاً: يجب أن لايكون تعاوننا مقصوراً على مجال اللغة والعلوم الاجتماعية فحسب بل أن يتعدّاهما إلى مجال العلوم والتكنولوجيا أيضاً، لأنني خلال زيارتي الأخيرة شاهدت في المملكة أحدث المختبرات من الطراز العالمي، ويجب علينا أن نقنع إخواننا السعوديين بأن يسمحوا لنا الاستفادة من تلك المختبرات الراقية عن طريق برنامج تبادل الأساتذة والطلبة بين الجامعات الهندية والسعودية، وفي الأخير أشاد مدير الجامعة بجهود السفير السعودي لدى الهند في تفعيل التفاعل الثقافي بين البلدين.

انتهت الجلسة الافتتاحية بكلمة الشكر والامتنان التي قدّمها الدكتور فوزان أحمد نيابةً عن جميع المنظّمين إلى جميع المشاركين والمساهمين من أقسام اللغة العربية في الجامعات الهندية المختلفة، وبالأخص سعادة مدير الجامعة وسعادة سفير المملكة اللذين شرّفا الحلقة النقاشية بمشاركتهما رغم ارتباطاتهما الرسمية العديدة، ونوّه الدكتور فوزان بجهود الملحق الثقافي السعودي الدكتور ضيف الله المطرودي الذي لولا تشجيعه وكرمه السخي لما كان لاتحاد أساتذة وعلماء اللغة العربية لعموم الهند ممكنا عقد هذه الحلقة النقاشية، كما وجّه كلمة الشكر والامتنان إلى كل من قدّم أي عون ومساعدة في عقد الحلقة.

الجلسة النقاشية

رئيس الجلسة : البروفيسور زبير أحمد الفاروقي، المستشار الأكاديمي لدى الملحقية الثقافية السعودية

مدير الجلسة : البروفيسور حبيب الله خان

تحدّث البروفيسور محمد نعمان خان، رئيس اتحاد أساتذة وعلماء اللغة العربية لعموم الهند عن " التواصل مع مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية بالرياض والاستفادة من مشاريعه الخاصة بدعم وتشجيع دراسة اللغة العربية من قبل الناطقين بغيرها"، ولكنه قبل أن يتطرق إلى هذا الموضوع قدّم تعريفاً بسيطاً للاتحاد وقال فيما قال إنه الاتحاد الوحيد لأساتذة اللغة العربية في الهند الذي مسجّل لدى الحكومة الهندية على المستوى الوطني، ومن أهدافه : السعي لحل القضايا والمشاكل التي تعترض سبيل تدريس اللغة العربية في الهند و رفع مستواها من خلال تنسيق جهود الأساتذة والمهتمين بتدريسها، وحث الجهات والأطراف الأكاديمية على خدمة اللغة العربية، والحفاظ على التراث الثقافي العربي الهندي، والدفاع عن اللغة العربية، وخلق البيئة المناسبة لإجراء البحث والتحقيق في الموضوعات المختلفة. ومن إنجازاته : تدشين موقع الاتحاد الذي مازال قيد التطوير، وحشد التأييد ضد القرار الحكومي القاضي بإقصاء اللغة العربية والفارسية من قائمة المواد الخاصة بامتحانات الهيئة الإدارية المركزية (UPSC)، وتكريم الأساتذة الذين تجاوزوا السبعين عاماً من أعمارهم، والاحتفال باليوم العالمي للغة العربية كل سنة. ثم قدم الأستاذ عرضاً مسهباً عن خدمات مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية ومشاريعها التشجيعية لترويج اللغة العربية في العالم بأسره، وبهذا الصدد اقترح الأستاذ أن هناك عدة مجالات يمكن تحقيق التعاون فيها بين مركز الملك عبدالله والاتحاد ومنها ما يلي :

- تزويد مكتبات الجامعات الهندية بالكتب والمصادر والمراجع وبالأخص مصادر الأدب السعودي.
- إقامة الدورات التدريبية والفعاليات الثقافية الأخرى مثل الندوات العلمية والحلقات النقاشية والمسابقات في مجال تعليم اللغة العربية.

- تدريب الأساتذة الجدد على طرق تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها.
- التبادل المعرفي والثقافي للأساتذة والطلبة بين الجامعات السعودية والهندية لمدة شهرين أو أكثر.
- إيفاد أساتذة متخصصين في اللغة العربية من الجامعات السعودية إلى الجامعات الهندية.
- نشر الكتب العربية للعلماء الهنود الجديدة منها والقديمة وكذلك نشر المخطوطات العربية الموجودة في الهند
- ترجمة الكتب العربية المهمة خاصة منها الكتب السعودية إلى بعض اللغات الهندية وبالعكس.
- تكريم المهتمين بخدمة اللغة العربية من الأفراد والمؤسسات في الهند.
- إقامة شهر اللغة العربية في الهند.
- دعم اتحاد أساتذة وعلماء اللغة العربية لعموم الهند ليتسنى له ترويج اللغة العربية وتعزيزها في الجامعات الهندية.

تحدّث البروفيسور حبيب الله خان، نائب رئيس الاتحاد عن " سبل التعاون بين الملحقية الثقافية السعودية واتحاد أساتذة وعلماء اللغة العربية لعموم الهند"، إنه بدأ حديثه باستعراضٍ موجزٍ لتدريس اللغة العربية في الهند منذ مجيء الإسلام إلى يومنا هذا، وقال إن اللغة العربية في الوقت الحاضر تُدرّس على المستويين الأهلي والحكومي، وفيما يتعلق بتدريسها على المستوى الأهلي فهناك شبكة كبيرة من المدارس العربية الدينية التي يصل عددها إلى حوالي 33 ألف مدرسة إسلامية بين صغيرة وكبيرة، وفيما يتعلق بتدريسها على المستوى الحكومي فهناك حوالي 25 جامعة حكومية وأكثر من مئة كلية جامعية، منتشرة في كافة أنحاء الهند، لقد بدأ تدريس اللغة العربية في الجامعات الهندية الحكومية منذ عام 1920م، وهذه هي

الجامعات الحكومية التي يمثّلها الاتحاد ويعمل من أجل ترويج وتشجيع وتسهيل وتطوير تدريس اللغة العربية فيها، ولتحقيق هذه الأغراض يسعى الاتحاد إلى تحقيق التعاون و التنسيق مع الملحقية السعودية وغيرها من الجهات العربية التي تعنى بترويج اللغة العربية بين الناطقين بغيرها، ونذكر فيما يلي بعض المجالات التي تحتاج إلى التعاون السعودي.

تدريب الأساتذة :

يتم تدريس اللغة العربية في الهند بطريقة تقليدية، ولا يمكن تطويرها أو تغييرها ما لم يطّلع العاملون في حقلها على نماذج أفضل في البلدان العربية، ويقتنعون بضرورة تطويرها، ولتحقيق هذا الغرض ليس من الضروري أن تتكفّل الجهة المستضيفة بكل المصاريف، يمكنها تأمين التأشيرة والالتحاق والسكن وما إلى ذلك، وبقية المصاريف على من يريد التدرّب.

تسهيلات التأشيرة للأساتذة :

يشعر الاتحاد بأن أساتذة اللغة العربية في الهند في أشد حاجة إلى زيارة البلدان العربية لتقوية لغتهم العربية، وإقامة الصلات والروابط مع نظرائهم، والإطلاع على أحدث المستجدات في مجال التدريس والبحث العلمي، ولكن الانتهاكات لقوانين التأشيرة والعمل من قبل عامة الهنود تحول دون ذلك، وبهذا الخصوص يؤكد الاتحاد أن الأساتذة الدائمين الذين يرشّحهم الاتحاد لن ينتهكوا حرمة قوانين العمل، بسبب تقلدهم الوظائف الحكومية.

فرص مواصلة الدراسة لمتخرجي الجامعات:

توفير فرص مواصلة الدراسات العليا لمتخرجي الجامعات الهندية يعزّز ويشجّع الإقبال على دراسة اللغة العربية في الهند من قبل الطلبة الأذكياء والموهوبين الذين سيصبحون مصادر خير للهند و البلدان العربية.

تنظيم زيارات أساتذة اللغة العربية إلى الجامعات الهندية:

يشعر الاتحاد بأن عملية تدريس اللغة العربية تتقوى بزيارات الأساتذة المتخصصين للجامعات والكليات الهندية التي تدرّس فيها اللغة العربية. يمكن للاتحاد أن يتعاون في المجالات المذكورة أعلاه.

تحدّث البروفيسور محمد أسلم الإصلاحي، العميد السابق لكلية اللغات بجامعة جواهر لال نهرو، عن " ضرورة دعم وتشجيع الباحثين حول الموضوعات ذات الصلة بالمملكة في الجامعات الهندية"، إنه بدأ حديثه بأهمية تقوية اللغة العربية التي ضرورية جداً لإجراء البحوث الأكاديمية، وبدون تقوية اللغة العربية لا يمكن لأي باحث أن يفهم الحضارة والثقافة والتاريخ ناهيك إعداد البحوث، وبهذا الخصوص ناشد المملكة العربية السعودية على تقديم المنح الدراسية للطلبة أسوةً بالدول الأخرى، وضرب على ذلك مثالاً لدولة كوريا الجنوبية التي توفّر المنح الدراسية لطلبة اللغة الكورية خلال العطل الجامعية، وكذلك أكّد على ضرورة تزويد مكتبات الجامعات الهندية بالكتب والمصادر العربية التي ضرورية جداً لإعداد البحوث، وبهذا السياق ذكر أن الطلبة سابقاً كانوا يختارون الموضوعات المتعلقة بمصر وسوريا والعراق فقط، ولكن الآن يختارون الموضوعات ذات الصلة بالمملكة وغيرها من الدول العربية أيضاً، تحت هذه الظروف يجب على كافة الدول العربية مد يد التعاون الأكاديمي للجامعات الهندية.

تحدّث البروفيسور مجيب الرحمن، رئيس مركز الدراسات العربية والإفريقية بجامعة جواهر لال نهرو عن " ضرورة وضع مشروع لترجمة الأدب الهندي باللغة العربية والأدب العربي بلغات الهند "، و بدأ حديثه بتوجيه الشكر إلى الملحقية السعودية واتحاد أساتذة اللغة العربية على تنظيم الحلقة النقاشية، وجمع الأطراف المعنية بتشجيع دراسة اللغة العربية في الهند، وأكّد خلال حديثه على أهمية الترجمة في تفعيل التفاعل الثقافي بين الأمم، وأشاد بجهود الملحقية الثقافية السعودية والمركز الثقافي الهندي العربي بالجامعة الملية الإسلامية بترجمة الكتب الهندية إلى

اللغة العربية وبالعكس، وأشار إلى أن الكتب التي تم ترجمتها يتعلق معظمها بالتاريخ والسياسة والاقتصاد والثقافة والفن وما إلى ذلك، وأما كتب الأدب من كلا الجانبين فلم تحظ بالعناية الكافية التي تستحقها، وحان الوقت أن نتبنّى مشروعاً لترجمة كتب الأدب من كافة الأجناس الأدبية من الشعر والرواية والقصة، وذلك من البلدين: الهند والمملكة اللتين تمتازان بالعمق الثقافي والحضاري، وبهذا الخصوص قدّم مشروعاً لاختيار خمسين كتاباً من أروع نماذج الأدب من كلا البلدين في المرحلة الأولى، التي تمتد من ثلاث إلى خمس سنوات، وفيما يتعلق بالمصاريف فيمكن مراجعة الحكومة الهندية والمملكة العربية السعودية.

تحدّث البروفيسور ثناء الله من جامعة علي غر الإسلامية عن " نشر البحوث التي تقدم في الندوات التي تعقدها الجامعات في الهند حول المملكة"، وفي معرض حديثه استعرض العلاقة الأخوية التي تتمتّع بها جامعة علي غر الإسلامية مع المملكة والتي بدأت بزيارة الملك سعود بن عبد العزيز عام 1955م، ثم توالت الزيارات للمسؤولين الآخرين من المملكة في السنوات اللاحقة، وفيما يتعلق بالندوات التي تعقدها الجامعات الهندية حول المملكة، فهي تنمّ عن حرص العلماء الهنود على دراسة الأدب السعودي وثقافتها الغنية، تستحق البحوث التي تُقدم في مثل هذه الندوات أن تُنشر في مجلدات قشيبة، وفي نهاية الحديث قدم عدداً من التوصيات القيمة التي مفادها كما يلي :

- اتخاذ مبادرات من الملحقية الثقافية السعودية للتواصل مع الجامعات التي تُعنى بتدريس اللغة العربية وآدابها.
- حملات استكشافية للعثور على أعمال الندوات التي عُقدت حول المملكة العربية السعودية باللغة العربية
- العثور على أعمال الندوات التي عُقدت حول المملكة بغير اللغة العربية أي بالأردية أو الإنكليزية ثم ترجمتها إلى العربية.
- نشر هذه الأعمال كلها في مجلدات قشيبة وتوزيعها على الجهات المعنية

حلقة نقاشية في قاعة مبنى المركز الثقافي الهندي العربي بالجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي

تحدّث البروفيسور ولي أختر، رئيس قسم اللغة العربية بجامعة دلهي عن "كل ما يلزم لخدمة اللغة العربية في الهند"، كان الحديث بليغاً وشيّقاً استعرض فيه واقع اللغة العربية في الهند منذ قديم الزمان إلى يومنا هذا، وأشار إلى نقاط القوة والضعف في مناهجنا الدراسية، وقال إن ما ينقصنا في تدريس اللغة العربية في الهند، هو مهارة التعبير والتحدث بطلاقة مع العرب، ولا يمكن تحقيق هذه المهارة بدون مساعدة الدول العربية لأننا نعيش بعيداً عن الأجواء العربية، ولا نجد فرصة إلى سماع كلام العرب، والسماع ضروري لكسب مهارة الكلام، كما قال ابن خلدون، وبهذا الصدد أكّد على ضرورة نقل خبرات الجامعات السعودية وبالأخص الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة وجامعة أم القرى بمكة المكرمة، وجامعة الإمام محمد بن سعود التي تُعنى بتدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها، وإضافة إلى ذلك خبرات وتجارب المنظمات والمؤسسات المعنية بترويج اللغة العربية مثل العربية للجميع، وناشد الملحقية الثقافية السعودية بتزويد الجامعات الهندية بالكتب والبرامج الدراسية وأقراص مدمّجة وغيرها من وسائل التعليم.

تحدّث الدكتور همايون أختر نظمي، الأستاذ المساعد في قسم دراسات غرب آسيا عن " نشر البحوث التي تقدم في الندوات التي تعقدها الجامعات في الهند حول المملكة"، بعد تقديم الشكر والامتنان للقائمين على الحلقة النقاشية، عدّد الدكتور نظمي الندوات التي عُقدت في الجامعات الهندية المختلفة عن المملكة، وأشار إلى أن مداولات بعض الندوات نُشرت في شكل الكتاب وبعضها لم يُنشر بعد.

وفي الأخير قدّم رئيس الجلسة البروفيسور زبير أحمد الفاروقي الملاحظات الرئاسية التي أعرب فيها عن ارتياحه حول نجاح الحلقة النقاشية التي شارك فيها عدد من أساتذة اللغة العربية من مختلف الجامعات الهندية وقدّموا عدداً من التوصيات والاقتراحات القيّمة بخصوص تعزيز التعاون بين الجامعات السعودية والهندية، وانتهز البروفيسور الفاروقي هذه المناسبة وعدّد خدمات الملحقية الثقافية

في سبيل ترويج اللغة العربية في الهند، وخاصة في المناطق النائية مثل ولاية آسام وبنغال.

وانتهت الجلسة النقاشية بكلمة الشكر والامتنان التي قدّمها الدكتور سيد حسنين أختر، سكرتير الاتحاد أصالةً عن نفسه ونيابةً عن الاتحاد إلى الملحقية الثقافية السعودية على دعمها السخي في تنظيم الحلقة، وكذلك شكر جميع المشاركين والمساهمين في الحلقة النقاشية، والطلبة والطالبات على مشاركتهم.

قصة قصيرة مترجمة:

رقصة الجنون

سيد رسول بونبور
ترجمة من اللغة الكشميرية: د. منظور أحمد خان*

مضت بضعة أيام. وكنت أسافر بالحافلة جنب السائق من مدينة سري نغر إلى بيتي الواقع في بلدة "بيج بيهار" بعد الانتهاء من كدّ يوم كامل. وكان السائق عشيقا وسيما وشابا غضّا وماجنا. وما زال يذكر مع صديقه الغضّ، الذي كان يشاركه مقعد القيادة جالسا عن يمينه، منجزاته في الهوى. وكانت معهما صديقتهما المحتجبة التي كانت هي أيضا تشاركهما في الثرثرة. أما أنا، فما سمعت شيئا رغم كثير ممّا سمعت، وما رأيت شيئا رغم كثير ممّا رأيت.

وسألت السائق على سبيل الفضول: ما اسمك يا أستاذ؟ وردّ بصوت خافت: فردوس. وخاطبت نفسي: ما أحلاه! شتّان بين الفردوس السماوي وفردوس هذا على الأرض، مسقط رأسنا كشمير التي أصبحت كومة بارود كبيرة، حيث لا يضمن أحد مسافرا وسلامته ضدّ انفجارات ورصاصات متوالية متتالية.

وبعد ساعة كاملة من انطلاقنا نهض مسافر من مقعده والتمس من السائق همسا: أنا ظمآن... من فضلك قف برهة عند الضريح كي أشرب كأسا من الماء... وبعد التماسه من السائق جلس في المقعد... وأخذت أفكر بلا جدوى. نظرت إلى الساعة، وكان الوقت الرابعة بعد الظهر تماما.

---

* أستاذ اللغة العربية في جامعة كاشمير بسري نغر

وبعد أخذ أهبتي خاطبت الأستاذ فردوس: يا بني لو وقفت عند الضريح، اعلم أن الجميع عطشانون، وهم يتطلعون إلى سبيل. وسوف نصل إلى منزلنا المقصود في نصف ساعة فقط، ونحن في موقف حرج لأنّ ميعاد وصول الموكب العسكري قريب جدّا. نخسر دون باعث لأنّ العساكر صمّ، ولا يسمعنا أحد. نفدي بالضرائح والتقاة والصالحين، ولكن ليس من المصلحة أن ندعو الدواهي والبلايا.... ووافق الأستاذ على ما قلت، واستطرد قائلا: المسافرون جشعون، إذا سرنا بالبطء فيحتجّون، وإذا سرنا بالسرعة يحتجّون أيضا.... وقادتني سذاجتي إلى الاعتقاد بأنّ الأستاذ فردوس في وفاق تامّ مع موقفي. وأخذت أفتخر على ذكائي الذي خذلني طول حياتي.

وصلنا إلى ضريح سيد الحسين المنطقي ببلدة "أونتي بورة" وتوقّفت الحافلة دون إرادة من أحد. ومن مشيئة الله تعالى وجدنا شاحنة قلّابة عن يسارنا فاضطرّ سائق الحافلة أن يتوقف عن يمين، وهو جانب غير مسموح حسب قواعد المرور. كلنا المسافرون والأستاذ فردوس سيئ الطالع. تراءى لي أنّ جميع المسافرين مدوّا أيديهم طالبين كأسا من الماء.... من فضلك أعطني كباية.... تعالى الضجيج والغوغاء. وبما أنّ السقاية عين الثواب، بالغ كلّ من الأستاذ فردوس والمجاورين في هذا العمل، بينما قدّم النذور من كان يتوق إلى تقديمها كي ينجو من المصائب والبليّات. وكانت بيد الأستاذ فردوس إحدى عشرة روبية ليقدّمها نذرا. وفي نفس الوقت كان يصيح بأعلى صوته يحثهم أن يستقوا ويسقوا الآخرين من المسافرين العطشانين.

وحينئذ انبثقت الأرض بعصابة مغوارين مرتدين مناديل على رؤوسهم وبأيديهم بنادق. ومن لا يذهل برؤية هذه البليّة المفاجئة؟ وكذلك أنا. فأفرغوا كيس سبابهم على السائق لإيقاف الحافلة في الجانب المعاكس. وبعد إنزاله من الحافلة أخذوا يرفسونه ككرة القدم، وأنه بدوره جعل يستغيث منهم حاميا وجهه بيديه اثنتين.... سيدي! طلب المسافرون الماء! اعف عني سيدي! بالله لست مخطئا.

سيدي ! اعف عني.... وتلقى عوضا عن هذه الاستغاثة لطمات سريعة، وضربات من عقب البندقية، ورفسات غليظة، بالإضافة إلى وابل من الشتائم.

جرح جسد الأستاذ فردوس وسال من فمه الدم. وبالرغم من هذا استمر أعضاء العصابة يهدفون ببندقياتهم. وعلى مرأى ومسمع مني قامت الدنيا وقعدت، وأظلمت في عيني أيّما إظلام. وفي غضون هذه الفترة القليلة الأمد كانت الشاحنة انتهت من تقليب الحصبات، فبدا لنا أنّا نجونا في النهاية. وتحركت العصابة بعد شفاء غليلهم، بينما كان الأستاذ فردوس يقلّل الغضب والألم بغسل رأسه بماء الحنفية.

أمّا المسافرون فكانوا لا يبالون إلا بأنفسهم يا اسطي ! يا الله بسرعة، لقد تأخرنا.... وما أدركوا ما لاقى المسكين من الإهانة والأذى من سيل الدم. ثم هل هو صالح لقيادة الحافلة؟ ولكنني تحيرت على كونه قوي البنية إلى حدّ أنه أمسك مقعد القيادة مرة أخرى وبدأ يسوق الحافلة. ونظرت إليه نظرة المشفق بعيني الدامعتين، وكذلك مسحت رأسه متمنيّا النهاية العاجلة لهذا الجور والطغيان.

وفي نفس الآونة خاطبته محتاطا: ألم أقل لك ألّا تقف ههنا للماء؟.... الحق معك يا سيدي ! ولكنني خشيت ألا يعتبرني هذا المسافر قاسي القلب إذا أهملت التماسه. وظلّ الذي طلب الماء حيران وخائفا ألاّ يطالب أحد بتشخيص المخطئ الذي جلب لهم هذا الويل. وهمست في أذنه قائلا: يا صاحب السيادة ! ألاّ تشعر بالظمأ الآن؟ وما انفكّ محدّقا بي ومحلّلا حركة شفتي كي لا أفشي سرّ كونه أنه هو الظمآن، فينزل عليه غضب المسافرين وسخطهم بصورة الضرب والرفس.

ومن جانب آخر كان المسافرون الآخرون يتشاجرون في أمر طلب الماء. وكان الواقف منهما يتهم القاعد بأنه هو الذي أدى الجميع إلى التهلكة بطلب الماء من السائق. وغلبني السكوت كظاهرة طبيعية. وكاد أن ينقلب جدالهما إلى الضجّة. وبعد أن أدرك المسافر الوجيه أنه تورّط في المشكلة وجّه كلامه إلى خصمه قائلا:

لقد جفّ المخّ داخل جمجمتك. فعليك أن تدهّن رأسك بزيت اللوز، وإلّا فاسأل السائق عن المسافر الذي طلب منه التوقف للماء.

وكان طالع المخطئ الأصلي حقّا في الصعود لأنه ما تجسّر أحد على توجيه هذا السؤال إلى السائق برغم أن الجميع كانوا مهتاجين. ومن يزر وزر آخر يوم القيامة؟! والحرب بمثابة الحبّ الذي يعتبر فيه كلّ مبادرة عين العدل. وقد كنّا جاوزنا مسافة يسيرة جدّا إذ ظهرت فرقة الجيش الجوّالة وأوقفت الحافلة فبدأ استعراض أوراق تعيين الهويّة. وامتنعت المسافرتان عن رفع حجابيهما. وعاند العسكريون بدورهم وهدّدوا المسافرين بمنع الحافلة الإشارة الخضراء للتحرك ما دامت السيدتان أصرتا على عدم كشف وجهيهما.

وأنزل المسافرون جميعهم من الحافلة بمن فيهم السيدتان المحتجبتان والشاب أبو اللحية الذي كان يصاحبهما. وانسللت إلى الأمام لحاجة ماسّة لدى بلا ريب، ملقيا نفسي إلى التهلكة. فأشرت إلى سائق شاحنة مارة للوقوف، ولا أدري لماذا حنّ علي وسمح لي بالركوب. وسمعت فيما بعد أنّ سائق الحافلة تلقّى ضربات قاسية مرة أخرى، بحيث أدخل في المستشفى، وهو الآن بين الموت والحياة. صدّقوني أنني لا أزال أشعر بذلك الوجع القاسي بين أضلاعي.

THAQAFAT-UL-HIND		:	Statement of ownership and other particulars.

FORM IV
(See Rule 8)

1.	Place of Publication	:	Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110 002
2.	Periodicity of its Publication	:	Quarterly
3.	Printer's Name	:	Satish C. Mehta
	Whether citizen of India?	:	Yes
	Address	:	Director-General, Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110 002
4.	Publisher's Name	:	Satish C. Mehta
	Whether citizen of India?	:	Yes
	Address	:	Director-General, Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110 002
5.	Editor's Name	:	Zikrur Rahman
	Whether citizen of India?	:	Yes
	Address	:	Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110 002
6.	Name and address of individuals who own the newspaper	:	Director-General Indian Council for Cultural Relations, Azad Bhavan, Indraprastha Estate, New Delhi-110 002

I, Satish C. Mehta, hereby declare that the particulars given above are true to the best of my knowledge and belief.

Sd/- Satish C. Mehta
Signature of Publisher

ICCR Headquarters

President	: 23378616, 23370698	Hindi Section	: 23379364
Director General	: 23378103, 23370471	Indian Cultural Centres	: 23379386
Deputy Director General (DA)	: 23370784, 23379315	Chairs of Indian Studies Abroad	: 23370233
Deputy Director General (NK)	: 23370228, 23378662	International Students Division-1	: 23370391
Director (JK)	: 23379249	International Students Division-II	: 23370234
Administration	: 23370413	Afghan Scholarships Division	: 23379371
Establishment (Despatch & Maintenance)	: 23370633	Library/Web Site/MM/AVR	: 23370249
Exhibitions	: 23379199	Outgoing Cultural Delegations/Empanelment	: 23370831
Finance & Accounts	: 23370227	Publications	: 23379930
Incoming Cultural Delegations	: 23378079	Presentation/Special Projects	: 23379386
Foreign Cultural Centres	: 23379309	Conferences & Seminars	: 23379463
Regional Offices	: 23370413	Distinguish Visitors Programme	: 23370633

Thaqafat UL Hind
(Arabic Quarterly)

Registered with the Registrar of Newspapers of India: Regd No. 14387/57

Indian Council for Cultural Relations
भारतीय सांस्कृतिक सम्बंध परिषद्